

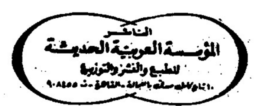
إسلاميات





موسوعة ألفاظ القرآن الكريم

تأليف
الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى
الأستاذ بجامعة الأزهر



سلسلة



إسلاميات

●

سلسلة كتب إسلامية دورية
تعرف المسلم بكل أمور دينه

○ عقيدة ○ فقه ○ تفسير
○ حديث ○ سيرة ○ ثقافة
إسلامية ○ مشاكل العصر

بأسلوب ميسر يفهمه العامة .
ويسعد به الخاصة

●

مراجعة هيئة كبار علماء
الجمعية الشرعية للعاملين
بالكتاب والسنة بالقاهرة

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ـ المطابع ٨ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية ـ المكتبات ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقي الفجالة ـ ٤ شارع الإسحاقي بمنشية البكري روكسي مصر الجديدة ـ القاهرة ت : ٨٢٦٢٨٠ ـ ٩٠٨٤٥٥ ـ ٢٥٨٦١٩٧ ج. م. ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

تصــــدير

هذا السفر ، أو موسوعة ألفاظ القرآن الكريم ، يحتوى على نحو مائتى لفظة قرآنية ، وهى أكثر ألفاظ كتاب الله تداولا وذيوعاً على الألسنة ، وأكثر اتصالا بفكر الإسلام ، وقيمه ومبادئه ، وبالأصول القرآنية التى قررها كتاب الله الحكيم .

وقد تكون الموسوعة القرآنية لألفاظ كتاب الله ، من السعة والكم ، مما لا يمكن لفرد تناولها وشرحها وتحليل معانيها ، ولكن الاكتفاء هنا بالألفاظ الدالة على مضامين كتاب الله وأصوله ومبادئه ودعواته إلى التوحيد والحق والعدل والخير والرحمة والإحسان والفضائل كافة ، مما نقصده ونرمى إليه ونتحراه فى هذا الكتاب.

ومن أجل ذلك كله وجهت عنايتى إلى شرح هذه الألفاظ القرآنية وتبيان معانيها فى مختلف مواردها وأغراضها ، وألممت بكل ما يدور حولها من سياق ومناسبة وغرض ، وقد بذلت الجهد ، أقصى الجهد ، فى أن يكون هذا النموذج لدراسة الألفاظ القرآنية مؤدياً للغرض ، ووافياً بالمقصود ، وموضحاً للمعانى المرادة منها ، وفى ذلك ما فيه من خدمة لكتاب الله ، وشرح لمراميه ، وتوضيح لمعانيه ، وتبيين لمقاصده .

ولا أقول إن دراسة هذه الألفاظ القرآنية تكفى فى دراسة الألفاظ الواردة فى كتاب الله عز وجل ، وهى كثيرة ، وإنما أقول إن هذه الدراسة نموذج للدراسة الواجبة للألفاظ القرآنية ، التى افتقدت عمق الدراسة وجدتها فيما صدر من كتب فى دراسة ألفاظ كتاب الله عز وجل .

وإنى لأقدم هذا السفر إلى القراء فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، راجياً من كل صاحب رأى أن يبعث لى برأيه ، ومن كل مسلم صادق أن يشملنى بدعائه الخالص بالتوفيق والسداد .

وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

المؤلف

الأبـــد

الأبد : الدهر ، ويطلق أيضاً ويراد به الأمر الدائم المستمر الذى لا ينقطع :
وقد ورد « الأبد » فى كتاب الله عز وجل فى ثمانية وعشرين موضعاً ..
ومن هذه المواضع :

١ — « خالدين فيها أبداً » ، أى الجنة .

(٥٧ النساء — و ١٢٢ و ١٦٩ النساء أيضاً — ١١٩ المائدة — ١٢ ، و ١٠٠ التوبة — ٩ التغابن — ١١ الطلاق — ٨ البينة) .

٢ — « خالدين فيها أبداً » ، أى النار . (٦٥ الأحزاب — ٢٣ الجن) .

ولم تستعمل فى النار إلا فى موضعين اثنين ، وعبر بها عن الخلود فى الجنة فى مواضع كثيرة ، لأن الخلود فى النار محـدود بزمن طال أم قصر ، والخلود فى الجنة دائم أبداً لا ينقطع .

والأبد بمعنى الدوام ، جاء فى كتاب الله عز وجل فى مواضع كثيرة :

« ماكثين فيه أبداً » (٣ الكهف)

« لا تقم فيه أبداً » (١٠٨ التوبة) .

« ولا يتمنونه أبداً » (٧ الجمعة) .

« ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً » (٨٤ التوبة) .

وغير ذلك من المواضع .

والفرق بين الأبد والدهر أن الدهر قد ينقطع ، أما الأبد فيعنى الدوام والاستمرار دائماً حقيقة أو على المجاز ، ومن ذلك قوله تعالى : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » (الإنسان) ، والاستفهام هنا للتقرير ، لا لمجرد الاستفهام ، والحين الذى أتى على الإنسان ولم يكن فيه شيئاً مذكوراً : هو حين كان معدوماً قبل أن يخلق ، والغرض من الآية ذكر ضآلة

شأن الإنسان ومنزلته بين الأحياء .. رأي أن الإنسان قبل تمام تكوينه ، من كونه نطفة فعلقة فمضغة ، شأنه ضئيل صغير ، وتأكيد أنه لا يصح أن يرفع أنفه إلى السماء ، لأنه مخلوق ضئيل ، ليس له عز ولا جاه إلا بالله عز وجل .

وما أهون شأن الإنسان إلا إذا كان مع الله ، واستعز بعزه ، واستظل بعظمته وطلب الخير من جود ملكوته .

وما أعظم شأن هذا الإنسان حين يكون ممتلئ القلب بالإيمان ، عامر الصدر بالحب ، مستفيض المشاعر بالمودة والصلة بالله .

إن الإيمان يرفع الإنسان إلى أعلى الدرجات ، فهو العزة والكبرياء ، وهو الجلال والسلام والسعادة ، وهو خير الدنيا والآخرة ؛ وبه يخلد المؤمن فى نعيم الجنة أبداً :

ابراهيم

إبراهيم نبي الله ورسوله وخليله ، وحامل رسالة التوحيد والحنيفية البيضاء ، وأبو الأنبياء إسماعيل وإسحاق وذريتهما ، صلى الله عليه وسلم ، وفى دعاء التشهد فى آخر كل صلاة نذكر خليل الله إبراهيم عليه السلام مقروناً بخاتم المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وندعو لهما ؛ تكريماً وتشريفاً وتعظيماً .

والعرب من نسل إسماعيل بن إبراهيم ، وبنو إسرائيل من نسل إسحاق ابن إبراهيم ، وأم العرب هاجر زوج إبراهيم ، وأم الإسرائيليين سارة زوج خليل الله ، صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر إبراهيم فى كتاب الله عز وجل فى ثمانية وستين موضعاً .

وإبراهيم من ذرية نوح ، وكانت إقامته بحران فى أرض الكلدانيين فى شمال العراق والشام ، فهاجر مع أبيه وأهله إلى أرض الكنعانيين فى الشام ، وهى أرض فلسطين ، حيث أقاموا .

وكان أهل حران يعبدون الكواكب والأصنام ، وكان كل من كان على وجه الأرض كفاراً مشركين ، فكان إبراهيم داعية التوحيد فى بيئات كلها شرك وضلال ، وكان معه امرأته سارة وابن أخيه لوط .

ونزلت على إبراهيم الرسالة ، فدعا أباه إلى توحيد الله ، وكان أبوه ممن يعبد الأصنام ، فدعاه إلى التوحيد ، فأبى وعاند وظل على كفره وشركه . (سورة الأنعام ومريم والصافات) .

ثم دعا قومه فى حران ، فلجوا فى كفرهم وضلالهم وشركهم ، وحاجه قومه فحاجهم ، الشمس والقمر والكواكب والنجوم ليست آلهة ، فهى تشرق وتغرب

ودعا أهل بابل — وكانوا يعبدون الأصنام إلى توحيد الله — (العنكبوت ، والأنبياء والشعراء) .

وجادلهم ، فظلوا سادرين فى كفرهم وضلالهم ، وقرروا إعدامه بالنار حرقاً فأنجاه الله : « قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم » (٦٩ الأنبياء) .

وحاج النمرود ملك بابل نبىَّ الله إبراهيم عليه السلام فى ربه ، ففاز عليه إبراهيم ، وغلبه وانتصر عليه ، وأخذ الله عز وجل النمرود أخذ عزيز مقتدر .

ولما هاجر إبراهيم إلى بلاد الشام سافر إلى مصر ، أقام شرقى بيت المقدس ، ثم اضطره القحط إلى الرحلة إلى مصر للميرة . وعاد من مصر إلى الأرض المقدسة ، وفى صحبته هاجر القبطية المصرية ، وولد له إسماعيل وإسحاق ، وهاجر بإسماعيل وأمه هاجر إلى مكة المكرمة ، وابتنى هو وإسماعيل بيت الله .

وهكذا أدى إبراهيم الرسالة ، وبلغ الأمانة ، ونشر رسالة التوحيد والحنيفية البيضاء فى الأرض ، ووفى بعهده لله ، فاستحق قول الله عز وجل : « وإبراهيم الذى وفى » (٣٧ النجم) ، وقوله تعالى : « واتخذ الله إبراهيم خليلا » (١٢٥ النساء) ، وصدق الله العظيم .

أحمـــد

ورد هذا الاسم الكريم ، اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى كتاب الله عز وجل فى موضع واحد ، هو الآية السادسة من سورة الصف ، وهى سورة مدنية : « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد : فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » .

وهى بشارة من عيسى نبى الله عليه السلام ، أى فلما جاءهم أحمد بالآيات البينات الدالة على صدق رسالته كفر قومه به ، وقالوا له : هذا سحر ظاهر واضح لا يحتاج إلى دليل :

وفى إنجيل برنابا الكثير من النصوص التى وردت على لسان المسيح بشارة منه برسول الله صلى الله عليه وسلم .

والكلمة — أحمد — مشتقة من الحمد ، وهو الثناء الجميل ، ومحمد صلى الله عليه وسلم أهل لكل ثناء من الله والملائكة والناس أجمعين ، لما تحمل من أمانة ، وما التزم به من مسئولية ، وما قام به من جهاد فى سبيل الله من أجل تبليغ الدعوة والرسالة ، وهداية الخلق إلى دين الله القويم ، وحسبك قول الله عز وجل فى شأنه والثناء عليه :

« ن ، والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجراً غير ممنون * وإنك لعلى خلق عظيم » (القلم ، الآيات ١ — ٤) .

وحسبك أيضاً قوله تعالى فى نبيه الكريم :

« إن الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » (٥٦ من سورة الأحزاب) .

وقوله عز وجل : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليماً » (الآية ٤٠ من سورة الأحزاب) :

وقوله عز وجل كذلك : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ... » . (الأحزاب ٤٥ و ٤٦)

ومواقف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، منذ أن اضطلع بعبء تبليغ الدعوة والرسالة ، والجهاد فى سبيل الله من أجل ذلك ، مما تستدعى الحمد والثناء والدعاء ، جزى الله محمداً عن أمته خير الجزاء ، وأعطاه لواء الحمد فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب :

ارم ذات العمــاد

ذكر الله عز وجل مدينة إرم على وزن (محن) فى سورة الفجر (الآية السابعة) قال تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التى لم يخلق مثلها فى البلاد » (٦ — ٨ من سورة الفجر) .

وفى هذا دليل على أن (إرم ذات العماد) هى حاضرة قوم عاد .

ويروى أن عاداً كان من أصحاب الرس ، وأنه بعد هلاك أصحاب الرس نزل الأحقاف ، ثم نزل موضع دمشق ، وبنى مدينتها ، وسماها (جيرون) باسم فرع من فروع عاد نزلوا فيها :

وجيرون هى إرم ذات العماد ، وأعمدة الحجارة والآثار فى دمشق كانت من الكثرة بمكان ، وهى بقايا أثرية قديمة :

وقد بعث الله عز وجل إلى عاد نبيهم هوداً عليه السلام ، فكذبوه ، فأهلكهم الله عز وجل جميعاً .

وقد ذكر الله تعالى : « إرم ذات العماد » التى هى عاصمة ملكهم ، وذكر أنه عز وجل دمرها تدميراً .

وإرم كذلك مدينة فى اليمن ، وفى الحجاز ، ولكن المقصود بها هنا مدينة الشام

وقصة هود ذكرت فى كتاب الله تعالى فى مواضع كثيرة ، منها :

— سورة الأعراف (الآية ٦٥ وما بعدها) :
— سورة هود (الآية الخمسون وما بعدها) :
— سورة الشعراء (الآية ١٢٣ وما بعدها) :
— سورة حم السجدة :
— سورة فصلت (الآية ١٥ وما بعدها) :
— سورة الأحقاف (الآية ٢١ وما بعدها) :

والأحقاف : جبال الرمل ، وكانت موطن عاد الأولى ، وهى باليمن بين عمان وحضرموت ، بأرض مطلة على البحر يقال لها : الشحر .

— سورة الذاريات (الآية ٤١ وما بعدها) .

— سورة اقتربت (القمر) (الآية ١٨ وما بعدها) .

— سورة النجم (الآية ٥٠ وما بعدها) .

— سورة الحاقة (الآية ٦ وما بعدها) .

— سورة الفجر (الآية ٦ وما بعدها) .

وقد اقترن هلاك الله لعاد بكفرهم وعصيانهم وخروجهم على رسالات الله ، وهكذا أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ، إن أخذه لشديد .

آزر

هذا اللفظ ورد فى كتاب الله عز وجل فى موضع واحد ، من سورة الأنعام فى الآية الرابعة والسبعين ، قال تعالى :

« ... وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر : أتتخذ أصناماً آلهة ؟ إنى أراك وقومك فى ضلال مبين » .

قيل : إنه لقب لأبى إبراهيم الخليل ، وإن اسمه « تارخ » ، وقيل : بل هو اسم له لا لقب .

وكان من أمر إبراهيم مع أبيه ما قصه كتاب الله عز وجل فى سورة الأنعام ، وما قصه كذلك فى سورة الأنبياء فى الآية الثانية والخمسين وما بعدها ، حديثاً عن إبراهيم الخليل : « إذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟ قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين، قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين ... » .

وكان ميلاد إبراهيم حين بلغ أبوه الخامسة والسبعين فى أرض بابل .. وتزوج إبراهيم (سارة) ، وكان (لوط) ابن أخ لإبراهيم .

وهاجر أبو إبراهيم من بابل أرض الكلدانيين إلى حران أرض الكنعانيين .. وعبادة هؤلاء للكواكب معروفة ، ولم يعزف عن عبادتها سوى إبراهيم وامرأته سارة وابن أخيه لوط .

وفى سورة العنكبوت : « وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » (الآية ١٦ من سورة العنكبوت)

وفى آخر قصة إبراهيم من سورة العنكبوت :

« فآمن له لوط ، وقال : إنى مهاجر إلى ربى ، إنه هو العزيز الحكيم » .
(٢٦ من سورة العنكبوت)

وفى سورة مريم : « واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً * إذ قال لأبيه : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً * يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى ، أهدك صراطاً سوياً * يا أبت لا تعبد الشيطان ،

إن الشيطان كان للرحمن عصياً * يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ، فتكون للشيطان ولياً * قال : أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم ؟ لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً * قال : سلام عليك ، سأستغفر لك ربى ، إنه كان بى حفياً * وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ، وأدعو ربى ، عسى ألا أكون بدعاء ربى شقياً».

وكان أول دعوة إبراهيم إلى توحيد الله بعد أن أرسل إليه برسالة السماء ، دعوته لأبيه آزر التى قصها الله عز وجل فى هذه الآيات البينات .

حيث ذكر الله عز وجل هذا الحوار بين إبراهيم وأبيه ، وكيف دعا أباه إلى الحق والتوحيد بألطف عبارة ، وأحسن إشارة ، وبين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأصنام ، التى لا تسمع دعاء عابدها ، ولا تبصر مكانه ، فكيف تغنى عنه شيئاً ؟ أو كيف تجلب له خيراً من رزق أو نصر ؟ أو تدفع عنه شراً من محنة أو مرض ؟

ولم يقبل آزر دعوة ابنه له إلى الإيمان برب الأرض والسماء ، فقاطعه إبراهيم وهجره .

ولقد استغفر إبراهيم لأبيه كما وعده ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، كما قال عز وجل : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، إن إبراهيم لأواه حليم » (١١٤ التوبة) .

وقاطع إبراهيم قومه وما كانوا يعبدون من الكواكب والنجوم ، وظل يدعوهم ليل نهار إلى عبادة الله الواحد الأحد ؛ ولأن أهل بابل كانوا يعبدون الأصنام ، وأهل حران كانوا يعبدون الكواكب ، فإن دعوة إبراهيم إلى قومه للإيمان بالله كانت فى حران حيث بعث رسولا نبياً ، فنهاهم عن عبادة الكواكب ودعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد .

وانتهى الأمر بقومه أن قرروا إعدام إبراهيم حرقاً ، فنجاه الله : « قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم » (الأنبياء ٦٩) .

ويروى أن إبراهيم حين ألقاه قومه فى النار عرض له جبريل عليه السلام فى

الهواء ، فقال له : يا إبراهيم ، ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ، فجعل الله عز وجل النار برداً وسلاماً على إبراهيم .

وأمام النمرود ملك بابل حاج إبراهيم الملك ودعاه إلى عبادة الله الواحد القادر الأحد : « ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن أتاه الله الملك ، إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت ، قال : أنا أحيى وأميت ، قال إبراهيم : فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين » (٢٥٨ البقرة) .

وعاش إبراهيم حياته يبلغ رسالة ربه ، ويدعو الناس إلى التوحيد والإيمان .

وتزوج هاجر جارية سارة فولدت له إسماعيل ، ثم ولدت سارة إسحاق بعد مولد إسماعيل بثلاث عشرة سنة .

وبنى إبراهيم البيت الحرام هو وولده إسماعيل ، ومات عن مائة وخمس وسبعين سنة على ما يروى ، ومن ذريته تتابع الأنبياء ، ولذلك قيل له : (أبو الأنبياء) .

الاســـــراء

الإسراء من السرى (وهو بضم السين وفتح الراء) أى السير ليلا ، يقال : سرى وأسرى ، أى سار ليلا ، وقد ورد لفظ أسرى من الإسراء فى كتاب الله تعالى فى قوله عز وجل فى الآية الأولى من سورة الإسراء : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير » .

وورد الفعل أيضاً بصيغة الأمر فى عدة آيات من كتاب الله :

— « فأسر بأهلك بقطع من الليل » (٨١ هود ، ٦٥ الحجر) .

— « فأسر بعبادى ليلا » (٢٣ الدخان) .

— « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى » (٧٧ طـه) .

— « وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى » (٥٢ الشعراء) .

وقد حدثت معجزة الإسراء التى ذكرها القرآن الخالد الكريم فى العام الخمسين من الميلاد النبوى الكريم ، وهو العام العاشر من البعثة النبوية الشريفة ، حيث أسرى برسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس ، وفى زاد المعاد لابن القيم (١ : ٤٧) : أن الإسراء كان بعد عودة رسول الله من الطائف ، وكان تأييداً وتكريماً لرسول الأمة من الله عز وجل ، كما كان امتحاناً وتمحيصاً وأمراً من أمر الله وقدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق برسوله ، وكان من أمر الله على يقين ، فلقد أسرى الله عز وجل برسوله كيف شاء ، وكما يشاء ، ليريه من آياته الكبرى ما رأى وما عاين من سلطانه وأمره العظيم ، وقدرته التى لا نهاية لعظمتها وجلالها ونفوذها ، وحدث عبد الله بن مسعود قال : أوتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق ، فحمل عليها ، ثم خرج به جبريل عليه السلام ، ليرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس .

وعن رسول الله قال : (بينما أنا نائم فى الحجر ، إذ جاءنى جبريل ، فهزنى بقدمه ، فجلست ، فأخذ بعضدى ، فقمت معه ، فخرج إلى باب المسجد ، فإذا دابة .. فحملنى عليها لا يفوتنى ولا أفوته) .

ومضى رسول الله ، ومضى معه جبريل ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء ، فأمهم رسول الله ، فصلى بهم !

وعن أم هانئ ، أن الإسراء كان من بيتها ، صلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونام أهل البيت ، وقام رسول الله ، فلما صلى الصبح ، وصلينا معه ، قال أيا أم هانئ ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة ، كما رأيت ، بهذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم قد صليت معكم الآن ، فلما خرج رسول الله إلى الناس أخبرهم ، فعجبوا ، وقال بعضهم : إن الإبل تسير شهراً من مكة إلى الشام مدبرة ، وشهراً مقبلة ، أفيذهب محمد ذلك كله فى ليلة واحدة ويرجع إلى مكة . وقال لهم أبو بكر : لقد صدق فما تعجبكم من ذلك ، وأقبل أبو بكر على رسول الله ، فلما سمع منه قال : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، فقال الرسول له : أنت يا أبا بكر الصديق .

ومن المعجزة أن يكون الإسراء بجسد رسول الله وروحه معاً .

وقد اختلف فى تاريخ الإسراء :

قيل : إنه وقع فى العام الخمسين من مولد الرسول . وقد ذكر ابن هشام أنه كان قبل وفاة خديجة .

ويقول ابن إسحاق : إنه حدث فى ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً (نهاية الأرب ١٦ : ٨٣) .

— وقيل : ليلة السابع عشر من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة (طبقات ابن سعد ، قسم ١ ، ج ١ ، ص ١٤٣) .

— وقيل : قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقيل : بسنة واحدة .

وقيل : كان لرسول الله من العمر إحدى وخمسون سنة ، وتسعة أشهر .

وقيل : كان بعد بيعة الأنصار فى العقبة .

— وقيل : كان ليلة السابع والعشرين من رجب فى العام الخمسين لميلاد رسول الله .

إلى غير ذلك من الروايات .

إن معجزة الإسراء كانت من معجزات الله عز وجل ، التى أيد بها رسوله الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، تأييداً ما بعده من تأييد .

ولعظمة معجزة الإسراء سميت سورة من سور القرآن الكريم بسورة « الإسراء » .

صلى الله عليه وسلم فى الأولين ، وصلى الله عليه وسلم فى الآخرين ، وصلى الله عليه وسلم فى الملإ الأعلى إلى يوم الدين .

اسماعيل

إسماعيل أبو العرب . ومن نسله تفرعت بطونهم وعشائرهم وقبائلهم .

ورد ذكره فى كتاب الله عز وجل فى اثنى عشر موضعاً ، ووصفه الله عز وجل بأنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً . وذكر الله عز وجل قصة فداء السماء له بذبح عظيم بعد أن رأى أبوه إبراهيم خليل الرحمن رؤيا أنه يذبحه قرباناً لله ، كما ذكر كتاب الله قصة قيامه مع أبيه إبراهيم ببناء البيت الحرام .

وهو من هاجر المصرية ، وقد كان إبراهيم سأل الله عز وجل ذرية طيبة فبشره الله بذلك ، فرزقه من هاجر بإسماعيل ، قيل : ولد وأبوه إبراهيم فى السادسة والثمانين من عمره ، وقال الله عز وجل له : قد استجبت لك فى إسماعيل ، وباركت عليه ، ويولد له اثنا عشر عظيماً ، وأجعله رئيساً لشعب عظيم ، وفرح إبراهيم بميلاد إسماعيل .

وملكت الغيرة قلب (سارة) ، فأخذ إبراهيم (هاجر) وابنها إسماعيل إلى حيث مكة اليوم ، وليس بهذا الموضع ماء ، ففجر الله لهما بئر عين زمزم ، ونزلت عليهم (جرهم) بهذا الموضع ، فزاد أنس هاجر وإسماعيل بهم ، وشب إسماعيل ، وصار جلداً قوياً سرياً ، وشارك أباه إبراهيم فى بناء بيت الله الحرام ، وتزوج من (جرهم) . وكان إسماعيل هو صاحب الفداء العظيم الذى جاءه من السماء .

وظلت الكعبة على بناء إبراهيم وإسماعيل مدة طويلة ، ثم بعد ذلك بنتها قريش ، فقصرت بها عن بناء قواعد إبراهيم من جهة الشمال مما يلى الشام .

وإلى إسماعيل يرتفع النسب العربى ، ونسب قريش ، ونسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإسماعيل هو أبو العرب ، ويخاطب الله عز وجل المؤمنين برسالة محمد فيقول : « ملة أبيكم إبراهيم » (سورة الحج ، آية ٧٨) .

وإبراهيم هو أبو العرب عن طريق ابنه إسماعيل، فهو الأب الأول، وإبراهيم الأب الثانى .

وكما كان إسماعيل الذبيح ونزل الفداء له ، كان عبد الله بن عبد المطلب هو الذى فداه الله عز وجل من ذبحه قرباناً .

إن قصة إسماعيل قصة تستثير الإعجاب :

عربى حر كريم ، طاعته لوالده بلا حدود ، سعيه لتعمير مكة سعى كبير وكريم ، محافظته على ميراث النبوة محافظة شديدة ، عمله الشاق مع أبيه فى بناء البيت الحرام عمل خلده التاريخ ، سيادته فى مكة على جرهم ظلت موضع التنويه ، ولقد رزقه الله بذرية كبيرة ، تفرعت منها قبائل العرب وبطونهم .

أصحاب الأخدود

الأخدود هو الشق فى الأرض .

وأصحاب الأخدود جاء ذكرهم فى كتاب الله الكريم فى سورة البروج ، ولهم قصة سجلتها هذه السورة الكريمة ..

يقول الله عز وجل فى السورة نفسها :

« قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد * إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ، فلهم عذاب جهنم ، ولهم عذاب الحريق » .
(٤ — ١٠ من سورة البروج)

ولتلخيص القصة نقول فى إيجاز شديد :

كانت نجران قبل الإسلام مركزاً من مراكز المسيحية ، وكان (فيميون) الراهب قد حمل أهلها على النصرانية وبنى بها كنيسة يعقوبية .. وفى عام ٣٥٦ م أرسل الإمبراطور البيزنطى قنسطنطنيوس بعثة إلى جنوب بلاد العرب على رأسها بيوفيلوس ، الذى حمله الإمبراطور هدايا نفيسة إلى ملك حمير ، فاعتنق الملك الحميرى المسيحية وأسس فى بلاده ثلاث كنائس : إحداها فى عدن ، والأخريان فى نجران ، وكان الملك اليمنى ذو نواس قد اعتنق اليهودية ؛ وبدا له أن يقوم بمهاجمة نجران أكبر مركز للمسيحية فى اليمن فى سنة ٥٢٣ م ، وخير أهلها بين نبذ المسيحية والدخول فى اليهودية أو القتل حرقاً ، فتخيروا القتل ، وآثروا الاستشهاد ، فحفر لهم أخاديد أحرقهم فيها وأحرق أناجيلهم : وكان لذلك صدى عميق فى الحبشة وفى بيزنطة .

فأرسل ملك الحبشة بمساعدة بيزنطة جيشاً لاحتلال اليمن بقيادة أرياط ؛ وقتل فى المعركة ذو نواس ، وآثار الأخدود باقية فى بلدة رقمت فى نجران .

ويرجح بعض المؤرخين : أن ذا نواس كان وثنياً ، وأنه خير أهل نجران بين الرجوع إلى الوثنية أو القتل حرقاً (١٢٧ تاريخ العرب قبل الإسلام — د. عبد العزيز سالم) .

ويذكر وهب بن منبه أن ذا نواس أتى بامرأة ، ومعها ابنها الرضيع ذو السبعة أشهر ، فخيرها ، فأنطق الله ابنها وقال لها : امضي يا أماه على دينك ، فإنها نار ، وليس بعدها نار ، فقذف بها فى الأخدود .

قصة أصحاب الأخدود قصة مثيرة ، والقرآن الكريم يذكرها ، منددأ بصانعي الأخدود ، منوهاً بجريرتهم وعظم ذنوبهم .. وهكذا يقف كتاب الله دائماً مع الحق والعدل ، ومع المظلوم والمضطهد ، ومع كل ذى قضية شريفة عادلة .

أصحاب الأيكة

الأيكة : الشجر الملتف الكثير الكثيف، وهى الغيضة . وهى اسم قرية ممرعة خضراء .

وأصحاب الأيكة ورد ذكرهم فى القرآن الكريم فى سورة الحجر :

« وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين * فانتقمنا منهم ، وإنهما — أى لوط وأصحاب الأيكة — لبإمام مبين » (٧٨ و ٧٩ سورة الحجر) .

والإمام : الطريق — مبين : أى واضح .

كما ورد ذكرهم فى سورة الشعراء أيضاً :

« كذب أصحاب الأيكة المرسلين * إذ قال لهم شعيب ألا تتقون » .

إلى آخر هذه الآيات الكريمة . (١٧٦ — ١٩١ من سورة الشعراء) .

فهل الأيكة هى مدين، وتكون وصفاً للدلالة على رخاء مدين وكثرة الحدائق والأشجار والزراعات فيها ؟ أو أنها اسم قرية من القرى التى تتبع مدين وتحيط بها ؟

وإذن فأصحاب الأيكة هم قوم شعيب نبى الله عليه السلام .

ومدين قريبة من معان فى أطراف الشام ، مما يلى ناحية الحجاز قريباً من (بحيرة) قوم لوط . وكانوا بعدهم بمدة قريبة ، ومدين المدينة . سميت باسم قبيلة مدين من ذرية إبراهيم الخليل عليه السلام .

وكان أهل الأيكة كفاراً يقطعون السبيل ويخيفون المارة، ويعبدون (الأيكة) وهى شجرة من الأيك حولها غيضة ملتفة بها ؛ وكانوا من أسوإ الناس معاملة ، يبخسون المكيال والميزان ، فبعث الله لهم نبيهم شعيباً عليه السلام ، فكفروا به وبرسالته ، فأهلكهم الله عز وجل .

وقد ذكرت قصتهم فى سورة الأعراف (الآية ٨٥ وما بعدها) ، وفى سورة هود (الآية ٨٤ وما بعدها) وفى سورة الشعراء كما سبق (١٧٦ — ١٩١) .

وفى سورة الأعراف (الآية ١٩١) : يذكر الله عز وجل أن عذابهم كان بالرجفة ، أى بالزلزلة .

وفى سورة هود (الآية ٩٤) يذكر عز وجل أن عذابهم كان بالصيحة .

وفى سورة الشعراء (الآية ١٨٩) يذكر الله عز وجل أنهم أخذهم عذاب يوم الظلة أصابهم عذاب يوم حر شديد ، فهربوا إلى الصحراء ، فأظلتهم سحابة ترميهم بشرر .

وذهب قتادة وغيره من المفسرين أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين . وهو قول ضعيف ، لايعول عليه ، وفى حديث رواه مرفوعاً عبد الله بن عمرو : أن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان بعث الله إليهما شعيباً النبى عليه السلام ، وهو حديث غريب ، والأرجح أنه من كلام عبد الله بن عمرو .

وهكذا يهلك الله الأمم بكفرها برسالات السماء ، وخروجها على شرائع الله ، وعصيانها لأمره عز وجل ، وإن عذاب ربك لشديد .

اصـــطفى

اصطفى الشيء : تخيره لقيمته ونفاسته ، وعزة قدره ، وشرف جوهره ، وعظمة معدنه ، ومن المادة : الصفاء ضد الكدر ، وصفوة الشيء : خالصه ومتخيره ، يقال : محمد صلى الله عليه وسلم صفوة الله من خلقه ومصطفاه ، والصفوة من الناس : الذين علت منزلتهم فى مجتمعهم ، والأصفياء : الأحباب المتخيرون . وقد ورد لفظ اصطفى فى كتاب الله عز وجل فى مواضع عدة :

ـ « إن الله اصطفى لكم الدين » (١٣٢ البقرة) أى تخيره ، وهو الإسلام ، ومن ثم جاء أثر ذلك قوله عز وجل : « فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

ـ « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم » (٣٣ آل عمران) .

ـ « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » (٥٩ النمل) .

ـ « لاصطفى مما يخلق ما يشاء » (٤ الزمر) .

ـ « يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك » (٤٢ آل عمران) .

ـ « واصطفاك على نساء العالمين » (٤٢ آل عمران) .

ـ « إن الله اصطفاه عليكم » (٢٤٧ البقرة) .

ـ « إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى » (١٤٤ الأعراف) .

ـ « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » (٣٢ فاطر) .

ـ « ولقد اصطفيناه فى الدنيا » (١٣٠ البقرة) .

ـ « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » (٧٥ الحج) .

ـ « وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار » أى رسل الله (٤٧ ص) .

وهكذا وردت هذه اللفظة فى كتاب الله عنواناً على الشرف والتقدير والإكرام والإعزاز ، ، ودليلا على رضاء الخالق ، ورعايته لبعض المخلوقين ، وإعلاناً على عظيم منزلة من اصطفاه الله من خلقه ، وما أجل وأعز وأكرم وأعظم من نال هذا الشرف الكبير ، وهذه المنزلة العظيمة ، وتلك الدرجة الرفيعة .

إن ذلك لهو المجد ، وهو الجلال ، وهو العزة والرفعة والكبرياء .

الأصـــنام

الأصنام : التماثيل التى كان يصنعها الإنسان أو ينحتها من الحجارة على هيئة إنسان أو طير أو غيرهما ، ثم يعبدها من دون الله ، ويتخذها إلهاً له ، يتقرب إليه فى نسكه وفى رخائه وشدته ، متجاهلا أنه هو الذى صنعها ، ومتناسياً أنه هو نفسه الذى سواها بيده .

وذلك دليل جهل عظيم ، وشرك كبير ، وغفلة حمقاء ، وضلالة عمياء ، فليس أضر على الإنسان والإنسانية من أن يتخذ الناس غير الله إلهاً معبوداً ، ورباً محموداً ، وخالقاً مطاعاً : « قل هو الله أحد * الله الصمد » .

وقد بالغ القرآن الكريم فى إعلان التوحيد ، والدعوة إليه ، وحذر تحذيراً شديداً من عبادة غير الله ، ودعا الإنسان إلى أن يرفع رأسه إلى السماء ، وإلى أن يتجه بروحه وقلبه إلى خالق الحياة ، ورازق الناس ومدبر الأمر كله ، وإلى أن يتجرد عن الشرك ما صغر منه وما كبر ، فالشرك شر عظيم ، والمشركون لهم عذاب شديد فى الدنيا وفى الآخرة ؛ ومن الأسف أن الإنسانية حتى اليوم ما تزال تعبد من دون الله الأصنام ، وما تزال بعيدة عن جادة التوحيد ، دين الحنيفية البيضاء ، ودين الإسلام العظيم ، ودين القرآن الكريم .. وما تزال الوثنية سائدة فى جهات كثيرة من العالم ، بمختلف أشكالها وألوانها وعقائدها ، حتى فى الأمم المتحضرة ؛ وهذا هو الضلال البعيد ، والشر الكبير الذى يضر بالبشرية وبالبشر أجمعين .

وقد ورد لفظ « أصنام » فى كتاب الله عز وجل فى عدة مواضع :

١ — فى سورة الأعراف فى قصة بنى إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام ، حين جاوزوا البحر وخالطوا فى التيه عبدة الأصنام ، فطالبوا نبيهم موسى أن يعبدوا الأصنام (الآية ١٣٨ من سورة الأعراف) :

« ... وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون » .

٢ — وكان من دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام فى الكعبة والبيت الحرام ، فى مكة المكرمة ، ما ذكره كتاب الله فى سورة إبراهيم من دعائه لله :

« رب اجعل هذا البلد آمناً ، واجنبني وبنى أن نعبد الأصنام » (من الآية ٣٦ من سورة إبراهيم) .

وقد أجاب الله دعاءه فجعل مكة حرماً آمناً ، لا يسفك فيه دم إنسان ، ولا يظلم فيه أحد ، وحقق الله عز وجل دعوة إبراهيم بفتح مكة ، حين دخلها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وكسر الأصنام من حول الكعبة ، وأعلن شريعة التوحيد الكاملة ، ونادى فى الناس بأن ربهم واحد لا شريك له .

٣ — وكان إبراهيم نبى التوحيد أنكر على أبيه وعلى قومه عبادة الأصنام ، كما قصه الله عز وجل فى سورة الأنعام على لسان إبراهيم عليه السلام : « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة » (٧٤ من سورة الأنعام) ، وكما قصه فى سورة الشعراء على لسان قوم إبراهيم فى حوارهم مع نبى الله الخليل : « قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين » (٧١ الشعراء) ، وكما صنع إبراهيم حين حطم الأصنام مما قصه الله فى سورة الأنبياء (الآية ٥٧) : « وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين » .

كما ذكر الله عز وجل الأوثان فى ثلاثة مواضع فى كتاب الله :

١ — فى الآية الثلاثين من سورة الحج : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان ... »

٢ — وفى الآية السابعة عشرة من سورة العنكبوت من كلام إبراهيم الخليل لقومه : « إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً ، إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً ، فابتغوا عند الله الرزق ، واعبدوه واشكروا له ، إليه ترجعون » . والأوثان : جمع وثن ، وهى التماثيل المصنوعة من الخشب ، والأصنام المصنوعة من الحجارة .

٣ — وفى الآية الخامسة والعشرين من سورة العنكبوت أيضاً على لسان إبراهيم عليه السلام فى حوازه مع قومه : « وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً » .

واليوم وفى عصر رقى العقل والإنسان والحضارة أن يعبد الإنسان الأصنام أمر خطير .. ونحن نرى عبادة الأصنام ممثلة فى تأليه بعض الناس وفى عبادة المال والنساء ، وفى عبادة بعض مظاهر الحضارات القديمة ، وغير ذلك .

نعوذ بالله من الشرك العظيم ، ونسأله أن يلهم الإنسانية الرشد ، وأن يسير بها فى الطريق القويم ، طريق التوحيد والموحدين .

الأعـــراف

الأعراف سور بين الجنة والنار ، أو أعالى هذا السور .
وقد سميت به سورة من سور القرآن الكريم ، هى سورة الأعراف .
وورد لفظ الأعراف فى هذه السورة فى موضعين منها :
الأول : الآية السادسة والأربعون :

« وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم » ، أى يعرفون كلا من أصحاب الجنة بسيماهم وعلاماتهم ، لأنهم أداروا وجوههم نحو الجنة طمعاً فى دخولها ، وفتحاً للحديث مع أهلها ، فإذا ما صرفت أبصارهم جهة النار استعاذوا بالله من غضبه ، ودعوه متضرعين قائلين : « ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين » ، الذين ظلموا أنفسهم فى الدنيا ، فلم يتزودوا بالزاد الصالح للآخرة .

إن أصحاب الأعراف يحيون معارفهم من أهل الجنة بالسلام ، ويضرعون إلى الله بالدعاء بأن ينجيهم الله من النار وأهلها إذا ما وقعت أبصارهم على النار وعذابها ومن فيها .

الثانى : الآية الثامنة والأربعون من السورة نفسها أيضاً :

« ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم » ، أى رجالا فى النار يعرفونهم بملامحهم وعلاماتهم .

إن الأعراف هو الحد الفاصل بين الجنة والنار .

ومن عليه لم تؤهلهم أعمالهم لدخول الجنة ، ولم توجب دخولهم النار ، إنهم واقفون ينتظرون رحمة الله وعفوه وفضله ، إنهم ينظرون إلى الجنة ويحادثون أهلها طامعين فى دخولها ، وينظرون إلى النار ويحادثون من فيها مستعيذين بالله من شرها وعذابها .

إنهم فى موقف الفصل فى أمرهم ، وإصدار الحكم لهم أو عليهم .

والله الرحيم الرحمن هو ولى أمرهم ، وبيده سعادتهم وإنقاذهم ، وعليه معولهم واعتمادهم .

وصدق الله العظيم : « إنه كان حليماً غفوراً » :
وصدق الله عز وجل : « إنه كان بعباده خبيراً بصيراً » .

آلاء

ذكرت هـذه اللفظة القرآنية الكريمة فى عديد من المواضع فى كتاب الله عز وجل ، وهذه المواضع هى :

١ ـ الآية التاسعة والستون من سورة الأعراف :

« فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون » .

والخطاب هنا لعاد قوم النبى هود ، والمعنى : فاذكروا نعم الله عز وجل عليكم ذكر شكر وطاعة وإيمان وعبادة ، لعلكم تفوزون فى الدنيا والآخرة ، وتنالون الفلاح والفوز المبين .

٢ ـ الآية الرابعة والسبعون من سورة الأعراف أيضاً :

« فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » .

والحديث هنا لثمود قوم النبى صالح عليه السلام ، وهو هنا كسابقه ، والمعنى : فاذكروا نعم الله عليكم ولا تتمادوا فى الفساد فى الأرض ، وعثا فى الأرض : أفسد فيها ، ومشى فيها بالضلال والفساد .

٣ ـ الآية الخامسة والخمسون من سورة النجم : « فبأى آلاء ربك تتمارى ؟ » أى فبأى نعم الله الدالة على قدرته ووحدانيته تتمارى وتتشكك أيها الإنسان أو تكذب أيها المغرور المهان .

٤ ـ « فبأى آلاء ربكما تكذبان » ، والخطاب هنا للإنسان والجن ، وهـذه الآية هى الثالثة عشرة من سورة الرحمن ، وقد تكررت فى السورة ثلاثين مرة ، ومع ذلك كانت بلاغتها تزيد فى كل مرة ، ويرتفع حسنها وجمالها وجلالها ، وقوتها وإعجازها فى كل مكان .

إن بلاغة القرآن الكريم لا تنتهى عند غاية ، وإن إعجازه لا يقف عند حد ، وإن سحره لا يتناهى عند نهاية .. إنه السحر الباهر ، والحسن الظاهر والجمال الفائق إنه القول الصادق ، والفصاحة النيرة ، والبيان المضىء .

إن للتكرار فى كلام البلغاء حداً ، إذا زاد عليه ثقل الكلام ، وضاعت بلاغته ، ولكن التكرار فى سورة الرحمن ، وقد بلغ ثلاثين مرة لم يكسب الكلام إلا حسناً ظاهراً ، وجمالا باهراً ، وجلالا ساحراً .. إنه كلام رب العزة ، إنه لقول فصل ، وما هو بالهزل .. إنه الإعجاز ، إنه البلاغة فى الإطناب والإيجاز .. وماذا يقول الواصفون فى بلاغة رب العالمين ؟ ماذا يقول البشر فى فصاحة هى أعلى من طاقة البشر ؟ إنه هو الخلود ، وهو السحر بلا حدود ، وهو الطبع بلا صنعة ولا قيود .

هذا والآلاء هى كما رأينا : النعم ، جمع مفرده ألى كفتى ، أو إلى مثل رضاً .. وفى أساليبنا نقول : آلاؤك علىَّ كثيرة ، وآلاء الله على خلقه كبيرة ...

وحين خاطب الله الإنس والجن ، ليكلفهم بالإيمان ، لم يذكر نعمة كثيرة أو كبيرة ، بل ترك وصفها إلى الحديث عن تكذيب المشركين ، وقال لهم الله عز وجل قول الصدق والحق : فبأى نعمة من نعم الله عز وجل عليكم تكذبان يا معشر الإنس والجان ؟ إن نعم الله ظاهرة وباطنة لا تقابل إلا بالشكر والحمد والثناء وبالطاعة والإذعان والإيقان والإيمان ، فمن من الثقلان يستطيع أن يكذب نعمة منها ؟

وليت الجاحدين والشاكين والماديين والعلمانيين ، ودعاة عصر التنوير ، وأتباع كل مذاهب الإفك والضلال ، يعلمون ويوقنون أنه لا نعمة من النعم إلا والله عز وجل هو موليها : الصحة ، المال ، الجاه ، الأولاد ، الماء، الهواء الشمس ، القمر ، الكواكب ، النجوم ، الذهب ، النفط ... إلخ .. وكل نعمة من نعمه جديرة بالشكر ، حرية بأن تدفع المنعم عليه بها إلى الإيمان والتوحيد ، وإلى الإسلام واليقين ، والطاعة والعبادة لرب العالمين .

« يا أيها الإنسان ، ما غرك بربك الكريم » .

نسأل الله أن يهدينا إلى الصراط المستقيم ، والسلام على من اتبع الهدى .

الألبـــاب

الألباب : العقول ، جمع لب وهو العقل ، ولب الشيء : أصله وجوهره وخلاصته ، ولا شك أن العقل هو جوهر الإنسان ، وأكثر الأشياء فيه أصالة ، وبه يكون الإنسان إنساناً ؛ فلولا العقل ما كان للإنسان قيمة ، ولما كان خليفة لله فى الأرض ، ولما استطاع التفكير والتعقل ، والتدبير والتبصير .

ولذلك يخاطب الله عز وجل أولى الألباب ، فيطلب منهم التفكير والتعقل والتدبر ، والتبصير بالأحداث ، وبنتائج الأمور ومخارجها .

وعندما يطلب الله عز وجل من عباده شيئاً مهماً وخطيراً يقرن ذلك بنـداء أولى الألباب :

- « فاتقوا الله يا أولى الألباب » (١٠ الطلاق) :
- « واتقون يا أولى الألباب » (١٩٧ البقرة) .
- « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » (١٧٩ البقرة) .

ويقرن الله عز وجل التذكر بنداء أولى الألباب ، أو بالحديث عنهم :

- « إنما يتذكر أولوا الألباب » (١٩ الرعد ، ٩ الزمر) .
- « وليعلموا أنما هو إله واحد ، وليذكر أولوا الألباب » (٥٢ إبراهيم)
- « إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب » (٢١ الزمر) .
- « هدى وذكرى لأولى الألباب » (٥٤ غافر) .

وأولوا الألباب هم الجديرون بالخطاب من المـولى عز وجل ، فهم الذين يعرفون الحق من الباطل ، ويميزون الخبيث من الطيب ، ويدركون الصدق من الكذب ، ويفهمون الحقائق وينأون بها عن الخيالات والأوهام ، والذين فقـدوا عقولهم لا تثريب عليهم ، ولا لوم يوجه لهم، لأنهم فقدوا أهلية التكليف، فالمجنون يسقط عنه العقـاب ، لأنه لا يؤخـذ بذنب ارتكبه ما دام قد فقد آلة التميز بين الفضيلة والرذيلة ، وبين الخير والشر ، وبين السيء والحسن .

إن الله عز وجل قد أمد الإنسان بمواهب كثيرة ، وبطاقات خلاقة ، وفى مقدمة هذه المواهب العقل ، وبدونه يصبح الإنسان كالحيوان ، لا مسئولية عليه ولا عقاب ولا ملام .

والعقل أثمن شىء فى الإنسان ، وأعظم منحة من الله عز وجل أنعم بها على عباده ، ولذلك ذكر فى كتاب الله هو أو مادته فى مواضع كثيرة ، وذكرت كلمة « أولى الألباب » فى نحو خمسة عشر موضعاً .

إن العقل هو أثمن شىء فى الحياة ، وإنه لا مسئولية بدون عقل ، ولا عقاب بدون عقل :

الياس عليه السلام

يقول الله عز وجل فى كتابه الحكيم :

« وإن إلياس لمن المرسلين * إذ قال لقومه ألا تتقون ؟ * أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الأولين * فكذبوه فإنهم لمحضرون * إلا عباد الله المخلصين * وتركنا عليه فى الآخرين * سلام على إلياسين * إنا كذلك نجزى المحسنين » (١٢٣ — ١٣١ الصافات) .

ويقول عز وجل : « وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين » (٨٥ الأنعام) .

وإلياس يعرف باسم « إيلياهو » فى العهد القديم ، وكان — كما فى سفر الملوك — من الأنبياء المؤمنين بالله ، وكان بعض بنى إسرائيل قد أخذوا عبادة (بعل) من الفينيقيين ، وسجدوا له .

وبعث الله إلياس إلى قومه من بنى إسرائيل نحو عام ٩١٨ ق . م ، فعاب عليهم وثنيتهم ، ودعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، وظهرت على يديه معجزات كثيرة ، ومنها أنه أحيا ميتاً بإذن الله ؛ واتهم إلياس بأنه يكيد لإسرائيل ، ويحقر آلهتهم (بعلا وغيره) ، وقال إلياس لقومه : هاتوا ثورين فقطعوا أحدهما ، وأنا أقطع الآخر ؛ وليضع كل منا ثوره على الحطب ، ثم يدعو إلهه أن ينزل من السماء ناراً تحرق الحطب وتشوى اللحم .

وصنعوا ذلك ، وجاءوا بالثورين ، وقطعوا أحدهما قطعاً ووضعوها على الحطب ، ودعوا (بعلا) أن يسقط عليه النار كما قال إلياس ، ولكن (بعلا) لم يفعل ، وتوجه إلياس إلى الله ، إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، وقطع الثور قطعاً ووضعها على الحطب ، ثم دعا الله عز وجل ، فما راع الناس إلا والنار تسقط من السماء فتحرق الحطب وتشوى اللحم .

ورأى الناس ذلك ، فخروا على وجوههم ساجدين .

فأخذ بعض المتشددين فى عبادة (بعل) يتآمرون على إلياس ، للأخذ بثأر (بعل) ، واختفى إلياس من وجه الناس ، وأخذ يجوب القفار والبوادى ويسكن الفلوات .. ثم عاد إلى بلده يدعو الناس إلى الإيمان ، فآمن به (أليسع) ولزمه واتخذه أستاذاً له لا يفارقه .

ولما شعر إلياس بدنو أجله ، عهد إلى (أليسع) من بعده ليحمل لواء النبوة ويحذر الناس من عبادة (بعل) ، ويرجعهم إلى عبادة الله وحده ، وكان (بعل) صنماً من الذهب طوله عشرون ذراعاً ، وله أربعة أوجه ، وأقاموه فى مدينة عرفت باسمه (بعلبك) .. ولا تزال موجودة حتى اليوم .

ومات إلياس بعد أن دعا إلى الله ، ونهى عن الشرك وعن عبادة (بعل) ، وحذر الناس من غضب الله ومن عذابه الأليم .

وهكذا كان المثل والقدوة والأسوة ، وإنه لنبى كريم ، ورسول أمين ، صلى الله عليه وعلى آله أجمعين :

أليســـع

أليسع نبى الله عليه السلام ، ورد ذكره فى كتاب الله عز وجل فى موضع واحد ، حيث يقـول الله عز وجـل فى آية : « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ... » حيث يقول عز وجل : « وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً ، وكلا فضلنا على العالمين » (٨٦ الأنعـام) .

وهو فى العهد القديم أليشاع ، ووردت قصته فى سفر الملوك الثانى .

قال إيليا — إلياس — لأليشع : امكث هنا لأن الرب قد أرسلنى إلى بيت إيل .

فقال أليشع : حى هو الرب ، وحية هى نفسك ، إنى لا أتركك .. ســفر الملوك الثانى .

وتستمر قصة (أليشع) فى سفر الملوك الثانى فى إفاضة ...

وكلم أليشع — أليسع — المرأة التى أحيا ابنها قائلا : قومى وانطلقى أنت وتغربى لأن الرب قد دعا بجوع ، فيأتى على الأرض سبع سنين .. إلخ .. سفر الملوك الثانى .

كان أليسع تلميذاً لإلياس عليه السلام ، وبعثه الله إلى بنى إسرائيل بعد موت إليـاس ، فآمنوا به ، وحـكم فيهم بمـا أمره الله تعالى به ، وعاش على ما يروى أربعمائة سنة وسنتين .

وكان إلياس قد اختار أليسع تلميذاً له وخليفة له من بعده ، للسعى فى إبطال الوثنية فى إسرائيل ، ودعوة الأسرة الحاكمة هنالك إلى الله — وهى أسرة عمرى أبى آخاب — التى تنتصر للوثنية وتحميها .

وقد وقعت عدة معجزات لأليسع ، ذكرت فى الفصلين الرابع والخامس من سفر الملوك الثانى ، ومن هـذه المعجزات معجزات حـدثت أيام الحروب بين إسرائيل والأراميين حوالى عام ٨٩٥ ق . م ، حيث منى الأراميون بهزائم ساحقة،

ولم تزل المعجزات والكرامات تظهر على يدى نبى الله أليسع عليه السلام حتى مرض مرضه الذى توفى فيه بعد هلاك أسرة عمرى التى ظلت تناصر الوثنية وتدعو إلى عبادة (بعل) ، وتحرض الناس على ذلك .

وقد استرد قوم أليسع بعد وفاته ما كان الأراميون قد استولوا عليه من أرضهم ، وذلك فى حوالى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد .

وهكذا أنبياء الله ورسله ، وعدهم الله بالنصر ، وأجرى النصر على أيديهم ، رحمهم الله رحمة سابغة .

الأمـــانة

لفظ الأمانة ورد فى القرآن الكريم فى موضع واحد هو الآية ٧٢ من سورة الأحزاب حيث يقول الله عز وجل :

« إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا ... » .

قيل : الأمانة هنا بمعنى التكاليف من الأوامر والنواهى ، وقيل : هى الصلوات وغيرها ، مما فى فعله من الثواب ، وفى تركه من العذاب . وقيل : هى الشريعة ، وقيل : هى الدين ، أو هى الأمانة نفسها ضد الخيانة . وأرجح أن المراد بالأمانة هنا المسئولية التى هى أساس التكليف .

وورد لفظ (أمانة) مضافاً إلى ضمير الإنسان فى الآية ٢٨٣ من سورة البقرة : « فليؤد الذى اؤتمن أمانته » .

والأمانة هنا هى ما يؤتمن عليه الإنسان من مال أو متاع أو غيرهما ، نقول : خذ هذه الأمانة عندك شهراً مثلا وتريد بها مالا ، أو غيره من الودائع ، وتقول : هات الأمانة التى استودعتها عندك .

وورد لفظ (الأمانات) جمعاً فى الآية الكريمة : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » (٥٨ من سورة النساء) .

والمراد بها هنا : الودائع ، أو جميع حقوق الله وحقوق العباد .

وورد لفظ (أمانات) مضافاً إلى الضمير :

« يا أيها الذين آمنوا ، لا تخونوا الله والرسول ، وتخونوا أماناتكم » (من الآية ٢٧ من سورة الأنفال) .

والأمانات : هى الودائع ، وحفظها وردها إلى صاحبها واجب ومسئولية ، وفى الحديث الشريف : (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان) :

وفى الآية الثامنة من سورة (المؤمنون) ، والآية الثانية والثلاثين من سورة (المعارج) يقول الله عز وجل : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » .

والأمانات : هى الودائع أو التكاليف أو الحقوق العامة لله وللناس .

إن الأمانة من الإيمان ، وهى واجب شرعاً على كل مكلف ، فلا أمان ، ولا عهد لمن لا أمانة عنده ، وقد مدح الله عز وجل رسله وملائكته بصفة الأمين :

— « إنى لكم رسول أمين » (فى سور كثيرة) .

— « نزل به الروح الأمين » (١٩٣ الشعراء) ، والضمير فى « به » للقرآن الكريم ، و « الروح الأمين » هو ملك الوحى جبريل عليه السلام .

— « لقوى أمين ، القوى الأمين » (النحل — والقصص) .

— « وهذا البلد الأمين » : الآية الثالثة من سورة التين .

وبلد أمين : أى يأمن فيه الإنسان على نفسه وعرضه وماله .

والبلد الأمين : هو مكة المكرمة .

ما أجل لفظ الأمانة ، وما أجل معناها ، وما أجل من اتصف بها .

إنها صفة إنسانية نبيلة ، صفة الإنسان المسئول ، الإنسان الكامل ، والإنسان الملتزم .

الأمـــد

وردت هذه اللفظة القرآنية الكريمة فى أربعة مواضع من كتاب الله عـز وجل ، وهى :

١ — الآية السادسة عشرة من سورة الحديد : « فطال عليهم الأمد ، فقست قلوبهم » ، وهذا حديث عن أهل الكتاب ، طال عليهم الزمن بينهم وبين أنبيائهم :

٢ — الآية الثلاثون من سورة آل عمران : « وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » ، وهو حديث عن النفس وما تشعر به فى الآخرة .. عملها الصالح معها فى كل موقف ، وعملها السيء تنفر منه وتبغضه ، وتود أن يبعد عنها أمداً بعيداً طويلا غاية فى البعد والطول حتى لا يصل إليها .

٣ — الآية الثانية عشرة من سورة الكهف : « ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً » ، والمعنى : أن الله عز وجل ترك أصحاب الكهف نائمين فى الكهف زمناً ، فلما أراد عز وجل أن يستيقظوا قاموا وأخذوا يتساءلون فيما بينهم : كم مضى علينا من الوقت ونحن مستغرقون فى النوم ؟ فقال قائل منهم : قد نمنا يوماً أو بعض يوم ، وقال آخر : الله أعلم بالوقت الذى قضيناه نائمين :. ولم يدروا من الأمر شيئاً ، وقـد أبان الله عز وجل أنهم قضوا فى نومتهم هـذه ثلاثمائة سنة وتسعاً قمرية ، أو ثلاثمائة سنة شمسية ، وهو تفسير لقوله تعالى : « قل الله أعلم بما لبثوا » ، ولقوله تعالى : « فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عدداً ».

والله عز وجل يبين أن استيقاظهم هو الذى أثار السؤال عن زمن نومهم ، وأن الله عز وجل هو الذى كشف عن حقيقة هـذا الزمن ، ثم رأى الناس الذين بعثوا فى زمنهم هذه الحقيقة سافرة ، حين رأوا النقود التى معهم وعليها صورة ملكهم الذى مضى عليه هذا الزمن الطويل ، وكانت قد انتهى التعامل بها بين الناس والله عز وجـل يظهر علمه للناس حتى يشعروا بالحقيقة سـافرة ، فقوله تعالى : « لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً » ، أى لنظهر علمنا للناس حتى يعرفوا أى الفريقين أضبط وأوعى لزمن نومهم ولأمد مكثهم فى الكهف وهم فى سباتهم

العميق ؛ وليس بين الفريقين من عرف هذه الحقيقة أولا ، إنما عرفوها أخيراً من الناس الذين رأوا النقود التى كانت معهم ، ولم يستطيعوا تحديد زمن نومهم فى الكهف بدقة ، لكن الله عز وجل أبان أنهم قضوا ثلثمائة عام شمسية بتوقيت أهل ملتهم من النصارى ، وهم نائمون،وهى تحسب بالسنين القمرية بتسع وثلثمائة عام .

٤ ــ والآية الخامسة والعشرين من سورة الجن : « قل إن أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى آمداً » ، والمعنى : قل لأمتك وللمشركين الجاحدين بك يا محمد : ما أدرى أقريب يوم البعث والجزاء والحساب وما توعدون به من العذاب للمشركين ، أم يجعل له الله غاية وأجلا لا يعلمه إلا هو وحده .. فموعد القيامة وقيام الساعة علمه عند الله وحده : « إن الله عنده علم الساعة .. » (من الآية ٣٤ من سورة لقمان) .

وهكذا نجد أن لفظ الأمد يطلق على الغاية كلفظ المدى ، ويراد به الزمن الطويل البعيد ، سواء كان زمناً ماضياً أم زمناً يأتى فيما يستقبل من الأيام .

ويكاد يكون لفظ « الأمد » أقرب شبهاً بلفظ (حين) :

« هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » (الآية الأولى من سورة الإنسان) .

ولفظ (الأمد) فى خفة وزنه ، وجمال حروفه واتساقها ، يمثل فى سياق الآيات السابقات بلاغة ما بعدها من بلاغة .

الأمـــل

وردت لفظة (الأمل) فى القرآن الكريم ، بلام التعريف فى موضع واحد ، هو الآية الثالثة من سورة الحجر ، فى قوله تعالى : « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل » ، أى دع يا محمد المشركين والكافرين يعيشوا عيشة الحياة الدنيا البهيمية ، يأكلون ويشربون ويتمتعون وتلهيهم الآمال الكذاب المعسولة ، فسوف تصدمهم الحقيقة السافرة يوماً من الأيام ، فيعلمون أن آمالهم باطلة ، وأن معبوداتهم من الأصنام والأوثان زيف وافتراء وضلال ، وأن الله وحده هو إله هذا الكون ، وهو المعبود بحق ، ولا إله سواه ؛ ولسوف يلقون جزاء ما كانوا يعملون ويرون عقاب كفرهم وشركهم وطغيانهم وضلالهم وافترائهم على الله ورسوله ؛ فلهم ميقات يوم معلوم ، ولهم أجل مكتوب ، لا يسبقونه ولا يتخلفون عنه .

ووردت كذلك كلمة (أمل) بدون لام التعريف فى موضع واحد من كتاب الله عز وجل ، وهو الآية ٤٦ من سورة الكهف : « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا » ، قيل : إن الباقيات الصالحات هى : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » ، وهذا قول الجمهور ، وقد روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل : هى الصلوات الخمس ، وقيل : هى الأعمال الصالحات على الإطلاق ؛ وفى رأيى أن الباقيات الصالحات هى ما يبقى للإنسان ثوابه أبد الدهر ، لا يزول ولا يمحى ، من عقيدة سليمة ، وأخلاق كريمة ، وأعمال جليلة ، وكلمات حكيمة شريفة .

إن المال والبنين عرض زائل من أعراض الحياة الدنيا ، أما ما يبقى للإنسان ويخلد أبداً ، ولا يفنى إطلاقاً ، فهو عقيدته وأعماله الطيبة ومسالكه الشريفة ، وأخلاقه الكريمة ، وآثاره على أسرته ومجتمعه وأمته وعلى الإنسانية كافة ، وفى الحديث الشريف : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له) .

فالأمل هنا هو ما يؤمله الإنسان فى يومه وغده ، وآمال الإنسان لا تنتهى ،

وأمنياته لا تقف عند حد ، والمسلم يربط آماله بالله عز وجل ، وبرضائه تبارك وتعالى ، وبما يدر عليه رضاء الملائكة والرسل والناس أجمعين :

أمله رضاء الله عليه فى الدنيا ، وثوابه ونعيمه الدائم فى الآخرة ، آماله فى أن يقف عند تعاليم الدين ، وأن لا يغضب الله ورسوله فى قول أو فعل ؛ فإذا ما تمنى شيئاً للدنيا تمنى شيئاً يقربه إلى الله عز وجل من قدرة على عون الفقراء ومساعدة المساكين ، ومن استطاعة على أداء فرائض الله وشعائره ، ومن التوفيق فى أعمال يعز بها الله دينه وأمة الإسلام :

إن آمال المسلم مرتبطة بما يعز به الله دينه وكتابه وشريعته والمسلمين كافة .: أما آمال الكافر فهى شهوة جارفة ، أو مال ينفقه فى الشر ، أو ذهب يكتنزه ، أو فضة يقتنيها ، أو ليلة يقضيها فى اللهو والإثم والباطل والفجور :

ما أعظم آمال المسلم :

إنها الآمال التى تعمل من أجل بناء الحضارة والإنسان والإنسانية :

أمــــة

خمسون موضعاً من كتاب الله وردت فيها لفظة (أمة) ، وثلاثة عشر موضعاً وردت فيها كلمة (أمم) ، ولهـا معان كثيرة فى كتاب الله الحكيم :

المعنى الأول : (الجماعة) ، يقول الله تعالى :

- « ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون » (القصص ٢٣) .

- « ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » (البقرة ١٢٨) :

- « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق » (الأعراف ١٥٩) .

إلى غير ذلك من آيات كثيرة .

ومن ذلك أن تكون (أمة) بمعنى قوم :

- « أن تكون أمة هى أربى من أمة » (النحل ٩٢) ، يعنى أن يكون قوم أكثر من قوم ، وهو قول قتادة .

- « لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه » (الحج ٦٧) ، يعنى : « لكل قوم » :

- « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف » (ســورة آل عمران ١٠٤) .

المعنى الثانى : (أمة) أى شعب من الشعوب والأمم الخالية وغيرهم من الوثنيين والذين كانوا على الكفر والضلال .

- « ولكل أمة رسول » (يونس ٤٧) .

- « ما تسبق من أمة أجلها » (الحجر ٥) .

المعنى الثالث : أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة :

- « كنتم خير أمة ... » (آل عمران ١١٠) ، يعنى بأمة المسلمين خاصة ، وهو قول الحسن .

- « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » (البقرة ١٤٣) ، يعنى عدولا بين الناس، يعنى المسلمين خاصة .

المعنى الرابع : أمة بمعنى خلق :

— « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » (سورة الأنعام ٣٨) ، بمعنى إلا خلق أمثالكم .

المعنى الخامس : أمة بمعنى ملة وديانة :

— « كان الناس أمة واحدة » (البقرة ٢١٣) ، يعنى على عهد آدم وعلى عهد نوح ، عليهما السلام :

— « ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة » (المائدة ٤٨) ، يعنى على ملة الإسلام وحدها ، وهو قول الكلبى :

المعنى السادس : أمة بمعنى إمام :

— « إن إبراهيم كان أمة قانتاً » (النحل ١٢٠) ، يعنى كان إماماً يقتدى به فى الخير ، وهو قول قتادة .

المعنى السابع : أن تكون أمة بمعنى عدد من السنين :

— « ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة » (هود ٨) ، يعنى إلى سنين معدودة ، وهو قول الكلبى :

— « وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة » (يوسف ٤٥) ، يعنى : بعد سنين ، وهو قول الكلبى أيضاً .

وليس فى القرآن غير هاتين الآيتين بهذا المعنى . والله أعلم .

الانجيـــل

الإنجيل كتاب الله العظيم المنزل على عيسى عليه السلام ، رسالة لبنى إسرائيل وشريعة لهم ؛ بعد أن حرفوا التوراة ، وبدلوا نصوصها ، وأحالوا التوحيد فيها إلى شرك ووثنية :

وقد ورد لفظ الإنجيل فى كتاب الله فى اثنى عشر موضعاً، منها أربعة مواضع ذكر فيها الإنجيل مفرداً ؛ منها :

« وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل » (٢٧ الحـديد) :

« وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور » (٤٦ المـائدة) :

ومنها ثمانية مواضع ذكر فيها الإنجيل مقترناً بالتوراة :

« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التـــوراة والإنجيل » (١٥٧ الأعراف) .

وينعى الله عز وجـل على اليهـود — شعب بنى إسرائيل — خروجهم على التوراة والإنجيل ، وشقاءهم بهذا الكفر بكتب السماء :

« ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » (٦٦ المـائدة) .

أى لعم الرخاء ، وعاشوا فى نعيم وثراء وخصب شديد :

ورسـالة عيسى عليه السـلام إلى الخراف الضالة من شعب إسرائيل قوبلت منهم بالاضطهاد الشديد ، والإيذاء البالغ للمسيح وآله ومن آمن به ، وكانوا عليه عوناً للإمبراطور الرومانى ونوابه على فلسطين .. ودبروا له المؤامرات العديدة .

والإنجيل لفظ يونانى ، أصله (أونجليون) ومعناه (خبر طيب) ، أو بشارة ، وهى الكلمة العربية المرادفة للإنجيل .

وقد بدئ باستعمال الكلمة العربية (البشارة) ، ثم استعمل جستن مارتر (الشهيد) كلمة إنجيل للكتابات التى تتضمن الشهادة الرسولية ليسوع فى عصر مبكر عام ١٥٠ م بمعنى : الكتاب الرسولى المتضمن حياة المسيح على الأرض .

ونسب الكتاب المسيحيون فى القرن الثانى الميلادى الأناجيل الأربعة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، وتسلمت الكنيسة هذه الكتابات كشهادات أو سجلات يوثق بها ، وذات سلطان ، إذ تحتوى على شهادة الرسل عن حياة المسيح وتعاليمه ، وبدأ الكتاب المسيحيون منذ القرن الثانى الميلادى باقتباس هذهِ الأناجيل وشرحها وترجمتها إلى اللغات العالمية آنذاك — كاللاتينية والسريانية والقبطية .

ولاشك فى أن هذه الأناجيل سجلات رسولية صادقة وتؤيد الرسائل فى العهد الجديد صورة حياة المسيح وتعاليمه وأعماله وشخصه كإنسان وإلـه ، كما وردت فى هذه الأناجيل .. ولكل من الأناجيل الأربعة خاصيته المميزة ، فكتب متى من وجهة النظر اليهودية ، وكتب مرقس للأمم ، وللرومانيين بوجه خاص ، وكتب لوقا للمثقفين من اليونان ، أما كتابة بولس فعن عيسى ورحمته بالضعفاء ، وكتب يوحنا عن عيسى الكلمة المتجسد ، الذى يعلن الآب للذين يقبلونه ، وكتبت بعد الأربعة الأناجيل أناجيل كثيرة .

وقد يكون إنجيل مرقس أول الأناجيل المدونة ، والنصارى الأرثوذكس والكاثوليك يقدسون التوراة اليونانية ، والنصارى البروتستانت لايقدسون إلا المكتوبة بالعبرانية .

وقد قبل النصارى على مرور الزمن بعض الأسفار ورفضوا بعضاً آخر منها ، واستلمت الكنيسة المسيحية من اليهود أسفار العهد القديم التى قرر اليهود فى مجمع نيقية عام ٩٠ م قانونيتها .

ويحتوى إنجيل الكنيسة الكاثوليكية على ثلاثة وسبعين سفراً ، بزيادة سبعة أسفار عن الإنجيل نسخة الملك جيمس المطبوعة عام ١٦١١ م وأقدم مخطوطات الإنجيل هى المترجمة النسخة القياسية المنقحة التى تعود إلى أقدم المخطوطات اليدوية ، والتى يرجع تاريخها إلى نحو من مائتى سنة إلى ثلاثمائة سنة بعد المسيح ، فهى أقربها إلى الأصل الحقيقى من أية وثيقة أخرى .

وتعدد الأناجيل واختلافها ، بل اختلافها الواضح الشديد فى نسب المسيح نفسه ، كل نسخة تعطيه ستة وستين أباً وجداً مخالفاً لما فى النسخ الأخرى ، ثم يقال : إن هذا هو ما أنزله الله على عيسى .

إن رسالة عيسى هى لبنى إسرائيل كرسالة موسى ، وهى تصحيح لما أدخل على التوراة من تحريف ، ولكن بمضى الزمن وعدم تسجيل نص الإنجيل فى حياة عيسى واختلاف الرواة فى حياة عيسى وبشاراته ، يكمن التغيير الذى ينافى وحدة النص الإلهى المنزل .

وقد نعى القرآن الكريم على اليهود والمسيحيين تحريفاتهم لنصوص كتبهم المقدسة .. « يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (٧٨ آل عمران) .

ويقول الله عز وجل : « يا أهل الكتاب — اليهود والنصارى — قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب » (١٥ المائدة) .

ويقول عز وجل : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » (٧٣ المائدة) :

ويقول تبارك وتعالى : « وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق .. إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك ، إنك أنت علام الغيوب ، ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به ، أن اعبدوا الله ربى وربكم » .
(١١٦ و ١١٧ المائدة)

الانســـان

ذكر الإنسان فى كتاب الله عز وجل فى خمسة وستين موضعاً ، تحدث فيها القرآن الكريم عن فطرة الإنسان وطبيعته وغرائزه ، وعن خلقه وخلقه ، وعن إيمانه وكفره بخالقه العظيم ، وعن كثير من المعانى التى يعجز المقال والمكان والمناسبة عن الإفاضة فيها .

تحدث القرآن الكريم عن الفطرة الإنسانية فى الإنسان : « فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه، فيقول: ربى أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول : ربى أهانن » (١٥ و ١٦ الفجر) .

وتحدث عن خلق الإنسان من نطفة :

— « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه » (٢ الإنسان) .

— « أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين » (٧٧ يس) .

كما تحدث عن خلق آدم عليه السلام :

— « ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون » (٢٦ الحجر) .

— « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » (١٢ المؤمنون) .

— « خلق الإنسان من صلصال كالفخار » (١٤ الرحمن) .

— « وبدأ خلق الإنسان من طين » (٧ السجدة) .

— « خلق الإنسان من علق » (٢ العلق) .

وتحدث كتاب الله الحكيم عن غرائز الإنسان :

— « وكان الإنسان عجولا » (١٤ الإسراء) .

— « وكان الإنسان قتوراً » (١٠٠ الإسراء) أى بخيلا .

— « وكان الإنسان أكثر شىء جدلا » (٥٤ الكهف) .

— « خلق الإنسان من عجل » (٣٧ الأنبياء) .

— « وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا » (٧٢ الأحزاب) .

— « خلق الإنسان ضعيفاً » (٢٨ النساء) .

— « إن الإنسان خلق هلوعاً » (١٩ المعارج) .

— « لايسأم الإنسان من دعاء الخير » (٤٩ فصلت) .

— « لقد خلقنا الإنسان فى كبد » (٤ البلد) .

أى ليكابد فى الحياة المشقات والأهوال .

كما تحدث عن تمرده وكفره بخالقه العظيم :

— « وكان الإنسان كفوراً » (٦٧ الإسراء) .

— « إن الإنسان لكفور » (٦٦ الحج) .

— « إن الإنسان لكفور مبين » (١٥ الزخرف) .

— « قتل الإنسان ما أكفره » (١٧ سورة عبس) .

— « إن الإنسان ليطغى » (٦ العلق) .

— « إن الإنسان لفى خسر » (٢ العصر) .

كما تحدث عن عداوة الشيطان للإنسان :

— « إن الشيطان للإنسان عدو مبين » (٥ يوسف) .

— « إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً » (٥٣ الإسراء) .

— « وكان الشيطان للإنسان خذولا » (٢٩ الفرقان) .

— « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر » (١٦ الحشر) .

وتحدث عن كثير من المعانى المتصلة بالإنسان .. وهكذا خاطب الله عز وجل الإنسان ونصحه ووجهه :

— « يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ؟ » (٦ الانفطار) .

— « يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً » (٦ الانشقاق) .

أى مسرع الخطى إلى الموت ولقاء الله عز وجل ، مهما طال الأمد ومهما امتدت الأيام فمصير الإنسان إلى الموت لامحالة .

وعظم الله عز وجل الإنسان فسمى سورة من سور القرآن الكريم باسم (الإنسان) تحدث فيها الله عز وجل عن خلق الإنسان ، وعن إيمانه وكفره ، وعن جزاء الكافرين وجزاء المؤمنين عند الله فى اليوم الآخر ، وعن صفات المؤمنين التى أهلته لرضاء الله ورحمته وجنته يوم القيامة، وخاطب الله عز وجل رسوله الكريم بأنه أنزل عليه القرآن الحكيم ، ودعاه إلى الصبر على عنت المشركين والكافرين ، كما دعاه إلى الصلاة وذكر الله ، والإعراض عن الكافرين ، الذين آثروا العاجلة على الآجلة ، والدار الفانية على الدار الباقية .

وهكذا أحاط الله الإنسان بنوره ، ووجهه بإرسال رسله ، وأنزل الكتاب المبين لهدايته ، وأرشده إلى طريق الخير ، وحذره من طريق الشر ، ودعاه إلى مخالفة الهوى والشيطان ، لأنهما أعدى أعداء الإنسان ، وإذا اتبعهما الإنسان خسر خسراناً مبيناً : « إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » (٢ و ٣ العصر) .

وما أعظم الإنسان إن استضاء بهدى الله ، واتبع شريعته ، ولزم طاعته ، وخالف الشيطان ، واجتنب هوى النفس ووسوستها .

إن الإنسان الذى يؤمن بالله ، والذى أطاع الله واتقاه ، والذى أخلص له العمل الصالح ، لهو الإنسان الذى أراده الله لخلافته فى الأرض ، وسخر له السماء والأرض ، وآتاه مقاليد الكون ، وفتح له مغاليق أسرار الحياة ، ووهبه العقل الذى سخر به كل شيء لخيره ونفعه وسعادته .

أيــوب

ورد ذكر أيوب عليه السلام فى كتاب الله العزيز أربع مرات فى سور :

— النساء (فى الآية ١٦٣) .

— الأنعام (فى الآية ٨٤) .

— الأنبياء (فى الآية ٨٣) .

— ص (فى الآية ٤١) .

ويذكر الله عز وجل فى القرآن الكريم أيوب من الأنبياء ، ويقص علينا قصته ، قصة الصبر على المحنة ، والتسليم لأمر الله وقضائه وقدره الحكيم .

ولقد صار صبر أيوب مثلا شروداً سائراً فى الناس على طول الزمان والعصور والأجيـال .

وكان أيوب عليه السلام يسكن فى أيدوم جنوبى البحر الميت ، وقيل إنه كان قبل زمن إبراهيم خليل الله بأكثر من مائة عام .

وكان أيوب عبداً تقياً صالحاً ، أنعم الله عليه بذرية طيبة ، بنات وبنين ، وبأموال كثيرة من النعم والغنم ، وعاش شاكراً لله عز وجل أنعمه عليه .

وفى سفر أيوب فى العهد القديم أن إبليس قال لله عز وجـل : إن أيوب لا يعبدك ولا يشكرك حباً فى ذاتك ، وإنما يفعل ذلك لما أنعمت به عليه من النعم الوفيرة ، فإن شئت فاختبره ، وأرادت حكمة الله عز وجل أن تظهر إيمان أيوب وكذب الشيطان ، فابتلى الله عز وجل نبيه فى أمواله ، ثم فى أولاده ، ثم فى نفسه ، فلم يصرف ذلك كله نبى الله أيوب عن شكر مولاه ، وصبر على ما ابتلاه به من محن وخطوب ، ولا يزيد على قوله : « إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين » .

وذهبت المحنة ، وأعاد الله عز وجل لعبده الصابر ماله وأولاده ، ووهب له أهله ، ومثلهم معه شفقة عليه ورحمة به ، وجزاء له على ما قدم من شكر وصبر :

« ... إنا وجدناه صابراً ، نعم العبد إنه أواب » (٤٤ ص) .

وكان أول ما فعل الله عز وجل بعبده أيوب عليه السلام حين أراد أن يكشف عنه الضر أن أشار إليه أن يركض برجله ، ففعل ، فإذا به يرى ماء معيناً فيغتسل ويشرب منه ، ويبرأ من مرضه .

ووقعت امرأة أيوب فى خطإ ، فأقسم أيوب أن يضربها إن برئ مائة ضربة .

ولما كانت هذه الزوجة قد أحسنت القيام على زوجها فى مرضه ، رحمها الله عز وجل ، فأمر أيوب أن يبر بقسمه ، فيضربها مائة ضربة بحزمة صغيرة من حشيش أو على ما يروى : يضربها مرة واحدة بحزمة من مائة عود .

وفى سفر أيوب فى العهد القديم الكثير من الأمثال والحكم المتعلقة بالإيمان والصبر والتسليم والشكر والرضا لله رب العالمين .

إن أيوب لمثل عظيم فى قوة الإيمان وحرارة العقيدة والعاطفة والإخلاص لخالق الأرض والسموات أجمعين .

وفى الصبر والتسليم لله الإيمان كله ، واليقين برحمة أرحم الراحمين .

وفى الصمود على المحن والخطوب والبلاء تفويض لأمر الله ، وترك لمشيئته ، وتسليم بأن العبد مهما فعل لن يستطيع أن يغير قضاء الله ، ولا أن يدفع أمر الله ، ولا أن يجلب لنفسه نفعاً ، ولا أن يدفع عنها ضراً .

التسليم لله خالق الخلق أجمعين هو كمال الإيمان ، وعظمة اليقين ، وهو سر الإخلاص لله والتفويض لأمره الحكيم .

الآيــــة

الآية : هي الفقرة من سور القرآن الكريم ، ولم تطلق الآية على أثر من الآثار إلا على آيات القرآن الكريم وقد وردت لفظة آية مفرداً ومثنى وجمعاً فى القرآن الكريم فى نحو ثمانين وثلاثمائة موضع .

وللآية فى القرآن الكريم عدة معان :

المعنى الأول : العلامة .

— « ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره » (٢٥ الروم) :

أى ومن علامات ودلائل قدرة الله ووحدانيته عز وجل قيام السماء والأرض بأمره ، فالذى خلق السماء وأقامها وخلق الأرض وبسطها لاشك أنه واحد قادر :

— « فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون » (٤٧ الزخرف) .

— « ومن آياته أن خلقكم من تراب » (٢٠ الروم) .

أى من علامات ودلائل قدرة الله عز وجل أن خلق الإنسان من تراب ، لأنه يعيش على النباتات ويحيا بها ، والنباتات مخلوقة من تراب ، فهى لاتنمو إلا فى تربة التراب حتى إذا نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج .

— « رب اجعل لى آية ، قال : آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام » (٤١ آل عمران)

والمعنى الثانى من معانى الآية : العبرة والعظة :

— « وجعلنا ابن مريم وأمه آية » (٥٠ من سورة المؤمنون) .

— « فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين » (١٢ العنكبوت). أى عبرة وعظة .

— « إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » (١١ و ٦٩ من سورة النحل) . أى عبرة وعظة .

والمعنى الثالث : الفقرة من فقر سور القرآن الكريم :

« قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » (٩٧ الأنعام) :

— « قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون » (٢٦ الأنعام) .

— « قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون » (٩٨ الأنعام) .

— « كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » (٢٢ الأعراف) .

— « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله » (١٥ يونس) .

— « وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً » (٧ لقمان) .

وقد يكون إطلاق لفظة الآية على الفقرة من سور القرآن الكريم لأنها نعمة كبرى من نعم الله عز وجل على خلقه بأن هداهم بها للإيمان ، ولم تستعمل لفظة الآية فى كلام أى بليغ أو أديب للدلالة على فقرة من فقرات أدبه وبلاغته .. فهى خصوصية لآيات القرآن الكريم ، الذى نزل على محمد رسول الله وخاتم النبيين ، صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته إلى يوم الدين .

البــديع

البديع : لفظ قرآنى كريم ، ورد فى كتاب الله الحكيم فى موضعين :

الأول : فى الآية ١١٧ من سورة البقرة :

« بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » :

وقبل هذه الآية : « وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ، بل له مافى السموات والأرض كل له قانتون » .

ومعنى « بديع السموات والأرض » أى مبدعهما وخالقهما وموجدهما ، لا على مثال سابق .

« وإذا قضى أمراً » : أى أراد إيجاده ، فإنما يقول له « كن فيكون » ، أى يأمر بوجوده فيوجد فعلا دونما تأخير .

والثانى فى الآية ١٠١ من سورة الأنعام ، وهى قوله تعالى : « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم » .

وهو رد على من نسب لله بنين وبنات ، وكيف يكون له ولد ، وليس له صاحبة ، أى زوجة ، وهو الخالق للسموات والأرض ، ولكل شىء ، فهو غنى عن الصاحبة والولد .. وهو بكل شىء عليم .

وهنا فى الموضعين اللذين وردت فيهما كلمة (بديع) يجىء الكلام للرد على من زعم أن لله ولداً ، وهو زعم مفترى ، ودليل رأى قاصر ، وبرهان على عقل لايعقل ، وعلى ذهن متبلد ، وعلى فكر متحجر ، وهؤلاء الذين ينسبون لله الولد ، ويدعون أن عيسى أو غيره ابن لله ، لايستحقون عناء الرد عليهم ، والله عز وجل يقول فيهم : « وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله ، أنى يؤفكون » .

وقد رد الله عز وجل على هؤلاء الذين ينسبون لله الولد ، فى الموضعين بأدلة لاتجحد وهى :

١ — الله عز وجل غنى عن الولد ، لأنه مبدع السموات والأرض وخالقهما على غير مثال ، والذى بلغت قدرته حداً لا يوصف بخلق هذا الكون العظيم ليس بحاجة إلى الولد .

٢ — كيف يكون لله ولد ، وليس له صاحبة (أى زوجة) ؟

٣ — لله كل مافى السموات والأرض ، وكل له عابدون قانتون ، فما حاجته إلى الولد ؟ .

٤ — قدرته باهرة لا يعجزها شيء فى الأرض ولا فى السموات ، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له : « كن ، فيكون » ، فما حاجته إلى الولد الذى يطلبه أب يريد أن يتقوى بولده على مصاعب الحياة وتكاليف العيش وعجز الشيخوخة .

٥ — الله عز وجل هو خالق كل شيء ، وهو العليم بكل شيء ، فهو المستغنى عن كل أحد ، وكل شيء ، فما حاجته إلى الولد ؟ .

أدلة قوية ترشد إلى الإلـه العظيم الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، وليس له كفواً أحد .

وإبداع الله عز وجل يتجلى حقاً وصدقاً فى خلق السموات والأرض ، السموات بكواكبها وأفلاكها ومجراتها ونجومها وشمسها وقمرها ، والأرض بجبالها وبحارها ومحيطاتها وأنهارها وقاراتها وجزرها ومعادنها وثرواتها ونباتها وحيوانها وإنسها وجنها .

هذا الكون العظيم لايقدر على خلقه إلا إلـه عظيم قادر مبدع ، وإبداعه العظيم يتجلى فى كل شيء فى الكون ، فى الليل والنهار ، فى الشمس والقمر ، فى السحاب والماء ، فى النبات والحيوان والإنسان ، فى المدر والحضر والجبال والأنهار جل جلاله ، وتعالت عظمته ، وتباركت آياته وحكمته .

الكون بمجراته الهائلة ، بكواكبه العظمى ، بنجومه التى ترصع السماء ، بعظمته التى تحير عقل الإنسان لا يستطيع خلقه وإيجاده إلا إله قادر قوى مبدع حقاً ، إبداعاً يتجلى فى كل حركة وسكون ، وكل صغيرة وكبيرة ، وكل جرم عظيم

أو ذرات صغيرة من ذرات هذا الكون الكبير ، الذى يذهل عقول العلماء ، ويحير ألباب المفكرين .

ليس فى الكون إلا الله ، الخالق ، البارئ ، المصور ، هو الباقى بلا انتهاء ، وهو الأول بلا ابتداء ، وهو الخالد بلا فناء ، وهو المصرف لكل شىء بلا عجز أو إعياء ، وتبارك الله رب الأرض والسماء ، تباركت قدرته ، وتباركت كلمته ، وتباركت حكمته وعظمته .

أيها الإنسان ، إنك لاتبلغ فى هذا الكون الكبير حجم ذرة ، ولا تستطيع أن تخلق ذبابة ولو مرة ، وأنت دائماً تحمل على الحياة ومبدعها وكأنك مخلوق من ثورة : « يا أيها الإنسان ، ما غرك بربك الكريم ؟ الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ما شاء ركبك » .

أولى بالإنسان الضعيف ، أن يؤمن وأن يعبد إله هذا الكون العظيم .

البــــر

البر : كل خير تصنعه وتضعه فى موضعه ، تعاون به إنساناً أو غير إنسان ، تجلب خيراً أو تدفع شراً عن ذى روح .

والبر أمر به الله عز وجل عباده ، وحثهم عليه ، وألزمهم به :

والبر صفة إنسانية نبيلة ..

— أن تتصدق على فقير .. برّ .

— وأن تربى يتيماً .. برّ .

— وأن تخفف الآلام عن مكروب .. برّ .

— وأن تكسو عارياً .. برّ .

— وأن توصى غيرك بعمل خير .. برّ .

— وأن تطعم الجائع طعاماً .. برّ .

— وأن تزرع البسمة فى وجوه المتعبين .. برّ .

يقول الله عز وجل : « وتعاونوا على البر والتقوى » (٢ المائدة) .

ويقول عز من قائل : « وتناجوا بالبر والتقوى » (٩ المجادلة) .

ويمدح الله عز وجل عباده بعمل البر : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » : (٩٢ آل عمران)

أى لن تنالوا هذه الدرجة الرفيعة ، درجة صنع البر ، حتى تنفقوا فى سبيل الله ما تحبون من مال .

ويقول عز وجل : « ولكن البر من اتقى » (١٨٩ البقرة) .

ويقول : « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب » : (١٧٧ البقرة) :

ويقول عز وجل : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » (٤٤ البقرة) :

إن عمل الخير ، والأمر به ، والسير فى سبيله .. بر ، وإن الكلمة الطيبة برّ ، وإن النصيحة الطيبة .. برّ .

وفى الحديث الشريف : (البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس) رواه مسلم .. حاك فى نفسك : أى تردد فيها ونال التفكير منها بإصرار على عمله ، وعزم على فعله .

وعن وابصة بن معبد قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : جئت تسأل عن البر ؟ قلت : نعم . قال : (استفت قلبك .. البر : ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم : ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك) .

ويقرن البر كثيراً بالمعروف ، نقول : البر والمعروف ، فالبر عمل الخير ، والمعروف الالتزام بكل محمدة وصنع المآثر والأعمال الباقية الطيبة من خير وصدقة وإحسان وقول طيب وفعل كريم .

ليت كل مسلم يلزم نفسه بعمل البر ، وصنع الخير ، والرغبة فى المعروف ، لينال رضاء الله ، وحمد الناس ، وحب الملائكة ، وثواب الآخرة .

البشـــرى

البشرى وما هو من مادتها أيضاً جاء فى القرآن الكريم فى عدة مواضع :

(أولا) لفظة « يستبشرون » :

— « يستبشرون بنعمة من الله وفضل » (١٧٢ آل عمران) .

— « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » (١٧٠ آل عمران) .

أى يفرحون بإخوانهم الذين بقوا فى الدنيا من بعدهم لأنهم يرجون أن يستشهدوا مثلهم فينالوا مثل ما نالوا من الشهادة .

— « فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون » (١٢٤ التوبة) :

— « وجاء أهل المدينة يستبشرون » (٦٧ الحجر) .

— « فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون » (٤٨ الروم) ؛ والضمير فى « به » يعود على السحاب ، أى المطر .

— « وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون » (٤٥ الزمر) .

أى إذا ذكرت الأصنام التى يعبدونها من دون الله استبشروا بها .

والحديث عن المشركين .

— « فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به » (١١١ التوبة) .

(ثانياً) لفظة « البشرى » :

— « وهو الذى يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته » (٥٧ الأعراف) ، أى مبشرة بالمطر .

— « ومن يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته » (٦٣ النمل) .

— « وهو الذى أرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته » (٤٨ الفرقان) :

وهذه الثلاثة تنون فيها كلمة (بشرى) فتكون بمعنى متفرقة ، أو لا تنون فتكون (بشرى) .

— « وهدى وبشرى للمؤمنين » (٩٧ البقرة) .

— « وما جعله الله إلا بشرى لكم » (١٢٦ آل عمران) .

— « وما جعله الله إلا بشرى » (١٠ الأنفال) :

— « لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » (٦٤ يونس) .

— « ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى » (٦٩ هود) .

— « فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى » (٧٤ هود) .

— « قال يا بشرى هذا غلام » (١٩ يوسف) .

— « وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » (٨٩ النحل) :

— « وهدى وبشرى للمسلمين » (١٠٢ النحل) .

— « لا بشرى يومئذ للمجرمين » (٢٢ الفرقان) :

— « هدى وبشرى للمؤمنين » (٢ النمل) .

— « ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى » (٣١ العنكبوت) .

— « وأنابوا إلى الله لهم البشرى » (١٧ الزمر) .

— « وبشرى للمحسنين » (١٢ الأحقاف) .

— « بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار » (١٢ الحديد) :

(ثالثاً) لفظة « بشير » ، وهو كثير :

— « ما جاءنا من بشير ولا نذير » (١٩ المائدة) .

— « فقد جاءكم بشير ونذير » (١٩ المائدة) .

— « إن أنا إلا نذير وبشير » (١٨٨ الأعراف) .

— « إننى لكم منه نذير وبشير » (٢ هود) .

— « فلما أن جاء البشير » (٩٦ يوسف) .

— « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً » (١١٩ البقرة) :

— « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » (٢٨ سبأ) .

— « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً » (٢٤ فاطر) :

— « بشيراً ونذيراً » (٤ فصلت) :

(رابعاً) لفظة « مبشر » والفعل منها :

— « يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات » (٢١ التوبة) .
— « وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً » (١٠٥ الإسراء ، ٥٦ الفرقان) .
— « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً » (٤٥ الأحزاب ، ٨ الفتح) .
— « ومبشراً برسول يأتي من بعدى » (٦ الصف) .
— « فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » (٢١٠ البقرة) .
— « رسلا مبشرين ومنذرين » (١٦٥ النساء) .
— « إلا مبشرين ومنذرين » (٤٨ الأنعام ، ٥٦ الكهف) .
— « ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات » (٤٦ الروم) .

والمادة كلها بشارة بخير ، وفرح به ، وسرور له ، ترحيب بناقليه ، وهى تدل على تفاؤل الإنسان وعلى سعادته بسماع ما يفرحه من الأشياء والأخبار وغيرها .

وعلى الجملة فهى تدل على كل ما يسر الإنسان ، وعلى الاستبشار بسماعه .

البــــلاغ

نسمع فى جيلنا منذ نحو ثلث قرن أو يزيد لفظة (الإعلام) ، وأصبح الإعلام علماً ، وأصبحت له كليات تسمى (كليات الإعلام) ، وأصبح فى كل الدول للإعلام وزارات تسمى باسم (وزارات الإعلام) ؛ والإعلام له شأن فى حياة البشرية من قبل ومن بعد ، وليست حقيقة الإعلام مجهولة ، فالإعلام وجد فى كل عصر ، وبلغت به كل الرسالات السماوية ، وصاحب مسيرة الإنسانية حتى اليوم .. ولفظ (الإعلام) قد يكون جديداً فى الدلالة على مضمونه : ومعناه لغة : التبليغ ، واصطلاحاً : هو علم بسلوكيات الدعوة والدعاية والإعلان :

وهل جاءك نبأ اللفظ الذى عبرت به لغة القرآن الكريم عن مضمون الإعلام؟

وهل جاءك نبأ اللفظ الذى وضعه القرآن الكريم لمضمون هذه الحقيقة التى تشغل أنفسنا بها ، أو تشغل هى أنفسنا بها ؟

إنه لفظ (البلاغ) .. لفظ خفيف فى وزنه وحروفه ، عميق فى مدلوله ، عمق جماله فى مبناه .

ولفظ (البلاغ) تكرر فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة :

— « فإنما على رسولنا البلاغ المبين » (١٢ من سورة التغابن) .
— « فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » (٩٢ من سورة المائدة) .
— « فإنما عليك البلاغ » (٢٠ من سورة آل عمران) .
— « ما على الرسول إلا البلاغ » (٩٩ من سورة المائدة) .
— « فإنما عليك البلاغ » (٤٠ من سورة الرعد) .
— « هذا بلاغ للناس » (٥٢ من سورة إبراهيم) .
— « فهل على الرسل إلا البلاغ المبين » (٣٥ من سورة النحل) .
— « فإنما عليك البلاغ المبين » (٨٢ من سورة النحل أيضاً) .
— « ما على الرسول إلا البلاغ المبين » (٥٤ من سورة النور) .
— « وما على الرسول إلا البلاغ المبين » (١٨ من سورة العنكبوت) .
— « وما علينا إلا البلاغ المبين » (١٧ من سورة يس) .

— « إن عليك إلا البلاغ » (٤٨ من سورة الشورى) .

— « بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون » (٣٥ من سورة الأحقاف) .

— « إن فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين » (١٠٦ من سورة الأنبياء) .

— « إلا بلاغاً من الله ورسالاته » (٢٣ من سورة الجن) .

البلاغ هنا هو الإعلام بالرسالة السماوية ، وقد يطلق لفظ (بلاغ) ويراد به نفس الرسالة على سبيل المجاز .

وما أصدق دلالة لفظ بلاغ على الإعلام ، وأمامنا الآية الكريمة : « هـذا بلاغ للناس ، ولينذروا به ، وليعلموا أنمـا هو إله واحد ، وليذّكر أولوا الألباب » (٥٢ من سورة إبراهيم) ، فالمراد هذا البيان المفصل ، أو هذا الكتاب المنزل ، أو هذا الكلام الذى يقوله النبى المرسل ، بلاغ للناس .

إن القرآن الكريم بلاغ للناس ، إنه صحيفة الرسالة السماوية ، إنه كتاب نزل لإعلام الناس بمضمون الموحى المحمدى ، إنه البيان الذى ليس بعده بيان ، وعلى من يسمعه أن يبادر إلى الإيمان ، فهو طوق النجاة لمن أراد النجاة ، وهو حبل الله المتين ، من استمسك به نجا ، ومن ضلّ عنه هلك ، هو نشيد التوحيد ، هو كتاب الإيمان ، هو طريق النجاة والفوز ، هو منهج رفيع لإصلاح البشرية ، وإنقـاذ الإنسانية ، هو النور السافر ، والبدر الزاهر ، هو البحر الزاخر ، والربيع الناضر ، والزهر العاطر ، هو الأمل فى الدنيا والآخرة .. وليت الإنسانية كلها ، والناس كلهم ، تعلم ويعلمون أن هذه السفينة الخرقاء التى نركبها ، سوف تهوى بالعالم كله إلى قاع المحيط ، وأن النجاة لن تكون إلا بالقرآن الكريم ، وعلى يدى شريعة سيد المرسلين :

— يا دعاة الإصـلاح .

— يا أيها المنادون بالسلام .

— يا أيها الناس عامة : هـذا هو القرآن الكريم ، هـذه هى الرسالة العظمى ودعوة الرسول العظيم ؛ آمنوا قبل أن يأتيكم العذاب ، أسلموا لله خاشعين ، آمنوا بالله مصدقين مذعنين .

يا دعاة التقـدم : لن تجدوا تقدماً حقيقياً إنسانياً إلا فى ظل الإسـلام وكتابه القرآن ، ورسوله النبى المصطفى المختار .. وسلام على من اتبع الهدى .

التهجـــد

وردت هذه الكلمة فى كتاب الله فى موضع واحد هو الآية ٧٩ من سورة الإسراء : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » ، الضمير فى « به » للقرآن .

والتهجد : السهر وترك الهجود ، أى ترك النوم ، وقبل ذلك : « وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهوداً » ، أى تشهده الملائكة ، إذ يجتمع فيه ملائكة الليل وملائكة النهار ، تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار .

وعبرَّ عن صلاة الصبح بقرآن الفجر ، لأن القرآن يقرأ فيها كثيراً ، لأنها تصلى بقراءة سورتين طويلتين ، ولما أمرنا بالفرائض أمرنا بعدها بالنوافل .. وبعد ذلك قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » ، وهو الشفاعة يوم القيامة .

فالتهجد هو السهر ليلا فى عبادة الله وطاعته بالصلاة وقراءة القرآن وذكر الله عز وجل . وفى كتاب الله عز وجـل : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » (السجدة : ١٦) ، وفيه كذلك : « كانوا قليلا من الليل مايهجعون » . (الذاريات : ١٧)

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً) متفق عليه .

وعن على رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا ، فقال : أفلا تصليان ؟

وعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم عن أبيه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل ، قال سالم : فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا) متفق عليه .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عبد الله ، لا تكن مثل فلان ، كان يقوم الليل فترك قيام الليل .

وفى الحديث : (أيها الناس ، افشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل) رواه مسلم .

وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : أن االنبى صلى الله عليه وسلم كان ينام أول الليل ويقوم آخره فيصلى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح فى وجهها الماء ، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها ، فإن أبى نضحت فى وجهه الماء) رواه أبو داود بإسناد صحيح .

والتهجد : هو استحضار لشخصية الإنسان المسلم ،ولمكانه عند الله عز وجل، وهو حضور بالروح والقلب والجسم بين يدى المولى العظيم ، وهو نسيان لماديات الحياة وهمومها ، واستحضار لعظمة الله وجلاله ، وهو تأكيد للإيمان ، وتوثيق لمعنى الإسلام فى وجدان المسلم ، وهو لب العبادة ، وهجر طويل للشيطان ، وليس كصلاة السحر نسياناً للدنيا وما فيها ، وتذكراً للآخرة وأهوالها ، وتشوقاً للقاء المولى العظيم .

التـــوراة

التوراة : كتاب الله المنزل على موسى رسوله الكريم ، صلوات الله عليه ورحمته وبركاته .

وهو شريعة السماء لبنى إسرائيل كافة ، وقد نزلت على موسى من فوق جبل الطور ، وهو يناجى ربه بعد عودته من مدين ، وبعد انتهاء ضيافة شعيب عليـــه السلام له ، ومصاهرة موسى إياه بزواجه من ابنته وعمله عنده سبع أو عشر سنين .

وقد ورد لفظ (التوراة) فى كتاب الله فى ثمانية عشر موضعاً ، منها الآية الثالثة من سورة آل عمران : « وأنزل التوراة والإنجيل » ، والآية الثامنة والأربعون من السورة نفسها : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل » ، والآية ٤٤ من سورة المـائدة : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور » .

وفى عشر مواضع من هذه المواضع الثمانية عشر ذكرت التوراة منفردة ، وفى الثمانية الباقية ذكرت مقترنة بالإنجيل .

والتوراة والإنجيل نزلا رسـالة من السماء على موسى وعيسى لبنى إسرائيل .

وقد أمر الله موسى أن يصعد إلى الجبل ، ليعطيه ألواح التوراة وفيها الشريعة والوصية التى كتبها لتعليم بنى إسرائيل . (سفر الخروج ١٢/١٤) .

ونزل نبى الله من الجبل واللوحان المكتوب عليهما كلمات العهد — أى الوصايا العشر — فى يده . (الخروج ٢٩/٣٤) .

وكتب موسى التوراة وسلمها للكهنة من بنى لاوى حاملى تابوت عهد الرب ، ولم ينشرها فى بنى إسرائيل خوفاً من اختلافهم بعده فى تأويلها .

وبعـد وفاته خلفه يوشـع على شعب بنى إسرائيل ، واختص سبط لاوى بالخدمة الدينية ، واختص منه أبناء هارون بالكهنوت ، وهم الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها ، حيث كان كل واحد منهم يحفظ فصلا من فصولها .

وبعد فترة أخذ بنو إسرائيل يعبدون آلهة الشـعوب المجاورة لهم ، وفى بعض

المعارك التى اشتركوا فيها هربوا من الميدان واستولى الفلسطينيون منهم على تابوت عهد الرب، ثم تم الصلح بينهم على إعادته بعد سبعة أشهر (صموئيل ٥ ، ٦/١—٤).

وقد اختار صموئيل ملكاً لشعبه هو شاؤل (طالوت) فغادهم فى الحروب (صموئيل ٨ و ٩ و ١٠) ، وحكم داود وسليمان بعده الشعب ، وسليمان هو الذى بنى الهيكل ، وجمع زعماء قومه فى العيد ، لوضع التابوت فى المحراب ، ولما فتح التابوت بعد أن وضع فى محراب الهيكل لم يوجد فيه إلا لوحا الحجر (الملوك الأول ٨/١ — ١١) ، وهكذا فقدت التوراة فى ظروف غامضة ، ولا يعلم جزماً متى ضاعت .

وبعد أجيال أخذ شعب بنى إسرائيل يعبد الأصنام ويترك أحكام التوراة ، ويكفرون بالله ، ويقتلون النبيين ، وغزا ملك آشور أرضهم ، وأجلى خلفه سرجون الآشورى الشعب عن بلاده وفرقهم فى مملكته ، واختفت التوراة من الوجود ، إلى أن عثر عليها فى بيت الرب (الملوك الثانى ٢٢/١ — ١١ ، وأخبار الأيام الثانى ٣٤/١ — ٢٠) ، ويغلب على الظن أن تكون التوراة التى زعموا أنهم عثروا عليها قد بدِّلت .

ثم غزا (بختنصر) أرض بنى إسرائيل وحطم مملكة يهوذا ، وأحرق القدس والهيكل بعد أن أخذ منه التابوت ، وذلك عام ٥٨٨ ق . م ، وقتل الكهنة ، وسبى اليهود جميعاً إلى بابل (الملوك الثانى ٢٤ و ٢٥ — وأخبار الأيام الثانى ٣٦) .

وظل اليهود فى الأسر خمسين عاماً حتى سمح كورش ملك الفرس لهم بالعودة إلى أرض فلسطين ، حيث أعادوا القدس والهيكل (عزرا ١ — ٦ — وسفر نحميا ١ — ٧) ، ولم يضعوا فيه تابوت عهد الرب ، لأن نبى الله أرميا كان قد أخذه ، ودفنه فى إحدى المغارات فى مؤاب مقابل أريحا ، فلم يهتد أحد إلى مكانه حتى اليوم ، وأخذ عزرا فى ظل الفرس هو والكهنة معه على تذكير الشعب بالسرية ، وهو الذى جمع أسفار التوراة ونظمها كما يقولون ، ومع مرور الزمن أدخلوا عليها التعديلات والأساطير المختلفة ، وسفر التثنية هو من كتابة عزرا ، والمرجح أن أسفار التوراة الخمسة أخذت صورتها الأخيرة حوالى عام ٣٠٠ ق . م .

والسامريون ينفصلون عن غيرهم من شعب بنى إسرائيل بتوراة خاصة بهم

لا تضم إلا الأسفار الخمسة ، ويرفضون ما سـواها ، وهكذا ظهرت نسختين مختلفتين من التوراة بعد العودة .

وحين غزا الإمبراطور الرومانى أرض بنى إسرائيل أباد اليهود ، واقتحم الهيكل ، واستولى على ما فيه ، وأحرق جميع نسخ العهد القديم ، وحرم العمـل بالشريعة اليهودية ، ومزق ما وجد من نسخ التوراة وأسفار الشريعة ، فلم يعـد أحد يعترف بأنه يهودى أصلا .

وإذا كانت قد بقيت نسخة من التوراة ، عند أحد ظهرت فيما بعد ، فهى مظنة للتحريف والتبديل ، بسبب فقدان السند لديهم .

وفى عام ٧٠ م حاصر جيش الإمبراطور الرومانى القدس ، وخربوا المدينة ، وأضرموا النار فى الهيكل ، ومزقوا الأسفار والتوراة شر ممزق .

وما وجد بعد ذلك فهو — ولا ريب — منقول بعد تحريفات كثيرة متتالية .

وقد اعتمدنا فى هذه الحقيقة على بحث للأستاذ عبد الوهاب عبد السلام منشور فى مجلة (منار الإسلام) عدد ذى القعدة ١٤٠٨ هـ ، عن التاريخ الكامل للتوراة .

الثـــواب

الثواب : الجزاء على الأعمال الصالحة والمكافأة عليها ، وهو ضد العقاب ، وهو الجزاء على الأعمال الفاسدة وتوقيع العقوبة عليها ، وفى كتاب الله الحكيم : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ،ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (٧و٨ الزلزلة)

وقد عبر الله عز وجل عن العقاب بالخسران ، فقال : « إن الإنسان لفى خسر» (٢ العصر) ، أى خسران ومسئولية وحساب شديد ، وذكر أن الذين ينجون من ذلك ، وهم الذين يلقون الثواب والمكافأة ، هم « الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (٣ العصر) .

والثواب والمكافأة قد يكونان فى الدنيا ، وقد يكونان فى الآخرة ، وكل إنسان وما يريد له ربه من توفيق وخير ومثوبة وجزاء .. إن شاء الله عز وجل ، أغدق عليه نعيم الدنيا ، وإن شاء أغدق عليه نعيم الآخرة ، يقول عز وجل : « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » (١٤٥ آل عمران) .

وإرادة العبد هنا موقوفة على إرادة الله عز وجل ، والعبد مظهر لتوفيق الله ، إن وفقه الله للآخرة عمل لها وانتظر جزاءه فيها وقنع بهذا الجزاء الكبير الأوفى ، وإن تطلعت نفسه إلى جزاء الدنيا أعطاه الله نصيباً منها ويسر له أموره فيها .

وفى كتاب الله عز وجل : « فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة » (١٤٨ آل عمران) ، أى جمع لهم بين الجزاءين والمكافأتين .

ويقول تعالى : « والله عنده حسن الثواب » (١٩٥ آل عمران) ، وصدق الله العظيم ، فإن أعظم الثواب وأحسنه هو ثواب الآخرة ، حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ويقول : « من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة » (١٣٤ النساء) ، أى هو القادر على أن يكافئ عباده الصالحين فى الدارين ويمتعهم بالنعيمين .

ويعزز الله عز وجل ذلك بقوله تعالى : « ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل

صالحاً » (٨٠ القصص) :: ويقول : « متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب » (٣١ سورة الكهف) ، أى لا ثواب يعدل ثواب الآخرة .

وتتكرر كلمة الثواب فى كتاب الله عز وجل فى مواضع كثيرة :

— « لأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله » . (١٩٥ آل عمران)

— « هو خير ثواباً » (٤٤ الكهف) .

— « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً » (٤٦ الكهف ، ٧٦ مريم) .

مما يشير إلى أن ثواب الآخرة هو عند الله عز وجل أفضل جزاء ، وأعظم مكافأة للصالحين من عباده ، والثواب هو عدالة الله وميزانه المستقيم فى محاسبة عباده فى الآخرة ، فلا ظلم ولا طغيان ، ولا هضم لحق أحد ، بل عدالة تامة ، كل يأخذ حقه ، لا افتئات على حق إنسان .. وذلك هو الإنصاف الكامل .

فكل مجزى بما قدم وأخر ، وكل من عمل صالحاً فإنه سيلقى جزاء ما عمل ، ومن يزرع الخير يحصد الخير ، ويجن الثمر الطيب فى الحياة وبعد الحياة .

جبـــريل

جبريل عليه السلام : ملك الوحى الذى كان ينزل بشرائع السماء على أنبياء الله ورسله ، والذى كان يبلغهم الكتب السماوية المنزلة ، والذى نزل القــرآن الكريم على محمد بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وقد جاء ذكر جبريل فى كتاب الله عز وجل فى عدة مواضع :

١ ـ الموضع الأول (فى الآية السابعة والتسعين من سورة البقرة) ، وهـو قوله تعـالى : « قل من كان عدواً لجبريل ، فإنه نزله على قلبك بإذن الله ... » ، أى فإن الله عز وجل نزل القرآن على نبيه محمد على يدى جبريل ملك الوحى .

٢ ـ والموضع الثانى (فى الآية التى تلى الآية السابقة من سورة البقرة) ، وهو قوله تعالى : « من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عـدو للكافرين » .

٣ ـ والموضع الثالث (فى الآية الرابعة من سورة التحريم) ، وهو قولـه تعالى فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير » .

أى فإن الله عز وجل هو ناصر رسوله : وجبريل والمؤمنون الصالحون معه بتأييدهم ودعائهم وعونهم والملائكة كذلك أعوان ونصراء وظهراء له فى نصره وتأييده .

وقد سمى الله عز وجل جبريل عليه السلام «روح القدس» أيضاً (١٠٢ النحل) : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق » .

والضمير فى « نزّله » للقرآن الكريم .

وسماه كذلك « الروح الأمين » (١٩٣ الشعراء) : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين » .

والضمير فى « به » للقرآن الكريم أيضاً .

وسماه الله عز وجل كذلك « الروح » فقال عز وجل فى كتابه الحكيم :

— « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً » (٣٨ من سورة النبأ) .

— « تنزَّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر » (٤ سورة القدر) .

— « فعرج الملائكة والروح إليه » (٤ من سورة المعارج) .

— « فأرسلنا إليها روحنا » (١٧ من سورة مريم) .

ولجبريل عليه السلام مقامه الكريم عند الله عز وجل ، وعند رسله وأنبيائه ، فهو حامل رسالات السماء ، ومبلغ شرائع الله إلى الأنبياء ، وهو الوحى الأمين ، والصادق الكريم فيما بلغ عن الله .

وهو موضع تكريم الله عز وجل حين يذكره باسمه فى كتابه الأعظم بعد أو قبل ذكر الملائكة الكرام ، كأنه متميز من بينهم وجنس فرد فى وسطهم ، وهو واحد منهم ، صلى الله عليه وسلم ، وأعزه الله فى ملكوته ، كما بلغ عن الله ، وأدَّى رسالاته إلى الأنبياء ، وكما قام بتبليغ شرائعه وكتبه المنزلة إلى رسل الله ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

الجـــلال

وردت هذه اللفظة القرآنية الكريمة فى كتاب الله عز وجل فى موضعين من (سورة الرحمن) ، هما :

الموضع الأول : الآية ٢٧ من سورة الرحمن : « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » .

والموضع الثانى : الآية الثامنة والسبعون من السورة نفسها :

« تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام » .

ومعنى « ويبقى وجه ربك » : أى ذاته ،ومعنى « ذو الجلال » : أى العظمة ، و« الإكرام » : أى للمؤمنين بأنعمه عليهم ، وكرمه الذى يغدقه ويمنحه لهم .

ومعنى « اسم ربك » : أى ذاته أيضاً ، لأن الاسم والمسمى شيء واحد .

و « ذو الجلال » فى الآية الأولى مرفوع صفة للوجه ، أى للذات العلية ، والذات والرب شيء واحد ، فلذلك جاء الوصف للكلمة الأولى ورفع .

أما الاسم والمسمى فهما وإن كانا هنا شيئاً واحداً ، إلا أنهما فى الحقيقة مختلفان ، فلذلك جاء الوصف « ذى الجلال » للرب لا لـ (اسم) ،و « ذو الجلال» صفة للذات ، لأن من أسمائه تعالى الجليل ، ومعناه يقرب من العظيم .

والوصف بالإكرام وصف بنعمة من نعم الله عز وجل على عباده المؤمنين ، وهى ثوابه لهم ، ورضوانه بهم ، وكرمه عليهم ، بمعنى أنه عز وجل يكرم عباده ، بل ويكرمهم أيضاً : « ولقد كرمنا بنى آدم » ، أو بمعنى أن عباده يكرمونه بالتوحيد والتسبيح والتنزيه والعبادة ، عرفاناً بجلاله وعظمته ، واستجابة لندائه وشريعته .

وهنا فى الموضعين جاء الوصف بالجلال لله عز وجل وحده ، وهو وصف يليق بعظمة الله وكبريائه وقدرته وملكوته ، ومن غير الله عز وجل يوصف بهذا الوصف العظيم ؟ من غيره له هذا السلطان العظيم ، والملك الكبير ، والشأن الخطير ؟ من غير الله يستحق العبادة ، إنه هو وحده لا شريك له ولىّ النعم ، ورب الأمم ، وخالق النسم ، البارئ المصور ، ذو الجلال والإكرام .

ولم يصف القرآن الكريم أحداً أو شيئاً غير الله عز وجل بالجلال ، دلالة على أنه وصف مختص به عز وجل ، لا يصح أن يشاركه فيه أحد ، ولا أن يتصف به إنسان .

وأية عظمة لأى عظيم فهى بجانب عظمة الله لا تساوى شروى نقير ، وأية قدرة بجانب قدرة الله لا تساوى شيئاً ، وصدق الله العظيم فيما يقول فى أبسط مثل يضربه للإنسان : « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ، إن الله لقوى عزيز » (٧٣ و ٧٤ من سورة الحج) :

ومن ثم فوصف الجلال وصف مختص به تعالى وحده ، دون خلقه ، أما وصف الجلالة فهو أقرب إلى وصف الجلال ، وأنا لا أستحسن أن يوصف به أحد من البشر ، ولنا فى غير هذه الأوصاف الإلهية مندوحة وسعة ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، وما توفيقى إلا بالله :

الجمـــال

وردت لفظة (جمال) فى القرآن الكريم فى موضع واحد هو الآية السادسة من سورة النحل، يقول الله عز وجل: « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون»:
الحديث هنا عن الأنعام ثروة العرب ، ومال ساكنى الصحراء .

والأنعام تطلق على الحيوانات الراعية من إبل وبقر وغنم ، وأكثر ما يطلق هـذا اللفظ ويراد به الإبل ، أى الجمال خاصـة ، والأنعام هنا بهذا المعنى ، أى الجمال .. وبين الجمال والجمال صلة ومناسبة ، وقد أكد القرآن الكريم هذه الصلة فقال : « حين تريحون وحين تسرحون » ، أى حين تردونها من المرعى إلى المراح آخر النهار ، وحين تخرجونها إلى المرعى فى الصباح .

يقول عز وجل : « والأنعام خلقها لكم ، فيهـا دفء ، ومنافع ، ومنهـا تأكلون » ، ففيها دفء للناس بما يتخذونه من شعرها وصوفها وجلدها من ملابس ، وفيها منافع من اللبن والنسل وحمل الأثقال ، ومنها تأكلون من لبنها ولحمها :

وللناس فى الإبل جمال ، أى زينة وحسن منظر وهيئة ، والجمال تكون أكثر ما تكون جمالا حـين تعود من المرعى ، لأنهـا تكون شبعى ، وبطونها ملأى ، وضروعها حافلة باللبن . والعربى فى الصحراء ينظر إليها فيرى فيها حينئذ جمـالا ، لأنها له الثروة والعون ، وهى مطيته فى الصحراء ، وهى رفيقة فى الرحلة والسفر ، وهى صاحبته فى الحل والترحال ، ولذلك خاطبها الشعراء فى قصائدهم ، ووصفوها وأجادوا فى وصفها ، وتعلقوا بها تعلقاً شديداً .

والجمال هو فى أدق خصائصه تناسب الأعضاء ، ولا يتوقف على لون ولا على طول أو قصر ، والإبل فى عودتها من المرعى ، وصاحبها ينظر إليها ، ويرى فيها العون والرفيق والثروة ، يحسُّ إحساساً غامراً بجمالهـا ، وتصبح أجمـل شىء ، وأحسن منظر فى عينيه .. ولذلك قدَّم الله عز وجل قيد العودة من المرعى على قيد الخروج إلى المرعى ، لأن خروج الإبل إلى المرعى يكون حين جوعها وعـــدم انطلاق حركتها ، وعبوسها وجهامتها ، فلا يكون لهـا المنظر ولا حسن الهيئة التى لهـا وهى عائدة من مرعاها :

وشعور العربى بجمال جمله وهو عائد من مرعاه شعور غامر ، وإحساس عميق ، وكأنه يرى فى جمله صديقاً له ، أو ابناً عزيزاً عنده ، أو مالا كثيراً يتدفق فى يده ، أو معيناً شفوقاً عليه باراً به . وقد ذكر الله عز وجل الجمل فى موضع واحد من القرآن الكريم واصفاً إياه بضخامة الجسم : « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » (٤٠ من سورة الأعراف) ، فعدم دخول الكافرين الجنة ضرب له المثل باستحالة دخول الجمل فى سم الخياط .

وهذه المعانى كلها ، وتواردها فى ذهن البدوى والحضرى فى الصحراء ، وبخاصة فى العصور السالفة التى لم يكن له فيها وسيلة مواصلات غير الجمل ، تغرس فى وجدانه شعوراً قوياً بجمال الإبل وجمال هيئتها وحسن منظرها ، حتى إنه ليتمنى أن يكوى له منها وفرة وكثرة .

ولاهتمام الإنسان القديم بالجمال ، أى الأنعام سمى الله عز وجل سورة كاملة من القرآن الكريم (سورة الأنعام) ، وتحدث كتاب الله عز وجل عنها فى ستة وعشرين موضعاً ، واعتدّ بها مصدراً من ثروة الإنسان : « والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام » ؛ ويذكرها الله عز وجل فى موضع من كتابه الحكيم ، فيقدمها على البنين ، حين كان الذين يتحدث كتاب الله عنهم يعتبرونها كل شىء فى حياتهم ، وهم قوم عاد ، ويقول عز وجل على لسان هود : « واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين » (١٣٣ سورة الشعراء) .

وجمال الجمال ، مما يتفق عليه الناس ، وليس اتفاقهم عليه فى القديم فحسب ، بل وإلى اليوم أيضاً ، فمنظر الجمال وهى تسير فى قوافل من أجمل المناظر التى تراها العين ، ونحن نراها اليوم وهى تسير فى الشوارع صفوفاً صفوفاً ، وتعدو عدواً سريعاً ، وتمشى فى انتظام حين وفى غير انتظام حيناً آخر ، فنرى فى ذلك جمالا وأى جمال .

وحين يخاطب القرآن الكريم مشركى مكة يقول عنهم إثباتاً لقدرة الله عز وجل وجمال خلقه : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت » (١٧ — ٢٠ من سورة الغاشية) ، فيعتد بالجمال ويقدمها فى الدليل ، ويذكرها ذكراً حسناً ، لأنها أمام العربى فى الصحراء كل وقت ، وفى كل مناسبة .

وصدق الله العظيم فيما قال : « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » .

جميـــل

ورد لفظ (جميل) فى كتاب الله عز وجل فى ستة مواضع :

— « فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » (١٨ يوسف) :

— « فصبر جميل عسى الله أن يأتينى بهم جميعاً » (٨٣ يوسف) :

— « فاصبر صبراً جميلا » (٥ المعارج) .

— « فاصفح الصفح الجميل » (٨٥ الحجر) .

— « وأسرحكن سراحاً جميلا » (٢٨ الأحزاب).

— « وسرحوهن سراحاً جميلا » (٤٩ الأحزاب) .

— « واهجرهم هجراً جميلا » (١٠ المزمل) .

والوصف بالجميل للصبر فى ثلاثة مواضع معناه الصبر الذى لايدع مجالا لليأس ، ولا يقنط من رحمة الله وفرجه ، ولا يترك النفس فريسة للهموم والأحزان :

ووصف السراح — أى الطلاق — بجميل معناه السراح الذى لا تضار به المرأة ، ولا ينقص من حقوقها ، ولا يتركها عالة على أحد .

والهجر الجميل : هو الذى لا يكون فيه لدد فى الخصومة ، ولا إسراف فى البغضاء ، ولا ميل إلى الإضرار ، ولا رغبة فى اللدد والشحناء .

والمراد من الجميل فى هذه المواضع كلها هو المعروف والحسن واللائق بالمروءة والخالق والدين والرجولة .

وليس أجمع ولا أشمل من كلمة جميل ؛ فهى ترادف وصف الإنسانية ووصف المعروف ووصف المروءة ، نقول : فعل جميل ، وعمل جميل ، وصنعة جميلة ، نعنى بجمالها أنها فاقت شروط الصنعة وحدود أصولها ، وأنها علت درجات كبيرة فى مرتبة الإحسان ؛ وكذلك حين نصف الفعل بأنه جميل ، نقصد منه أنه تعدى حدود الواجب والحق إلى أعلى من ذلك وأكمل .

والإنسان لا تتضح شخصيته ، ولا تكمل صفته بأنه يعطى ويأخذ فى حدود

المعاملة العادية ، ولا بأنه يفعل ويصنع فى حدود الشىء العادى ، ولكن بأنه فاق الأصل ، وأبدع جديداً ، وصنع شيئاً طريفاً ، ونهج نهجاً كريماً يدل على سمو الخلق ، ورفعة النفس ، وعظمة اليقين ، ونبل الهدف ، وكرم الغاية .

وهو حين يبدع فيتعدى حدود الصنعة العادية يدخل فى مرحلة الجمال ، والجمال هو الصفة التى نشعرك بأن الشىء الموصوف خرج من دائرة العادى إلى مجال التميز والإبداع والإحسان .

والمؤمن مطالباً فى كل شىء وكل عمل وكل فعل وكل قول بأن يدخل دائرة الجمال ، أى الإحسان والإبداع والإنسانية .

المسلم العادى لا وزن له ، ولكن المسلم الذى يضرب المثل للناس فى كرم النفس وعظمة الخلق وقوة الإرادة ، وصدق المراقبة لله ، وحسن الطاعة ، والالتزام بالشريعة ، هو المسلم الذى تنحنى له الرؤوس ، وتمتلىء بمحبته القلوب ، وحين وصفت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، قالت : (كان خلقه القرآن) ، أى عقيدة وسلوكاً وعملا وجهاداً فى سبيل الله .

إن الوصف بالجميل ، هو والوصف بالجمال ، فى لغة كتاب الله معناه : فوقان العمل والمنظر والوصف ، وخروج الشىء من نطاق العادى إلى نطاق التميز والخصوصية والإبداع .

ومن ثم نص العلماء ، وبخاصة الإمام الغزالى ، على أن الصيام ليس هو مجرد ترك الشراب والطعام طيلة النهار ، وإنما هو مع ذلك التخلى عن الرذائل والتحلى بالفضائل .

ما أعظم كتاب الله عز وجل وهو يدعو المسلم إلى كل شىء جميل ، وكل فعل أو خلق أو سلوك جميل ، وإلى كل مبدأ جميل ، وغاية جميلة شريفة .

حاضـــرة

الحاضرة : ضد البادية ، وهى المدن والقرى والريف والمنازل المسكونة .

يقال : فلان من أهل الحاضرة ، وفلان من أهل البادية ، والبادية : هى الصحراء ، وكذلك يقال : فلان حضرى ، وفلان بدوى ، وهى من الحضارة ومعناها الإقامة فى الحضر ، ويقال : تحضر البدوى : أى تشبه بأخلاق وعادات الحضر .

فالحاضرة تطلق على المدينة والقرية والريف ، أى على المجتمع الذى يعيش لوناً من ألوان الحياة الحضرية من حيث التجمع الزراعى والصناعى والتجارى .

وقد وردت كلمة (الحاضرة) فى كتاب الله الحكيم فى موضع واحد فى الآية ١٦٣ من سورة الأعراف ، حيث يقول الله عز وجل لنبيه الكريم : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر ، إذ يعدون فى السبت ، إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون » .

أى : واسأل يا محمد بنى إسرائيل سؤال توبيخ عن القرية التى كانت مجاورة للبحر — البحر الأحمر — وهى أيلة ، أى عما وقع من أهلها من مخالفة للشريعة ، إذ يعتدون يوم السبت بصيد السمك ، مخالفين لشريعتهم ، حيث كانوا مأمورين بترك الصيد يوم السبت ، وكان البحر يموج بالسك يوم السبت ظاهراً على سطح الماء ، ويوم لايسبتون ولا يعظمون السبت ، وهو سائر أيام الأسبوع لا يظهر السمك على وجه المـاء ، ابتلاء من الله ، كذلك نبلو بنى إسرائيل ونمتحنهم بسبب فسقهم وخروجهم على شريعة الله ، ولما صادوا السمك افترقت القرية ثلاث فرق : ثلثاً خالفوا الشريعة وصادوا السمك ، وثلثاً نهوهم عن ذلك ، وثلثاً أمسكوا عن الصيد ولم ينهوا قومهم المخالفين .

وهكذا يذكر الله بنى إسرائيل بذنوبهم ومعاصيهم ومخالفتهم لشريعة الله ، حيث أمروا بترك الصيد وبعدم أكل السمك يوم السبت ، فخالفوا ذلك ، وأغراهم البحر بكثرة أسماكه يوم السبت وعدم ظهور السمك على سطح الماء بقية الأسبوع فصادوه يوم السبت عصياناً ومخالفة لأمر الله عز وجل .

وما أكثر ما عصى بنو إسرائيل ربهم ، وما خرجوا عن أوامر الشريعة ، وما خالفوا أمر ربهم ، أليس منهم من قتل الأنبياء ؟ أليس منهم من عبدوا العجل ، حيث صاغوا تمثالا على صورة عجل من ذهب وعبدوه ؟ أليس منهم من خالفوا أمر نبيهم موسى ؟ فامتنعوا عن دخول الأرض المقدسة وقد أمرهم موسى بدخولها ؟ وقالوا لموسى : فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون .

جرائم كثيرة ، وكم لهم من جرائم كثيرة على امتداد التاريخ .

إنها تبصرة وعظة ، وزجر وتوبيخ لهؤلاء الخارجين على شريعة الله .

ولنعد إلى الحاضرة ، حاضرة البحر هنا ، هى الثغر الواقع قريباً من الماء حيث تجمع الناس واصطناعهم حياة الحضارة ، وتركهم لحياة البادية وعاداتها .

وبمرور الأيام أصبحت الحاضرة تطلق على العاصمة ، فيقال : بغداد حاضرة الخلافة العباسية ، أى مقرها وعاصمتها الكبرى ، أى المدينة الأولى فى دولة الخلافة حيث مقر الحكم والإدارة والسياسة ، وإن كانت لفظة العاصمة قد غلبت اليوم على كلمة الحاضرة ، فصارت هى الأكثر شيوعاً وذيوعاً على ألسنة الناس عامة .

الحبـــل

ورد هذا اللفظ القرآنى فى كتاب الله الحكيم فى خمسة مواضع :

— « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » . (١٠٣ آل عمران) :

— « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ؛ (١١٢ آل عمران) .

والحديث عن اليهود ، أى حيثما وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام ، إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، أى بعهد من الله أو عهد من الناس ، يعتزون به ، ويؤمنون بوجوده ، ويركنون إليه ، ويقاومون به أعداءهم .

— « نحن أقرب إليه من حبل الوريد » (١٦ ق) .

والوريدان عرقان بصفحتى العنق ، والإضافة هنا للبيان .

— « فى جيدها حبل من مسد » (الآية الخامسة من سورة المسد) . والحديث عن امرأة أبى لهب ، وكانت كزوجها تعادى رسول الله وأصحابه ، وتفتن فى تعذيب المؤمنين ، وهى أم جميل ، وكانت تحمل الشوك وتلقيه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وورد الحبل جمعاً على حبال فى قوله تعالى :

— « فألقوا حبالهم وعصيهم » (٤٤ الشعراء) .

— « فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » :

والحبل يستعمل فى كتاب الله عز وجل على عدة معان :

المعنى الأول : الحبل الحسى المادى المعروف ، كما جاء فى استعمال لفظ الحبال فى كتاب الله الحكيم على ما أشرنا إليه .

المعنى الثانى : الحبل بمعنى العهد — إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، أى بأمان وعهد من الله ومن الناس .

المعنى الثالث : الحبل بمعنى الدين ، كما فى قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » أى بدين الله ، وهو الإسلام العظيم ، لأنه إذا كان من شأن الحبل أن ينجى صاحبه من الأزمات والشدائد ، فإن الدين والعمل به ينجى المؤمن من عذاب يوم القيامة ، وهو عذاب لو علم الكافرون شديد .

والدين سبب النجاة فى الدنيا والآخرة لمن آمن به .

وهو العصمة والفوز فى الدنيا والآخرة ، وبه ينال الإنسان الخير والبركة والنماء والسعادة فى الدنيا ، كما قال تعالى : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » (٩٦ الأعراف) : وبه ينجو الإنسان من عذاب جهنم فى الآخرة وينال رضاء الله وثوابه ونعيمه القيم .

وليس إلا الدين وحده لمن آمن به وعمل بشرائعه ، فهو سر كل سعادة ، وسبب كل خير ، ودليل كل فوز ، وقائد إلى كل نصر ؟

والإسلام الشريعة والعقيدة ، هو طوق النجاة ، وحبل الأمان ، والمنقذ لصاحبه من المحن والخطوب ، والرائد الذى يدل على كل منفعة وصواب وحكمة وخير وحق .. فمن استمسك به نجا ، ومن تركه هلك وباء بغضب من الله ، ولمن عمل به الخير العظيم فى الدنيا والآخرة ، وله النعيم المقيم ، والثواب العظيم ؟

الحـــج

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام ، وهو من أعظم الطاعات عند الله ، ومن أكرم العبادات وأجزلها ثواباً ، وأفضلها أجراً .

وفى الحج تذكير بالحنيفية دين إبراهيم وإسماعيل ، وأداء لشعائر ومناسك لا يدرك حكمتها إلا المولى عز وجل .. وفيه اجتماع للمسلين كافة من كل صقع وحدب ، مما يزيد من وحدتهم ، ويدعم من مكانتهم ، ويقوى من رابطتهم .

وفى الحج يتعرف الحاج على الأماكن الأولى للإسلام وللرسول الأكرم ، نبى الإسلام ، وباسمه سميت سورة كريمة من سور القرآن الكريم :

وقد ورد لفظ الحج فى مواضع كثيرة من كتاب الله عز وجل :

— « مواقيت للناس والحج » (١٨٩ البقرة) .

— « وأتموا الحج والعمرة لله » (١٩٦ البقرة) .

— « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى » (١٩٦ البقرة) .

— « فصيام ثلاثة أيام فى الحج » (١٩٦ البقرة) .

— « الحج أشهر معلومات » (١٩٧ البقرة) .

— « يوم الحج الأكبر » (٣ التوبة) .

— « وأذن فى الناس بالحج » (٢٧ الحج) .

— « ولله على الناس حج البيت » (٩٧ آل عمران) .

ومن يؤدى شعيرة الحج يطلق عليه اسم (الحاج) . وقد ورد لفظ (الحاج) فى موضع واحد من كتاب الله عز وجل :

— « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام » (١٩ التوبة) :

وهكذا عنى القرآن الكريم بالحديث عن الحج وبيان بعض أركانه وسننه وآدابه ، وتحدث عن مناسكه ، وقرنه فى أحيان بالعمرة ، وجعل الحج والعمرة منسكين من مناسك الإسلام :

وما أكثر ما عنى كتاب الله عز وجل بالحديث عن أركان الإسلام : الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وبيان أحكامها وآدابها ، لأن هذه العبادات مقرونة بالشهادتين هى دعائم الإسلام وأسسه ، وعليها تتوقف شعيرته .

والحج عبادة مالية وبدنية ، أما الزكاة فعبادة مالية ، والصوم والصلاة عبادة بدنية .

ولذلك كان للحاج منزلته عند الله عز وجل ، وإذا ما مات فى الحج كان شهيداً عند الله ، اللهم أكرم عبادك الصالحين الطائعين .

الحـــرم

يطلق الحرم على الكعبة ، وعلى المسجد الحرام، وعلى ما حول المسجد الحرام بمكة ، وعلى مكة كلها ، فهى كلها حرم الله ، لها قداستها ، ولها مكانتها ، ولها منزلتها فى الإسلام ، لا يجوز فيها انتهاك الحرمات ، ولا العدوان ، ولا سلب أموال الناس بالباطل ، ولا يجوز فيها ما يجوز فى غيرها من الأماكن ؛ لأنها أماكن جعلها الله حرماً آمناً ، وقدس مواضعها ، وجعلها أماكن سلام وأمان واطمئنان :

وقد ورد لفظ الحرم فى كتاب الله عز وجل فى موضع واحد :

وهذا الموضع فى الآية السابعة والخمسين من سورة القصص :

— « أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شىء رزقاً من لدنا » :

زعم المشركون أنهم لو دخلوا فى الإسلام وآمنوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام لتخطفهم العرب وحاربوهم وقتلوهم ، فرد الله عليهم بأبلغ بيان ،والمعنى : أن الحرم لا تتعرض له العرب بقتال ، ولا يمكن الله أحداً من قتال أهله فيه ، فقد كانت العرب يغير بعضهم على بعض وأهل الحرم آمنون تجلب إليه الأرزاق والزروع والثمرات ، مع أنه واد غير ذى زرع ؛ فهو حرم أمان وسلام .

لا يجوز فيه قتال ولا عدوان ولا إفساد فى الأرض ، ولا يجوز فيه ما يؤدى إلى ذلك كله من أعمال تنافى السلام والأمان ، كالمظاهرات السياسية والمذهبية ، وكالدعوة إلى مبادئ وأفكار لا صلة لها بأعمال الحج ؛ ولا يجوز فيه كل عمل يؤذى الناس أو يتسبب فى إيذائهم ، أو يوقف أعمالهم اليومية من شعائر ومن تجارات ومن أعمال ووظائف عامة تتصل بمصالح الناس وحياتهم .

إن الحرم حرم الله ، وإنه محل أمان وسلام ، وليس محل فساد وإفساد وعدوان وهو دار من لا دار له ، وهو ملاذ الخائف ، وطمأنينة المكروب ، وسكينة المهموم ، وهو الخير الأكبر للمسلمين عامة من حجاج بيت الله ومن المعتمرين والطائفين والعاكفين والركع السجود .

فليعلم ذلك كل مسلم ، وليعمل بحيث أمره الله ، ولا يتسبب فى شىء يؤدى إلى الخروج عن شرع الله بالفساد والإفساد فى الأرض .

إن حرم الله دار أمن وأمان وطمأنينة وسلام لحجاج بيت الله وللمعتمرين ولسكان الحرم الشريف . زاده الله تشريفاً وتكريماً وتعظيماً .

الحـــق

وردت كلمة الحق فى القرآن الكريم أكثر من ٢٥٠ مرة ، ووردت كلمات مشتقة منها مثل : حقيق ، وأحق ، واستحق ، ويحق ، ويحق ، وحقت ، وغير ذلك ، نحو ٥٠ مرة .

والحق : هو الشيء الثابت الصادق ، والأمر المشروع ، ولذلك جاء وصفاً لله عز وجل :

— « ذلك بأن الله هو الحق » (٣٠ لقمـان) :
— « ولو اتبع الحق أهواءهم » (٧١ المؤمنون) .
— « فتعالى الله الملك الحق » (١١٤ طـه) .

ووصفاً للقرآن الكريم :

— « وهو الحق مصدقاً لما معهم » (٩١ البقرة) .

ووصفاً للشريعة الإسلامية المنزلة من السماء :

— « يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم » (١٧٠ النساء) .
— « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق » (٣٣ التوبة) .

وسمى الدَّين حقاً : « وليملل الذى عليه الحق » (٢٨٢ البقرة) .

وجعل العدل حقاً : « ويقتلون النبيين بغير حق » (٢١ آل عمران) .

— « قال رب احكم بالحق » (١١٢ الأنبيـاء) .

وسميت الحقيقة الثابتة حقاً :

« يقص الحق وهو خير الفاصلين » (٥٧ الأنعـام) .

وكل ما كان للإنسان على الغير فهو حق له :

— « وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين » (٤٩ النور) .
— « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » (١٩ الذاريات) .

وجعل الحق نقيضاً للباطل :

— « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » (٨١ الإسراء) .

كما جعل مقابلا للواجب ، فالحق ما كان ثابتاً لك ، والواجب ما كان مفروضاً عليك .

وكما قلنا : إن العدل يسمى حقاً ، وقد جاءت فى هذا آيات كثيرة :

— « خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق » (٢٢ ص) .
— « فاحكم بين الناس بالحق » (٢٦ ص) .
— « وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون » (٦٩ الزمر) .
— « وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » (٧٥ الزمر) .
— « والله يقضى بالحق » (٢٠ غافر) .
— « فإذا جاء أمر الله قضى بالحق » (٧٨ غافر) .

والقرآن الكريم يفرض الحق ويجعله قانوناً ، ويحترمه ويأمر به ويجعله شريعة ويحث عليه ويجعله شعاراً للمسلم ، ويلزم به كل مسلم ويجعله أمراً واجباً .

ولقد أعلى الله من شأن الحق ، فجعله وصفاً من صفاته واسماً من أسمائه ، وما أجله قوله تعالى :

— « وردوا إلى الله مولاهم الحق » (٣٠ يونس) .
— « فذلكم الله ربكم الحق » (٣٢ يونس) .

ولذلك كان من المحتم على كل مسلم أن يلتزم بالحق ، وأن يسير على هداه ، وألا يركن إلى الباطل ، بل يتجنبه وينأى عنه ويكره طريقه ، فالباطل هو الضلال والخسران والمصير السيئ ، والعاقبة الوخيمة ، والنتيجة الأثيمة .

وفقنا الله لالتزام الحق والعمل به .

الحكمـــة

الحكمة هى القول الصائب الصادق الذى ينطق به الإنسان المجرب للأمور ، ذو الخبرة الواسعة ، والتجربة العميقة ، والمعرفة بمصادر الأمور ومواردها ، وذو العقل الواسع ، والذهن اليقظ ، والفطنة الحادة ، والذكاء المثمر ، .. إنها خلاصة بلاغة الحكيم ، وتجربة العاقل ، وذكاء الذكى ..

وقد وردت كلمة الحكمة فى القرآن الكريم عشرين مرة ، ولما كانت أوامر الدين ، وتعاليم الكتاب المنزل من السماء ، هى قمة الحكمة ، وذروة الصدق قرنت الحكمة بالكتاب السماوى ..

يقول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام :

« يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة » (١٢٩ البقرة) .

ويقول : « يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة» (١٥١ البقرة)

ويقول : « يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » .

(١٦٤ آل عمران)

ويقول : « فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة » (٥٤ النساء) :

وقال تعالى لنساء النبى صلى الله عليه وسلم :

« واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة » (٣٤ الأحزاب) .

والحكمة فى اقتران الحكمة بالكتاب السماوى هى أن الكتاب السماوى يحمل رسالة الله عز وجل إلى رسوله ، وفيه كل أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة ، وفيه كل أسباب صلاح الأفراد والمجتمعات والشعوب ، وفيه دعوات إلى الفضائل والمثل الرفيعة فى الحياة .. والرسول يبلغ ذلك لأمته ، ويدعوهم إلى الإيمان به ، وإلى العمل بالطاعات واجتناب الموبقات ، وهذه الدعوات الكريمات هى الحكمة ، وهى سبيل النجاة ، وهى سبب الفوز برضاء الله ى الدنيا والآخرة . فالقرآن بتعاليمه هو الكتاب ، والدعوة إلى هذه التعاليم ، بل والعمل بها ، والسير على

منوالها هى الحكمة .. والشريعة هى مبادئ يتضمنها الكتاب المنزل ، والدعوة إلى هذه المبادئ والحض عليها هى الحكمة .

والوحى الإلهى يتضمن خلاصة حكمة الحكيم ، وفلسفة الفيلسوف ، ودعوة الإصلاح من المصلح : وهو الخير والبر والمعروف والسلام والأمان والسعادة والحياة والنور والأمل والطمأنينة والراحة والسكينة ، والدعوة إلى مبادئ الوحى الإلهى للعمل بها هى الحكمة البالغة .

وقد يطلق الله عز وجل الحكمة على كل قول صادق رائع ، بالغ فى دقته وسلامته الغاية ، واصل إلى كبد الحقيقة بلا زيغ أو التواء ، ومن ذلك قوله تعالى :

— « ولقد آتينا لقمان الحكمة » (لقمان ١٢) .

— « وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » (٢٠ ص) .

— « يؤت الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » .
(٢٦٩ البقرة)

وقد تطلق الحكمة فى القرآن الكريم على حسن تصريف الأمور ، وتدبير الرعية ، وسياسة الأمة السياسة الناجحة ، كما فى قوله تعالى فى سورة البقرة :
« وأتاه الله الملك والحكمة » (٢٥١ البقرة) .

وقد يراد بها حسن التصرف مطلقاً فى كل الأمور ، حسن تصريف الأب لأمور أسرته ، وحسن تصريف الرجل لشئونه الخاصة والعامة ، وحسن تصريف الداعية لأمر دعوته ، كما فى قوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » (١٢٥ النحل) .

وقد تطلق على روعة الفعل الإلهى ، وعظمة تدبير الله للكون :
« حكمة بالغة فما تغنى النذر » (٥ القمر) .

وعلى الجملة فالحكمة هى من ألفاظ القرآن الكريم الدالة على كل الصدق والحق والبصيرة والخير والأمل والنور والرحمة .

خاتم النبيين

خاتم النبيين صفة لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد وردت فى كتاب الله عز وجل مرة واحدة فى سورة الأحزاب ، فى الآية الأربعين :

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليماً » .

خاتم النبيين بكسر التاء ، أى به ختمت النبوات والأنبياء والرسالات ؛ فلا نبى بعده ، ولا رسول يأتى بعد رسالته ، صلى الله عليه وسلم .. وفى قراءة بفتح التاء كآلة الختم ، أى به ختموا ، وهو خاتمهم .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء والمرسلين ، لا رسالات من السماء بعد رسالته ، ولا نبوات وأنبياء بعد نبوته ؛ فكل مدع للنبوة بعد رسول الله كاذب ، وكل مدع للرسالة بعد محمد صلى الله عليه وسلم مفتر أثيم ، فالبابية والبهائية الذين يزعمون أن رؤساءهم رسل من الله ضالون مضلون ، وكاذبون مفترون ، ومرتدون عن دين الإسلام الحنيف .

وجبريل عليه السلام هو ملك الوحى ، الذى ينزل على رسل الله وأنبيائه بالرسالات والكتب السماوية المنزلة ، ويقول الله عز وجل عن القرآن الكريم :

« وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين » (١٩٢ — ١٩٥ الشعراء) .

وبوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انقطع وحى السماء ، ولم ينزل جبريل برسالة ولا بكتاب ؛ لأن رسالة الإسلام حوت كل أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة ، وهى أكمل الرسالات ، وخاتمتها .

وقيل : إن من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم : الخاتم ، أى الذى ختم الأنبياء (١٩٥ الشفاء للقاضى عياض) .

واسم محمد هو اسم رسول الله ، ولم يسم به أحد من العرب ولا غير العرب إلى أن شاع قبيل ظهوره وميلاده صلى الله عليه وسلم أن نبياً يبعث اسمه محمد ،

فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك ، رجاء أن يكون أحدهم هو ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وهم :

— محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسى .
— محمد بن مسلمة الأنصارى .
— محمد بن براء البكرى .
— محمد بن سفين بن مجاشع .
— محمد بن حمران الجعفى .
— محمد بن خزاعى السلمى .

وهم ستة ولا سابع لهم .

ويقال : إن أول من سمى محمداً هو محمد بن سفين ، واليمن تقول : بل محمد ابن اليحمد الأزدى (١٩٠ الشفاء — ط صبيح) .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال فى كلام بكى به النبى صلى الله عليه وسلم يوم وفاته ، فقال :

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم ، فقال : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ، ومنك ومن نوح ... » (الآية) .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون ، يقولون : يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول ، قال قتادة : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كنت أول الأنبياء فى الخلق .

صلى الله عليك يا رسول الله ، وخاتم النبيين :

الخـــيرات

نطلق نحن المعاصرين الخيرات على نعم الله الكثيرة التى ينعم بها على بعض عباده ، من مال وبنين وقصور وخدم ، وهو جمع مؤنث سالم ، ومن مادتها لفظ الخير ، وهو بمعنى الكرم ، وبمعنى ما يضاد الشر .

والخيرات فى كتاب الله وردت بمعنى أفضل الأشياء والنعم التى أحلهـــا الله لعباده .

يقول الله تعالى : « فاستبقوا الخيرات » (١٤٨ البقرة و ٤٨ المائدة) ، أى الأعمال الصالحة التى تنجى صاحبها فى الدنيا والآخرة .

ويقول : « ويسارعون فى الخيرات » (١١٤ آل عمران) أى فى عمل الأعمال الصالحة المنجية لصاحبها فى دنياه وآخرته .

ويقول عز وجل : « وأولئك لهم الخيرات » (٨٨ التوبة) أى النعم الجليلة فى الآخرة .

ويقول عز وجل : « وأوحينا إليهم فعل الخيرات » (٧٣ الأنبياء) أى فعل الخير العظيم :

ويقول : « إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات » (٩٠ الأنبياء) .

ويقول : « نسارع لهم فى الخيرات » (٥٦ المؤمنون) ، أى فى الجزاء العظيم لهم فى الآخرة .

ويقول : « أولئك يسارعون فى الخيرات » (٦٤ المؤمنون) .

ويقول : « ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله » (٣٢ فاطر) :

ويقول : « فيهن خيرات حسان » أى نعم جليلة كبيرة .

هذه آيات كريمة وردت فيها لفظة خيرات ، معنياً بها الأعمال الصالحة ، والجزاء الحسن الأوفى على هذه الأعمال ، والشاعر القديم يقول :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

والله عز وجل يتولى الصالحين من عباده ، بكل المكارم والخيرات فى الدنيا والآخرة .

وقد تكون هــذه الخيرات صحة فى البدن ، أو نجابة فى الأولاد ، أو سعة فى المال ، أو توفيقاً فى العمل ، أو وقاية من المحن ، أو رضاء عليه من الله والناس ، وربك يعطى ما يشاء ، ويبسط الرزق لمن يشاء ، ويرفع درجات من يشاء ، ولكن الخيرات كلها فى النجاة يوم القيامة من عذاب الله ، وفى دخول الجنة ، وفى التمتع برضوان الله ونعيمه . وخيرات الدنيا كثيرة ، ولكنها لا تفيد صاحبها شيئاً ، كما تفيده خيرات الآخرة .

متعنا الله نحن والصالحين من عباده برضوانه الدائم ونعيمه المقيم .

درجة ـ درجات

ورد لفظ (درجة) فى كتاب الله عز وجل فى أربعة مواضع :

ـ « أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » (١٠ الحديد) :

ـ « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله » (٢٠ التوبة) .

ـ « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة » (٩٥ النساء)

ـ « وللرجال عليهن درجة » (٢٢٨ البقرة) .

ووردت بالجمع ، أى بلفظ درجات فى أربعة عشر موضعاً :

ـ « ورفع بعضهم درجات » (٢٥٣ البقرة) .

ـ « لهم درجات عند الله » (١٦٣ آل عمران) .

ـ « درجات منه ومغفرة ورحمة » (٩٦ النساء) .

ـ « نرفع درجات من نشاء » (٨٣ الأنعام) .

ـ « ولكل درجات مما عملوا » (١٣٢ الأنعـام) .

ـ « ورفع بعضكم فوق بعض درجات » (١٦٥ الأنعـام) .

ـ « لهم درجات عنـد الله » (٤ الأنفـال) .

ـ « وللآخرة أكبر درجات » (٢١ الإسراء) .

ـ « نرفع درجات من نشاء » (٧٦ يوسف) .

ـ « لهم الدرجات العلى » (٧٥ طـه) .

ـ « رفيـع الدرجات ((١٥ غافر) .

ـ « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » (٣٢ الزخرف) .

ـ « ولكل درجات مما عملوا » (١٩ الأحقاف)

ـ « يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات » (١١ المجادلة)

والدرجة والدرجات معروفة ، درجات السلم ، ودرجات قاعة المحاضرة ، وما شاكل ذلك ، هذا فى المعنى الحسى .

وتستعمل الدرجة فى معناها المعنوى أو المجـازى ، بالارتفاع من منزلة إلى منزلة أعلى منها ، وبهذا المعنى وردت لفظة الدرجة ، ولفظة الدرجات فى كتاب الله الحكيم ، فهى ارتفاع بالمؤمن إلى درجة أعلى بالثواب والنعيم فى الآخرة ، وبالمنزلة الأعلى ، والمكانة الأسمى فى الدنيا ، وليس كالإيمان وكالعمل الصـالح وكالعلم والعمل به فى الارتفاع بصاحبه إلى درجة عالية ومنزلة سـامية عند الله والناس ، وفى الدنيا والآخرة ، جعلنا الله والمؤمنين بدينه ورسوله وكتابه ، من أصحاب الدرجات العلى فى الدنيا وفى الآخرة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم :

الدعـــاء

ورد لفظ الدعاء فى كتاب الله العزيز فى مواضع عدة بجملة معان :

المعنى الأول : الدعاء بمعنى العبادة ، لأن الدعاء من أهم أركان العبادة ، فأطلق الجزء وهو الدعاء ، وأريد به الكل وهو العبادة ، مجازاً ، وفى كتاب الله الحكيم :

– « قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا » (٧١ الأنعام) ، أى أنعبد من دون الله .

– « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعـك ولا يضرك » (١٠٦ يونس) ، بمعنى : لا تعبد من دون الله .

– « ضل من تدعون إلا إياه » (٦٧ الإسراء) ، بمعنى : ما تعبدون .

– « فلا تدع مع الله إلهاً آخر » (٢١٣ الشعراء) أى لا تعبد .

– « والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر » (٦٨ الفرقان) أى لا يعبدون .

– « لولا دعاؤكم » (٧٧ الفرقان) أى عبادتكم .

المعنى الثانى : وورد الدعاء بمعنى النداء :

– « فدعا ربه أنى مغلوب » (١٠ القمر) بمعنى : نادى ربه عز وجل .

– « يوم يدع الداع إلى شىء نكر » (٦ القمر) أى يوم ينادى المنادى .

– « يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده » (٥٢ الإسراء) أى : يوم يناديكم .

– « لا يسمع الصم الدعاء » (٤٥ الأنبياء) – الدعاء هنا بمعنى النداء .

– « إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم » (١٤ فاطر) أى نداءكم .

المعنى الثالث : الدعاء ، أى القول :

– « فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين » (٥ سورة الأعراف) أى فما كان قولهم .

– « فما زالت تلك دعـواهم » (١٥ الأنبياء) أى مقولتهم ، أى فما زال ذلك قولهم .

— « دعواهم فيها سبحانك اللهم » (١٠ يونس) ، أى قولهم فى الجنة .

— « وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (١٠ يونس) ، أى آخر قولهم.

المعنى الرابع : الدعاء بمعنى الاستعانة :

— « وادعوا شهداءكم » (٢٣ البقرة) ، أى استعينوا بشركائكم من دون الله من الأصنام والأوثان وغيرهما .

— « وادعوا من استطعتم » (٣٨ يونس) ، أى استعينوا بمن أطاعكم :

— « وادعوا من استطعتم من دون الله » (١٣ هود) .

— « ذرونى أقتل موسى وليدع ربه » (٢٦ غافر) ، أى وليستعن بربه :

المعنى الخامس : الدعاء بمعنى السؤال :

— « قالوا ادع لنا ربك » (البقرة الآية ٦٨ و ٦٩ و ٧٠) بمعنى اسأل لنا ربك.

— « يا أيها الساحر ادع لنا ربك » (٤٩ الزخرف) ، أى اسأله .

— « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم » (٦٠ غافر) أى : سلونى أجب سؤالكم وأعطكم .

— « ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب » (٤٩ غافر) ، أى سلوا ربكم ، أى اطلبوا إليه .

والدعاء ابتهال إلى الله ومناجاة له وطلب من إحسانه ، وتضرع إلى مقامه ، وسؤال لعونه ورعايته .

والله يجيب الدعاء ، ولا يرد من حام حول حماه العظيم .

الدهـــر

الدهر : الزمان ، وقيل : الدهر هو الأبد ، وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله) ، لأنهم كان يضيفون النوازل والخطوب والأحداث الكبار إلى الدهر ، فقيل لهم : لا تسبوا فاعل ذلك بكم ، فإن فاعل ذلك هو الله عز وجل ،والدُّهرى بضم الدال : المسن ، وبفتحها : الملحد وكلاهما منسوب إلى الدهر ، والتغيير فى النسب كثير فى كلام العرب ، ينسبون إلى الأرض السهلة ، فيقولون : سهلى ، بضم السين لا بفتحها .

وقد ورد الدهر فى كتاب الله الحكيم فى موضعين :

الأول : فى الآية الرابعة والعشرين من سورة الجاثية :

« وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر ... » .

والثانى : الآية الأولى من سورة الإنسان :

« هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ... » .

فالآية الأولى حديث عن قريش وإنكارهم للبعث والحساب والدار الآخرة والقيامة ، قالوا : نموت ونحيا ، أى يموت منا قوم ويحيا قوم ، أو نموت نحن ويحيا أولادنا ، أو نموت حين كنا عدماً أو نطفاً ونحيا فى الدنيا ، أو نموت الموت المعروف ونحيا قبله فى الدنيا على التقديم والتأخير ، ومقصودهم على كل حال إنكار الآخرة والبعث والحساب .

والآية الثانية استفهام للتقرير بأن الإنسان قد أتى عليه حين من الزمان لم يكن فيه شيئاً مذكوراً .

قيل : إن هـذا الحين الذى أتى عليه هو حين كان معـدوماً قبل أن يخلق ، وكانت إرادة الله عز وجل قد تعلقت بخلقه ، فهو موجود بالقوة لا بالفعل ، فلما خلق وجد بالقوة .

وقيل : إن الإنسان أتى عليه وقت من الزمان لم يكن فيه شيئاً مذكوراً حين كان فى المراحل الأولى لتكوينه فى رحم الأم نطفة فعلقة فمضغة فعظاماً ، فعظاماً مكسوة لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر ، كما يحدثنا رب العزة فى سورة (المؤمنون).

وذلك هو الأقرب إلى العقل والتصور ، فالمرحلة الأولى لخلق الإنسان لا يكون فيها الإنسان شيئاً مذكوراً ، وهى مرحلة يبدو فيها إعجاز الخالق الأعظم وقدرته وعظمته ؛ والقرآن الكريم يشرح هذه المرحلة شرحاً واضحاً ، ويبين تفاصيلها ، مما لم يعرفه الطب إلا منذ زمن قصير .

فتبارك الله أحسن الخالقين :

الذهب

الذهب هو معــدن ثمين ، وقد اتخذه الناس والملوك رمزاً قوياً للثراء ، وأساساً لتعاملهم وتجاراتهم ؟

وقد ورد الذهب فى القرآن الكريم فى عدة مواضع :

الأول : فى الآية ٣١ من سورة الكهف :

« يحلون فيها من أساور من ذهب » .

الثانى : فى الآية ٢٣ من سورة الحج :

« يحلون فيها من أساور من ذهب » .

الثالث : فى الآية ٢٣ من سورة فاطر :

« يحلون فيها من أساور من ذهب » .

الرابع : فى الآية ٥٣ من سورة الزخرف :

« فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب » .

الخامس : فى الآية ٧١ من سورة الزخرف أيضاً :

« يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب » .

السادس : فى الآية ٩١ من سورة آل عمران :

« فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به » .

السابع : فى الآية ٣٤ من سورة التوبة :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » :

الثامن : فى الآية ١٤ من سورة آل عمران :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضــة » .

والمـال فى غرف الأمم القديمة كان هو الذهب والفضــة ، وقد حرم الله عز وجل كنز المـال ، وتوعد الكانزين عذاباً شديداً ، فقال عز وجل :

« ... والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

وإنفاق المال فى الخير وفى سبيل الله والحق والمعروف ، ومن أجل الفقير والمسكين واليتيم ، عمل إنسانى كبير ، وثوابه عند الله عز وجل ؛ وهو سبب من أسباب النجاة فى الدنيا والآخرة .

وفى العالم مناجم كثيرة لاستخراج الذهب ، ولكن الإنفاق على بعضها يكون كبيراً .

وقد جعلت الأمم احتياطاتها من المال ، ورصيدها من العملة ذهباً ، لأنه أهم المعادن وأنفسها ، وأكثرها تداولا .

وتقاس ثروة الأمم ورخاؤها بمقدار ما فى خزائنها من الذهب .

وشريعة الله عز وجل فى الذهب هى شريعته فى المال جملة ، وهى إنفاقه فى سبيل الخير والمصلحة العامة للشعوب ، وهى أيضاً أن يكون عامل سعادة للناس لا عامل شقاء .

والزكاة فيه واجبة ، وإخراج الصدقات والإحسانات والمساهمات فى أعمال الخير مطلوبة .

وفقنا الله لصالح الأعمال .

ذو الكفـــل

ذكر الله عز وجل فى كتابه الحكيم : نبيه ذا الكفل عليه السلام فى موضعين :

الأول : فى سورة الأنبياء بعد قصة أيوب عليه السلام :

« وإسماعيل ، وإدريس ، وذا الكفل ، كل من الصابرين * وأدخلناهم فى رحمتنا ، إنهم من الصالحين » (٨٥ و ٨٦ من سورة الأنبياء) .

والثانى : فى سورة (ص) بعد قصة أيوب ، عليه السلام ، أيضاً :

« واذكر عبادنا : إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار * واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل ، وكل من الأخيار ... » (٤٥ — ٤٨ سورة ص) .

ومن ذكر الله عز وجل لذى الكفل فى القرآن الكريم بالثناء عليه ، مقروناً مع هؤلاء الأنبياء ما يدل على أنه نبى ، وهذا هو المشهور .

وزعم البعض أنه لم يكن نبياً ، وإنما كان رجلا صـالحاً عادلا .. وتوقف ابن جرير الطبرى فى ذلك .

وروى ابن جرير عن مجاهد أنه لم يكن نبياً وإنما كان رجلا صالحاً ؛ وروى مثله عن الأشعرى .

وكان قد تكفل لقومه أن يكفيهم أمرهم ، ويقضى بينهم بالعدل ، ففعل ، فسمى « ذا الكفل » .

وروى ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذا الكفل من بنى إسرائيل فيصح أن يكون هو رجلا آخر غير ذى الكفل .. والله تعالى أعلم .

الـــذرة

وردت كلمة (الذرة) فى كتاب الله عز وجل فى ستة مواضع :

الأول : فى الآية الأربعين من سورة النساء : « إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها » .

الثانى : فى الآية ٦١ من سورة يونس : « وما يعزب عن ربك من مثقـال ذرة فى الأرض ولا فى السماء » ، أى لا يغيب عن علمه وزن ذرة صغيرة جـداً فى أى مكان فى الكون .

الثالث : فى الآية الثالثة من سورة سبأ : « لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض » .

الرابع : فى الآية ٢٢ من سورة سبأ أيضاً : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض » .

الخامس والسادس : فى الآية ٧ و ٨ من سورة الزلزلة : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

والمثقال : هو الوزن ، والذرة : هى أصغر جزء فى الخلية ، ونفى الظلم عن الله عز وجل ولو مقدار مثقال ذرة هو إثبات لعدل الله الحكيم العليم القادر .

وفى الآية الثانية والثالثة إثبات للعلم الإلهى المحيط بكل شىء فى الكون والحياة فلا يغيب عن علم الله شىء ، ولو كان مثقال ذرة ، وهى مما لا وزن له ، ولا يرى وإذا أحاط علماً بمـا فى وزن الذرة أحاط علمه بكل شىء .

وفى الآية الرابعة إثبات لأن ما يعبده المشركون من دون الله عز وجل لا يملكون من هذا الكون العظيم شيئاً ولو كان فى مقدار مثقال ذرة ، فالأولى أن يعبد الله وحده مالك الملك،ورب الكون وخالق الحياة ومسخر الشمس والقمر والكواكب والنجوم .

وآيتا « الزلزلة » تنويه بعدل الله عز وجل ، حتى إنه ليحاسب الإنسان علـى ما عمل من خير أو شر ، لا يظلمه ولا يترك من عمله مثقال ذرة دون أن يحاسبه عليه

إن عدل الله فوق كل عدل ، وأعلى من كل شىء ، وأعظم من أن يتحيفه جور ، أو يتنقصه ظلم ، أو يتخونه طغيان ، وعدل الله فى كل مخلوقاته أمــر بدهى ، فقد قسم الليل والنهار ، وسخر الشمس والقمر ، وجعلها تسير بأمره ، لا يتحيف كوكب كوكباً ، وعدل الله فى الموت والحياة ، والرزق والعمل والإنجاب والحرمان من الأبناء ، والمرض والصحة وفى كل شىء ، أمر بدهى ، وإن خفيت علينا حكمته ؛ وقد اتهم موسى عليه السلام الخضر صلوات الله عليه بالحيف والجور فى صنيعه ، فرد عليه الخضر بأنه يعلم ما لا يعلمه ، بوحى من الله وإلهـام .. وكان موسى قد ادعى أنه يعلم ما لا يعلمه أحد .

هـذا ولقـد أصبحت الذرة — التى جعلها الله مثلا لأصغر شىء فى الوجود شيئاً خطيراً فى حياة الإنسان ، فانفلاقها أو انشطارها وما يتولد عنه من قــوة رهيبة مدمرة شىء لا يتصوره عقل ، ولا يدرك كنه حقيقته خلد :

فالذرة اليوم هى التى تعمل من أجل شقاء الإنسان وسعادته معاً ، فهى التى تسير الآلات والمصانع ، وهى التى تصنع أدوات الحرب والدمار أيضاً وأصبحت الذرة تسير كل شىء فى الحياة بقوتها الهـائلة ، وهى التى وصـلت بالإنسـان إلى الفضاء والقمر والكواكب الأخرى ، وعن طريقها نزل الإنسان على ســطح القمر ، وحاول جاهداً أن يكتشف الكواكب الأخـرى البعيدة ، وأن يعـرف الكثير من أسرارها ؛ وصرنا نعيش فى عصر الذرة ، عصر الفضاء ؛ وتبارك الله العلى القدير أحسن الخالقين ، وأعظم المبدعين .

الـرس

ورد ذكر (الرس) فى سورة الفرقان :

« وعاد وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً * وكلا ضربنا لـه الأمثال ، وكلا تبرنا تتبيراً » (آية ٣٨ و ٣٩ من سورة الفرقان) .

كما ورد ذكرها فى سورة (ق) ، قال تعالى :

« كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود * وعاد وفرعون وإخوان لوط * وأصحاب الأيكة ، وقوم تبع ، كل كذب الرسل فحق وعيد » .

(١٢ – ١٤ سورة ق)

وتتبير الله عز وجل – أى إهلاكه – لهم إنما كان لكفرهم وخروجهم عن عبادة الله عز وجل ، وعن شرائعه ورسالاته .

ويذكر ابن جرير أن أصحاب الرس من أصحاب الأخدود ، الذين ذكروا فى سورة البروج .

ويروى عن ابن عباس أنهم أهل قرية من قرى ثمود ؛ ويروى عنه أن الرس بئر بأذربيجان .

ويذكر ابن عساكر أنهم كانوا فى الأحقاف ، وكفروا بالله ، فأهلكهم الله ، وتفرقوا فى اليمن كلها وأنهم كانوا قبل عاد بأجيال .

ويروى عن عكرمة أن أصحاب الرس بفلج ، وفلج قرية من قرى اليمامة ، (نجد الآن) ، ولا تزال موجودة إلى اليوم .

ويروى عنه كذلك أنهم أصحاب يس ، وقد أهلكوا جميعاً .

ويروى أن أصحاب الرس كانت لهم بئر ترويهم وتكفى أرضهم جميعاً ، وكان لهم ملك عادل ، فلما مات حزنوا عليه ، واتخذوه إلهاً ، فبعث الله لهم نبياً ، فكفروا به وقتلوه ، وألقوه فى البئر ، فأهلكهم الله ، وخرب ديارهم .

ويرتبط هلاك الأمم دائماً فى كتاب الله عز وجل : بكفرهم بالله ورسالاته ، وخروجهم عن شرائعه ، وحياتها حياة الترف والفساد والاستهتار .. وهذه سنة الله فى الناس جميعاً ، أن يبيدهم الله حين يكفرون بالله ، وأن يخرجهم من النعيم إلى الشقاء ، ومن العزة إلى الذلة ، ومن الرخاء إلى الفقر ، ومن النعمة إلى النقمة .. ولن تجد لسنة الله تبديلا .

الرســول

الرسـول – بلفظه هذا أو بمادته – ذكر فى كتاب الله عز وجل فى نحو الأربعمائة موضع :

والرسول : من نزلت عليه شريعة من السماء وأمر بتبليغها للناس الذين أرسل إليهم ، وفى كتاب الله : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » (الآية ٦٧ من سورة المائدة) .

ورسل الله عز وجل إلى عباده هم أشرف خلق الله ، وأعظمهم منزلة ، وأعلاهم مكانة ، وأرفعهم درجة ، والمصطفون من عباده لهداية البشر ، ولتصحيح مسار الإيمان ، وللدعوة إلى عبادة إله واحد لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وللدعوة إلى فضائل الآداب والأخلاق ، والنهى عن رذائلها ، ولحث المؤمنين على فعل الخير ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ولدعوتهم إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالله واليوم الآخر .

وملك الوحى هو جبريل عليه السلام ، فهو الذى يتنزل على رسل الله برسالات السماء ، وهو الذى نزل على محمد بن عبد الله ، صلوات الله عليه ، بالقرآن الكريم ، كتاب الرسالة والشريعة المحمدية الخالدة .

وفى القرآن الكريم خطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم ووصف له بالرسول : وكثيراً ما يجيء كتاب الله بخطاب الرسول توجيهاً أو تحذيراً أو عتاباً أو حديثاً عن حادثة وقعت واختلف صحابة رسول الله فى تفسيرها .

ورسل الله يصطفيهم الله عز وجل من بين خلقه ، لحمل رسالته ، وتبليغها للناس .

والله عز وجل أعلم حيث يجعل رسالته ، وفى كتاب الله حديثاً عن المشركين :

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم * أهم يقسمون رحمة ربك ؟ » (٣١ و ٣٢ من سورة الزخرف) ، يعنون الوليد بن المغيرة بمكة ، أو عروة بن مسعود الثقفى بالطائف :

وقد رد الله عز وجل عليهم رداً بليغاً وهو أن النبوّة أمر لا يمكن أن يكون لرأى بشر مدخل فيه ، وأن ذلك مرده إلى اصطفاء الله عز وجل لمن يشاء من عباده ليكون رسول الله إلى الناس :

وكان اصطفاء الله عز وجل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعظم تكريم ، فهو خاتم رسل الله ، ورسالته خاتمة الرسالات ، والقرآن الكريم آخر كتب الله عز وجل المنزلة من السماء ، ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آلـه وأصحابه وذريته أجمعين :

الرضـــوان

الرضوان بمعنى الرضاء العظيم بثواب الله العظيم ، وبمعنى ثواب الله الكبير نفسه ، الذى يلقاه الصالحون من عباده فى الآخرة . والرضوان أعلى درجات النعيم ، حيث يرضى الإنسان فى الجنة عن نفسه ، وعن عمله ، وعن الجزاء الذى كافأه الله به على هذا العمل ، ويرضى عن المكان والزمان والعيش والحياة التى يحياها فى دار النعيم .. أو بمعنى رضاء الله العظيم على عباده الصالحين فى الآخرة وتكريمهم جزاء ما عملوا من صالحات .

ورضاء الله عن عبد من عباده منزلة عالية لا ينالها إلا المقربون ، ورضاء الإنسان عن نفسه وعن عمله الصالح فى الآخرة أعظم ما يسمو إليه المتقون .

وإذا رضى الإنسان عن نفسه وحياته وعن قربه من الله عز وجل ، فقد بلغ كل أمانيه ، ونال أقصى ما تطمح إليه نفسه فى الآخرة من مكافأة .

والرضوان معناه انتصار الإنسان فى معركة الابتلاء والاختبار والامتحان فى الدنيا ، ومعناه أن مقاومة الإنسان فى دنياه لنفسه وللشيطان وللهوى قد بلغت الذروة ،وأن معدن هذا الإنسان معدن قوى صلب ،فهو أهل لأن يكون بموضع كريم من رضوان الله فى الآخرة .

وهكذا تجد الرضوان لا يذكر إلا فى مقام جزاء الآخرة وثوابها ونعيمها الذى يناله عباد الله المتقون والمقربون والصالحون .

يقول عز وجل :

- « واتبعوا رضوان الله » (١٧٤ آل عمران) .
- « ورضوان من الله » (١٥ آل عمران) .
- « أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله » (١٦٢ آل عمران) . أى اتبع ما يوصله فى الآخرة إلى هذا الرضوان الكريم .
- « ورضوان وجنات » (٢١ التوبة) .

— « ورضوان من الله أكبر » (٧٢ التوبة) .

— « على تقوى من الله ورضوان » (١٠٩ التوبة) :

— « ومغفرة من الله ورضوان » (١٢٠ الحديد) :

— « ابتغاء رضوان الله » (٢٧ الحديد) .

— « فضلا من ربهم ورضواناً » (٢ المائدة) .

— « فضلا من الله ورضواناً » (٢٩ الفتح ، ، و ٨ الحشر) .

وهكذا نجد رضوان الله مقروناً بتكريم الله للصالحين فى الجنة ، ولا يذكر الرضوان فى مقام التكريم فى الدنيا ، لأن الدنيا شأنها هين ، وأمرها ضئيل ، ومقامها بجانب الآخرة صغير حقير .

إن الرضوان هو التكريم الأكبر من الله عز وجل للصالحين من عباده فى دار الآخرة ، وما أعظمه من تكريم ، وما أجله من مكافأة ، وما أروعه من جزاء ، لايسمو إليه إلا الأبرار والصالحون والمتقون .

رمضـــان

ورد هذا اللفظ القرآنى الكريم ، فى كتاب الله الحكيم ، فى موضع واحد ، هو الآية الخامسة والثمانون بعد المائة ، من سورة البقرة ، حيث يقول الله عز وجل : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان » .

ولنزول القرآن الكريم فى هـذا الشهر العظيم ، كرمه الله تكريماً ، ففرض صومه ، وسنّ إحياء ليله وقيامه بقراءة القرآن والتهجد والنوافل وصلاة التراويح ، وغير ذلك من الطاعات وفعل الخيرات والصدقات ، وفى الحديث عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه كل ليلة فيدارسه القرآن ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة .

ولم يذكر الله عز وجل اسم شهر من الشهور فى القرآن الكريم غير رمضان ، مما يدل على عظمة هذا الشهر الكريم ، ومكانته عند الله عز وجل .

وشهر رمضان هو على الحقيقة موسم للخير والبر والمعروف ، وعمل الصالحات وفعل القربات وتقديم الطاعات .

ويكفى هذا الشهر فخراً وشرفاً نزول القرآن فيه ، وهو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورسالة الإنسانية ،وحامى حمى الفقراء والمساكين واليتامى والمحرومين والعاجزين .

إن شهر رمضان فى التاريخ شهر مجد الإسلام وعزة المسلمين ، وانتصارهم على أعداء الرسالة وخصوم الدين .

إنه شهر كرّم الله فيه نبيه ، وكرّم فيه رسوله ، ودينه ، والمؤمنين به ، وجميع أبناء الإنسانية .

وفى آخره شرع الله عز وجل زكاة الفطر ، وجعلها طهرة للنفس والروح والمال .

ويقدم رمضان مرة فى كل عام، فيشعر كل مسلمة ومسلم أنهما يعيشان فى مهرجان دائم من الخير والحق والجلال والجمال ؛ وأنهما فى ربيع دائم ، وأعياد متواصلة .

شهر كريم ، وذكرى خالدة ، ذكرى نزول القرآن الكريم .

الـــروم

الروم : الشعب الرومانى من الشعوب الآرية التى كان لها النفوذ والسلطان فى حوض البحر الأبيض المتوسط فى العصر القديم ، وقد صار للروم السيادة فى العالم القديم بعد انتهاء مجد أثينا والشعب الإغريقى ، وحكم الأباطرة الرومان قبل الإسلام العالم القديم ،وتنازعوا السيادة بينهم وبين الفرس دولة الأكاسرة ،وقامت بينهم حروب طاحنة ، وبعد غزو الوندال لجنوب أوربا انقسم الروم إلى دولتين :

— الإمبراطورية الرومانية الشرقية ، وعاصمتها بيزنطة (القسطنطينية) .

— والإمبراطورية الرومانية الغربية ، وتسمى أيضاً الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، وعاصمتها روما ، ويقيم فيها بابا روما الرئيس الدينى الأعلى للشعوب المسيحية .

وقد سميت سورة من سور القرآن الكريم باسم سورة الروم ، لأن الروم أهل ديانة ورسالة بعد بعثة عيسى عليه السلام ؛ أما الفرس ، فلم يرد اسمهم فى كتاب الله ، لأنهم كانوا فى الجاهلية أهل وثنية وشرك ، لايقرون بعبادة الله وحده لا شريك له .

وورد لفظ الروم فى موضع واحد من كتاب الله الكريم ، وهو مطلع سورة الروم .

بسم الله الرحمن الرحيم : « ألم * غلبت الروم * فى أدنى الأرض ،وهم من بعد غلبهم سيغلبون * فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » (١ — ٥ الروم) .

وقد كانت الفرس هزمت الجيش الرومانى وانتصرت على الروم انتصاراً ساحقاً ، فاشتد حزن المسلمين لهزيمة الروم ، لأنهم أهل كتاب سماوى مثلهم ، وفرحت قريش بانتصار الفرس فرحاً لاحد له ، لأنهم أتباع وثنية مثلهم .

أخرج الترمذى عن أبى سعيد قال : لما كان يوم بدر انتصرت الروم وظهرت على فارس ، ففرح المؤمنون فى المدينة فرحاً لاحد له .

وكان بين مشركى مكة وبين المؤمنين حوار قبل الهجرة ، فيقول المشركون : الروم يشهدون أنهم أهل كتاب وقد غلبتهم الفرس وأنتم تزعمون أنكم ستغلبون بالكتاب الذى أنزل على نبيكم ، فكيف يهزم المجوس الروم وهم أهل كتاب ؟ وسنغلبهم كما غلبت فارس الروم .

فأنبأ الله عز وجل نبيه الكريم بأن العاقبة للروم على الفرس ، ولم تمض سنوات حتى هزم الفرس هزيمة ساحقة ، وهزمت جيوشهم وساح الروم فى الأرض .

وتحققت معجزة الله ونبوءة القرآن الكريم ، بأن النصر سيكون للروم بعد بضع سنين .

ولم ترد لفظة الروم إلا فى مطلع سورة الروم الذى ذكرناه ، وهو موضع واحد وردت فيه هذه اللفظة .

ومن عجب أن تكون دولة الروم الشرقية هى التى هاجمت الإسلام وحاربته طويلا ، ووقفت على أبواب أوربا الشرقية حارسة للجيوش الأوربية فى هجومها على الإسلام وبلاد المسلمين قبل الحروب الصليبية وأثناءها وبعدها .

ثم شاء الله العلى القدير أن تضعف قوة الروم ، وتعلو كلمة الإسلام فى كل مكان ، وذلك لحكمته وقضائه الذى لا راد له .

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

الـــريح

ورد لفظ (الريح) فى كتاب الله عز وجل فى تسعة عشر موضعاً والريح قد تكون خيراً أو شراً .

— « ريح فيها عذاب أليم » (٢٤ الأحقاف) .

— « وجرين بهم بريح طيبة » (٢٢ يونس) .

— « وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم » (٤١ الذاريات) .

— « بريح صرصر عاتية » (٦ الحاقة) .

وورد لفظ (الرياح) جمعاً فى عشر مواضع ، ولم تجئ الرياح فى كتاب الله عز وجل فى هذه المواضع إلا فى الدلالة على الخير والرحمة .

— « وتصريف الرياح » (١٦٤ البقرة ، و ٥ الجاثية) .

— « يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته » (٥٧ الأعراف) .

— « وأرسلنا الرياح لواقح » (٢٢ الحجر) .

— « ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات » (٤٦ الروم) .

والريح : هو الهواء الذى يحيط بغلاف الكرة الأرضية والذى نتنفسه ، وهو إما نسيم خفيف ، أو معتدل ، أو نسيم متحرك نشط ، أو نسيم قوى . . وهذه كلها هى ريح طيبة ، نافعة لا ضارة .

يقول عز وجل : « حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان » (٢٢ يونس) .

وقال عز وجل : « فيرسل عليكم قاصفاً من الريح » (٦٩ الإسراء) .

ويقول : « فأصابها إعصار فيه نار » (٢٦٦ البقرة) .

ومن الرياح : الريح العاصف ، والقاصف ، والإعصار ، وهى رياح ضارة متلفة ومهلكة فى أحيان كثيرة .

والعواصف إما خفيفة أو معتدلة ، أو نشطة ، أو قوية .. كذلك .. وهى نتيجه لاصطدام هواء حار بهواء بارد ، وتكون سرعتها فائقة فتسمى هوجاء تقتلع الأشجار ، وتهدم المنازل ، وتثير الأمواج العالية .

والريح العاصفة ، أى التى تقصف المنازل والأشجار والأبراج وتكسرها .

والأعاصير : ريح شديدة تصعد من الأرض إلى الجو عموداً مرتفعاً كدوامة الماء ، وتسمى بالزوابع ، وقد تصل سرعتها إلى قريب من الألف من الكيلومترات فى الساعة ، وهى أخطر شىء على السفن والطائرات والجسور ، بل وعلى الإنسان والحيوان والنبات .

وللرياح وظيفة نباتية ، فهى تلقح الأشجار ، قال تعالى « وأرسلنا الرياح لواقح » (٢٢ الحجر) ، فهى تلقح الأشجار والنباتات .

والرياح كذلك تحمل السحاب ، وتحركه من مكان إلى مكان ، وهى التى تقود السفن فى البحار العالية الأمواج ، وهى التى تساعد على حركة الإنسان والجماد ، وإذا ما خالفت حركة الإنسان أو الآلات حركة الريح سمع صوت كصوت حفيف الشجر ، وعندما يصطدم جسم بجسم يحدث فراغ بينهما ويتحرك الهواء بسرعة ويسمع له صوت خفيف أو شديد .

ومن العجب فى نظم القرآن الكريم وبلاغته أن يستعمل الرياح فى الخير ، ويستعمل الريح فى الخير والشر ، ولا أدرى سر ذلك ، وقد يستطيع العلماء أن يدلونا على هذا السر فى يوم من الأيام .

إن الرياح هى الهواء المتحرك ، وهو جمع ريح ، وهذا الهواء المتحرك هو من قوى الطبيعة المسخرة بقدرة الله ، وهو وحده العالم بكل أسرار الكون والحياة ، القادر على تسخير كل قوى الطبيعة للإنسان ، المهيمن على كل من وما فى الأرض والسماء ، وهو القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير .

الــــزكاة

هذا اللفظ القرآنى الكريم ورد فى كتاب الله عز وجل فى اثنين وثلاثين موضعاً .

ورد مقروناً بالصلاة فى ثمانية وعشرين موضعاً ، وفى أربعة مواضع لم يقرن بالصلاة :

— « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » (٢٠ المزمل و ٥٦ النور و ٨٣ و ١١٠ من سورة البقرة) .

— « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة » (٤ لقمان و ٣ من سورة النمل ، و ٥٥ المائدة) .

وغير ذلك من الآيات الكريمة ، الناطقة بضرورة أداء الزكاة .

والزكاة ركن من أركان الإسلام .

وفى الحديث الشريف : (بنى الإسلام على خمس :

— شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

— وإقام الصلاة : — وإيتاء الزكاة .

— وحج البيت . — وصوم رمضان) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام) .

ولم يذكر الحج فى هذا الحديث الشريف .

والزكاة شريعة وفريضة ، وليس إحساناً ومنة ؛ إنها مصدر الرزق والحياة للفقراء والمساكين واليتامى والأرامل والمرضى العاجزين عن السعى فى الأرض .

إنها مصدر الحياة لمن يستحقها ممن ورد فى القرآن الكريم :

« إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

والعاملون عليها : أى الذين يوكل إليهم جمعها .

والمؤلفة قلوبهم : من غير المسلمين الذين يكون كسبهم لجانب الإسلام سبب خير للمسلمين .

وفى الرقاب : أى تحرير العبيد .

والغارمين : أى المدينين فى عمل خير ، ممن استغرقت الديون كل أموالهم ، ولم تكف لسداء ما عليهم من ديون لغيرهم .

وابن السبيل : المسافر الذى نفد ماله ، وهو بعيد عن بلده وماله وأهله .

إن الزكاة هى صمام الأمان فى المجتمع ، وهو جوهر الإنسانية فى الإنسان .

وأداؤها فيه أعظم الثواب من الله عز وجل ، وفيه أكرم الجزاء عند الله فى الدنيا والآخرة .

زكريــــا

ورد اسم نبى الله زكريا عليه السلام فى مطلع سورة مريم ، وقصته سرد الله عز وجل شأنها الغريب فى آيات كثيرة فى السورة نفسها حين بلغ الكبر ، ودعا الله أن يهبه غلاماً ، فجاءت البشرى بمولد غلام له اسمه يحيى (١—١٥ من سورة مريم)

كما ورد كذلك فى آيتين من سورة الأنبياء (٨٩ و ٩٠) إذ ذكر الله عز وجل ابتهال زكريا لله أن يهبه ذرية طيبة .

وورد أيضاً فى عدة آيات فى سورة آل عمران فى تضرعه لله أن يرزقه غلاماً سرياً (٢٧ — ٤١ آل عمران) .

وورد اسمه مع جملة من الأنبياء فى سورة الأنعام (آية ٨٥ الأنعام) :

وقصة زكريا فى كتاب الله مضمونها أنه ابتهل إلى الله عز وجل وهو شيخ كبير أن يهبه ولداً ، وكانت امرأته مع ذلك عاقراً ، وذلك أنه كان كلما دخل على مريم — التى كفلها — محرابها ، وجد عندها فاكهة فى غير إبانها ولا أوانها ، فقال فى نفسه : إن الله رزق هذه الفتاة الفاكهة فى غير أوانها ، فهو القادر على أن يرزقنى ولداً فى شيخوختى .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان زكريا نجاراً .

وجاءت زكريا البشرى من السماء : « يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى » ، فضلا من الله ورحمة .

وهذه البشارة شبيهة ببشارة الملائكة لسارة زوج إبراهيم الخليل عليه السلام ، إذ بشرتها بإسحاق .

وكانت آية زكريا والعلامة التى تدل على حمل زوجه منه هى أنه لا يستطيع أن يحادث أحداً من الناس إلا رمزاً على مدى ثلاثة أيام .

وتحققت البشرى الإلهية ، وولد له يحيى ، وبعث الله عز وجل يحيى نبياً إلى قومه بنى إسرائيل ، وكان يحيى خير أهل زمانه وأجملهم وأصبحهم وجهاً ، فذبحوه وهو قائم يصلى فى المحراب .

وعن الثورى : قتل بنو إسرائيل على الصخرة التى ببيت المقدس سبعين نبياً ، منهم يحيى بن زكريا ، عليهما السلام .

وتتبع بنو إسرائيل أباه زكريا لقتله ، فلم يظفروا بذلك ، ونجاه الله من مكرهم وغدرهم ، وكان حقاً على الله نصر المؤمنين .

الزهـــد

الزهد : القناعة بما هو موجود فى يد الإنسان ، وقد انتشرت حركة الزهـد فى عصر الرسول ، وبخاصة بعد ثراء المسلمين وحكمهم للعالم القديم المعروف آنذاك

وفى الزهد بعد عن الدنيا لكسب ثواب الآخرة ، وفيه دخول فى مجال التقوى خوفاً من عذاب الله ونقمته وجبروته .

وفى أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم وأحاديثه دعوة إلى الزهـد وعـدم الاشتغال بالدنيا ، لأن الاشتغال بها يصرف الإنسان عن العبادة وعن الأعمـال الصالحة التى هى زاده إلى الآخرة ، قال صلوات الله وسلامه عليه ذات يـوم لأبى هريرة : يا أبا هريرة ، ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها ؟ فقلت : بلى يا رسول الله ، فأخذ بيدى وأتى بى وادياً من أودية المدينة ، فإذا مزبلة فيها رؤوس أناس وعظام وخرق .. ثم قال صلوات الله وسلامه عليه : (يا أبا هريرة ، هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم ، وتأمل كأملكم ، ثم هى اليوم عظام لا جلد ، ثم هى صائرة رماداً ، وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم ، فأصبحت والرياح تصفقها ، وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البـلاد ، فمن كان باكياً على الدنيا فليبك) .

قال صلى الله عليه وسلم : (مالى وللدنيا ، إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب قال فى يوم صائف ، ثم راح وتركها ، وقال : ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعـل أحدكم إصبعه فى اليم ، فلينظر بمـاذا يرجع ؟) .

ودخل عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرآه يضطجع على حصير خشن ترك آثاره على جنبه ، فبكى عمر ، فقال له الرسول : ما يبكيك؟ قال : أرى كسرى وقيصر على الحرير ، وأراك على الحصير ، فغضب الرسول وقال : أتريدها كسروية يا عمر ؟

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تعس عبد الدنيا ، وعبد الدرهم وعبد القطيفة .. إن أعطى منها رضى ، وإن لم يعط سخط .

وليس الزهد تركاً للعمل ، ولكنه عمل وثمرة ، والرضا بالثمرة وعدم مد النظر إلى أكثر من ذلك .

وفى كتاب الله عز وجل ما يفسر لنا حقيقة الزهد حيث يقول الله عز وجل : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وأبقى » (١٣١ طه) .

وفى كتاب الله عز وجل وردت كلمة (الزاهدين) فى سورة يوسف (الآية ٢٠) ، حيث يقول الله عز وجل عن القافلة التى أخرجت يوسف من الجب ، وسارت به نحو مصر ، وباعوه عبداً رقيقاً : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين » .

والزهد هنا بمعنى عدم الرغبة فى الإبقاء عليه فى أيديهم ، كما أن الزهد فى متاع الدنيا هو عدم الرغبة فيه أو التوجه إليه والإقبال عليه .

إن الزهد درجة عالية من درجات الإيمان ، ولا يقدر عليه إلا الصالحون المتقون ، الذين يؤثرون رضاء الله على رضاء النفس ، ويفضلون الدنيا على الآخرة ويتزودون بالعمل الصالح زاداً لهم فى الآخرة ، والسلام على من اتبع الهدى .

الســـاحل

ساحل البحر : شاطئه ، وهو المنطقة من اليابس التى تجاور البحر وتتأثر بأمواجه ، وقد ورد لفظ الساحل فى كتاب الله عز وجل فى موضع واحد من سورة طه ، هو الآية ٣٩ من السورة .

قال تعالى : « إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ، أن اقذفيه فى التابوت ، فاقذفيه فى اليم ، فليلقه اليم بالساحل ، يأخذه عدو لى وعدو له ، وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى ... » .

وورد الشاطئ كذلك فى القرآن الكريم فى موضع واحد ، هو الآية الثلاثون من سورة القصص :

قال تعالى : « فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين » .

أى فلما أتى النار جاءته الرسالة من السماء فى هذا المكان المبارك .

وساحل البحر غالباً ما يتكون من حصا البحر الصغير الذى يتجمع فى الشاطئ رمالا صغيرة ناعمة ، وعلى ساحل البحر يقضى الناس منافعهم من صيد السمك ، وركوب السفن ، وإنزال البضائع والمتاجر ، وتقع الثغور على الساحل وهى المدن المكتظة بالناس وبالتجارات ، والتى يعتمد أهلها فى الغالب فى معاشهم على الصيد وعلى التجارة ، وعلى السواحل تقع مصاب الأنهار العذبة ، حيث يسقط الماء المتبقى فى النهر إلى البحر ، والسواحل هى مكان التقاء الناس بالعابرين والمسافرين والقادمين ، وعليها يقذف البحر بمائه ، وتبدو عليها آثار المد والجزر واضحة للعيان .

والسواحل غالباً ما تحيط بها الجبال الفارعة ، كما نرى فى الجبل الأخضر فى ليبيا الذى يحيط بسواحل برقة ، وهذه الجبال كثيراً ما تكون السبب فى سقوط الأمطار لاصطدام السحب المحملة ببخار الماء بها ، فينزل الماء ويأخذ طريقه إلى مجراه الذى حفره لنفسه .

والسواحل قد تضيق وقد تتسع من مكان إلى مكان ، وعليها تنشأ مدن ، وتقام أسواق ، وتنصب جمارك وبوابات ، وتشيد مبان وترسانات بحرية ، وإليها تأوى السفن الحربية ، والأساطيل ، وهكذا تتعدد منافع السواحل ، وتقوم عليها مصالح الناس وحوائجهم ، وبها تكون معايشهم ومتاجرهم .

فسبحان الله مدبر الأمور ، ومقسم الأرزاق ، وواهب الأمكنة حظوظاً كحظوظ الناس ، فإما سعادة غامرة ، وإما شقاء مقيم .

سبأ

ورد اسم (سبأ) فى كتاب الله عز وجل فى موضعين :

الأول: فى الآية الثانية والعشرين من سورة النمل : « وجئتك من سبأ بنبأ يقين » .

والثانى : فى الآية الخامسة عشرة من سورة سبأ : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال » .

ولغرابة قصتهم سميت سورة من سور القرآن الكريم سورة سبأ ، وقد سار المثل بهم على طول عصور التاريخ ، واشتهرت قصة ملكتهم بلقيس مع سليمان عليه السلام فى كل العصور والأحقاب .

وقد قامت الدولة السبئية منذ عام ٨٠٠ ق م ، وظلت قائمة حتى عام ١١٥ ق م

وورد اسم سبأ فى التوراة وأن ملكة سبأ زارت سليمان فى أورشليم وحملت إليه الطيوب والذهب الكثير والأحجار الكريمة . (سفر الملوك الأول — إصحاح ١٠)

وشعب سبأ شعب بدوى ، تنقل بين شمال شبه جزيرة العرب وجنوبها ، ثم استقر فى بلاد اليمن نحو عام ٨٠٠ ق م ، وقضوا على الدولة المعينية ، وأقاموا دولتهم على أنقاضها ، وورثوا لغتها ودياناتها وتقاليد شعبها ، وخلفوهم فى الاشتغال بالتجارة ونقلها بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق ، واتخذوا صرواح ثم مأرب عاصمة لهم ، وعاشت سبأ فى رخاء كبير ، وبنوا سد مأرب الضخم ، واشتهر من ملوكها بلقيس ، وآل بهم الأمر إلى الترف وإهمال سد مأرب حتى تهدم وأغرقت مياهه البلاد ، وتفرق السبئيون فى كل مكان وكل جهة ، وانتهت دولتهم عام ١١٥ ق م ، حيث خلفتهم الدولة الحميرية .

ويقول الله عز وجل فيهم : « فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور » (١٦ و ١٧ سورة سبأ) .

وفى سورة النمل يقص الله عز وجل قصة هدهد سليمان والرسالة التى حملها من سليمان نبى الله فى أورشليم إلى بلقيس ملكة سبأ ، وزيارة الملكة لسليمان ، وإسلامها مع سليمان لله رب العالمين (٢٠ — ٤٤ سورة النمل) .

وما أعظم عظات التاريخ التى قصها القرآن الكريم للناس أجمعين .

السبات

السبات : النوم وأصله الراحة .

والنوم معروف وهو إخلاد خلايا الإنسان وجسمه للراحة الكاملة استجماماً واستعادة للنشاط الإنسانى فى جسم الإنسان .

والنعاس : الوسن ، أى النوم الخفيف ، ومنه لفظة « سنة » . يقال : أخذته سنة من النوم .

وقد ورد لفظ « السبات » فى كتاب الله عز وجل فى موضعين :

الأول : فى سورة الفرقان (الآية ٤٧) :

« وهو الذى جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً » أى راحة .

الثانى : فى سورة النبأ (الآية التاسعة) :

« وجعلنا نومكم سباتاً » أى راحة .

أما النوم فهو وما اشتق من حالاته كنائم ومنام ، مذكور فى كتاب الله عز وجل فى عدة مواضع ، منها :

— « لا تأخذه سنة ولا نوم » (٢٥٥ البقرة) .
— « إنى أرى فى المنام أنى أذبحك » (١٠٢ الصافات) .
— « ومن آياته منامكم بالليل والنهار » (٢٣ الروم) .
— « والتى لم تمت فى منامها » (٤٢ الزمر) .
— « وهم نائمون » (٩٧ الأعراف) .

وأما النعاس فهو النوم أيضاً ، وهو مذكور فى كتاب الله عز وجل فى موضعين :

— « إذ يغشيكم النعاس أمنة منه » (١١ الأنفال) .
— « أمنة نعاساً » (١٥٤ آل عمران) .

والسبات والنوم والنعاس والسنة ، أى النوم الخفيف ، رحمة من الله عز وجل بالإنسان ، فهذا الجسم الإنسانى بما فيه من خلايا وأعصاب وعروق وشرايين ، وبما يحتوى عليه من أعضاء تؤدى وظيفتها الكاملة من أجل الحياة ، هذا الجسم

الإنسانى ، أوقل : المعمل الإلهى الكامل فى جسم الإنسان ، والذى يعمل بكل طاقاته ليلا ونهاراً ، صيفاً وشتاء ، دون توقف ودون وناة ، سنوات قد تطول وقد تقصر .

لا شك أن جسم الإنسان محتاج للراحة جزءاً من الوقت من أثر إجهاد عمل هذا المعمل الكبير المعجز الخارق للعادة ، ومن ثم كان النعاس والنوم راحة للجسم وكان ذلك كله من فضل الله على البشر ، ليتمكن الإنسان بهذه الراحة القصيرة من العمل والإنتاج والسعى فى الأرض ابتغاء فضل الله .

ولولا النوم والنعاس والسبات لما أمكن للإنسان المثابرة والدوام والعمل :. ونحن نشعر إذا ما تأخر بنا النوم قليلا بغاية الإرهاق وبالعجز عن التفكير والعمل، وبما يشبه الشلل الكامل فى جميع أنسجة الجسم وأجزائه .

وبالنوم يستطيع الإنسان بعده أن يفكر فيجيد التفكير ، وأن يعمل فيتقن العمل ، وأن يبدع وينتج ويكتشف أسرار الحياة .. ولولا ذلك لماتت كل موهبة فى الإنسان ، بل لذهبت الحياة جملة ، وفنى الناس جميعاً .

فأية نعمة هذه النعمة ! !

وأية رحمة بخلق الله هذه الرحمة ! !

وأية معجزة تجلت فيها قدرة الخالق العظيم ، وحكمته الباهرة ، هذه المعجزة !

إن السبات والنوم والنعاس ، لمن تفكر فيها ، لمدعاة إلى الإيمان ، وتعظيم شأن الله الأعظم ، مبدع الكون والحياة والوجود .

سبيل الله

السبيل : الطريق ، يستعمل مذكراً ومؤنثاً ، وجاء فى كتاب الله العزيز : « قل هذه سبيلى » (١٠٨ يوسف) ، « وعلى الله قصد السبيل ، ومنها جائر » (٩ النحل) ، كما جاء فيه : « وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا » . (١٤٦ الأعراف)

وسبيل الله : الطريق ، أى المنهج الموصل لمرضاته ، وهو منهج الطاعة والعمل بأوامر الله عز وجل ، واجتناب نواهيه ، والبعد عن المعاصى والموبقات ، وهو منهج القرآن الكريم ودعوته من تصحيح العقيدة والتوحيد والإيمان بالله وحده، ومن أداء العبادات والتزام الأوامر ، وترك الذنوب ، والتحلى بمكارم الأخلاق ، وعدم الاقتراب من المعصية ، وامتثال تعاليم الشريعة ، فى المعاملات والحدود وأحكام المال ، وفى كل جانب من جوانب الحياة .

وقد وردت الكلمة القرآنية « سبيل الله » فى سبعين موضعاً :

أمر عز وجل بالقتال فى سبيل الله فى خمسة عشر موضعاً من كتاب الله .

وأمر بالهجرة فى سبيل الله ، فى خمسة مواضع .

وأمر بالجهاد فى سبيل الله ، فى عشرة مواضع .

وأمر بالإنفاق فى سبيل الله ، فى أحد عشر موضعاً .

وحذر من الصد عن سبيل الله ، فى عشرة مواضع .

كما حذر من الإضلال عن سبيل الله كذلك فى عشرة مواضع .

وحض على السعى فى سبيل الله فى موضعين .

وهكذا استعمل القرآن الكريم سبيل الله مرادفاً لطريق الدين والقرآن والرسالة والشريعة والإيمان ، وجعل ما خالف ذلك هو سبيل الضلال والشر والشيطان .

فالمسلم مأمور باتباع سبيل الله الذى فصله القرآن الكريم : من الإيمان والتوحيد والطاعة والعبادة ومكارم الأخلاق والعمل بأوامر الله ، وترك كل ما نهى عنه ،

والتزام تعاليمه فى كل شىء : فى الزواج والطلاق ، وفى معاملة الأسرة والأقارب وفى التعامل مع المجتمع الصغير والمجتمع الكبير من الوطن ، بل ومن الإنسانية كلها وللعاملين المتبعين سبيل الله الفوز بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة .

وللذين ينحرفون عن سبيل الله أو يتجنبونها العذاب الأليم فى الآخرة والشقاء الأليم فى الدنيا ؛ وهى سبيل الرشاد كما عبر عنها كتاب الله (٣٨ غافر) ، وسبيل ربك كما جاء فى القرآن الكريم : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » (١٢٥ النحل) .

وما أجل سبيل الله من سبيل ، وما أعظمها من طريق ، طريق الفوز برضاء الله ، طريق السعادة فى الدارين ، طريق النجاة من شقاء الدنيا وعذاب الآخرة ، طريق الخير والبر والمعروف والأمل والبشرى ، طريق النور والرحمة ورضاء الضمير .

وهل نجد مسلماً ملتزماً بسبيل الله إلا وهو ناجح فى حياته ، تحوطه السعادة من كل جانب ، ويحفه رضاء الله والملائكة والناس أجمعين ورضاء الضمير من كل ناحية ؟

وهل نجد منحرفاً عن طريق الله إلا وهو فى عذاب شديد ، عذاب الضمير ، وعذاب الشقاء الأليم فى الدنيا ، وعذاب النار فى الآخرة ؟

يا ليتنا نلتزم السير فى سبيل الله ، ونلتزم العمل بمنهاج الله ، ونلتزم السير على منهج القرآن الكريم وهداه ، ونلتزم اتباع تعاليم الإسلام عقيدة وشريعة كما أمر الله ، وكما جاء به القرآن من كتاب الله ، إذاً لقد سرنا فى طريق يأمل من سار فيه أن يفوز فوزاً عظيماً ، وصدق الله العظيم : « ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم ، وساءت مصيراً » (١١٥ النساء) .

نسأل الله أن يهدينا إلى سبيله ، وما أكرمه وأعظمه ، سواء السبيل .

السحاب

السحاب دليل قدرة الخالق الأعظم ، ونعمة من نعمه عز وجل على خلقه ، والسحاب لغة: الغيم ، سواء كان فيه ماء أم لم يكن ، والقطعة منه سحابة ، والجمع : سحب وسحائب .

وفى العادة أن نطلق السحاب على الممطر .. فالسحاب هواء مشبع بالماء على هذا الإطلاق .

وقد ورد السحاب فى كتاب الله عز وجل فى تسعة مواضع :

١ — ذكر تعالى السحاب وتصريفه بين السماء والأرض دليلا على قدرته ، وبرهاناً على عظمته ، فقال تعالى : « والسحاب المسخر بين السماء والأرض » (١٦٤ البقرة) .

٢ — وذكر عز وجل كذلك من براهين قدرته فقال : « وينشئ السحاب الثقال » (١٢ الرعد) . والسحاب هنا اسم جنس يطلق على المفرد والجمع ، ووصف بوصف الجمع ، أى المثقل ببخار الماء .

٣ — وقال تعالى فى وصف البحر : « يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب » (٤٠ سورة النور) وهو وصف لرهبة البحر وسطوته وظلامه فى الليل البهيم ، وحيث يزيده تراكم السحاب ظلاماً فوق ظلام .

٤ — وقال تعالى يصف سير الجبال سيراً سريعاً يوم البعث ، ويشبه سيرها السريع بسرعة سير السحاب : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب » (٨٨ سورة النمل) .

٥ — وقال تعالى حديثاً عن المشركين : « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم » (٤٤ الطور) .

— المعنى : وإذا رأى المشركون بعضاً من السماء ساقطاً عليهم عذاباً من الله ، قالوا : « فاسقط علينا كسفاً من السماء » (١٨٧ الشعراء) ، « أو تسقط السماء

علينا كسفاً » أى قطعاً (٩٢ الإسراء) ... يقولوا : هذا سحاب ممطر جاءنا محملا بالماء .

٦ — وقال تعالى : « حتى إذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء » (٥٧ الأعراف) أى حتى إذا حملت الريح سحاباً ثقالا بالمطر ، سقنا السحاب لبلد جدب فأنزلنا بهذا البلد الماء ، فشربوا ورووا أرضهم وزرعهم ، ونعموا بفضل الله وخيراته .

٧ — وقال تعالى : « ألم تر أن الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً » (٤٣ النور) — يزجى سحاباً : أى يسوقه هادئاً ثم يضم بعضه إلى بعض ، فتصبح القطع المتفرقة منه قطعة واحدة ، ثم يجعله ركاماً بعضه فوق بعض ، فترى الودق أى المطر ، يخرج من خلاله ، أى من مخارجه .

٨ — وقال تعالى : « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء » (٤٨ الروم) ، وهو بسط لقيام السحب وتوزعها فى السماء ، دليل قدرة الله عز وجل وعظمته .

٩ — وقال تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت » (٩ سورة فاطر) ، وهو دليل قدرة الله عز وجل وهيمنته على الكون وما فيه .

إن القرآن الكريم يلفت نظر الجاحدين والمشركين إلى عظمة الله وقدرته ، وإلى أنه الذى يصرف السحاب بين الأرض والسماء ، لعلهم يؤمنون ، ولكن قلوب المشركين تحجرت على مألوف قومهم فى العبادة واتخاذ الأصنام آلهة .

وما ذكره الله عز وجل من أمر السحاب هو تذكير للمشركين بقدرة الله الباهرة وزجر لهم عن استمرارهم فى الكفر والعناد والشرك وعبادة غير الله عز وجل .

والسحاب وتكونه فى الأفق ، وسيره بين السماء والأرض برهان عظيم على وجود الله وقدرته وعظمته وألوهيته ، ووجوب الطاعة والعبادة له وحده رب العالمين ، وخالق الإنس والجن أجمعين .

وتطير الطائرات اليوم فوق السحاب ، ويبدو السحاب من تحتها قطعاً تشبه القطن المندوف ، يسير من مكان إلى مكان ، فسبحان الله العظيم ، وتبارك الله أحسن الخالقين .

السعادة

لم يرد المصدر (السعادة) فى كتاب الله عز وجل ، إنما ورد الفعل :

« وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها » (١٠٨ هود) . والفعل بلفظ البناء للمفعول أو للمجهول :

وورد كذلك الوصف :

« يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه ، فمنهم شقى وسعيد » (١٠٥ هود) .

وبناء الفعل (سعد) للمجهول إرشاد ؛ لأن الإنسان لا ينال السعادة بنفسه ولا بعمله ، إنما هى هبة من الله عز وجل ، لمن رضى عنه ، ولمن سار على هدى القرآن والشريعة والرسول ، فالعمل لا يوصل الإنسان إلى السعادة بنفسه ، ولكن الله هو مانحها وواهبها ، ولذلك جاء فى الأثر : لا يدخل الإنسان الجنة بعمله ، قيل : ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا أنا .

ومجىء الوصف (سعيد) لأنه إذا فاز الإنسان برضاء الله ورحمته وجنته فقد صار سعيداً حقاً ، وأية سعادة غير هذه السعادة ؟ وأية نعمة أكبر من هذه النعمة؟ « ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً » (٧٣ النساء) .

وما أعظم سعادة الذين كتب الله لهم رحمته وجنته فى دار الحساب والعذاب : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين * وقالوا : الحمد لله الذى صدقنا وعده ، وأورثنا الأرض ، نتبوأ من الجنة حيث نشاء ، فنعم أجر العاملين » (٧٣ و ٧٤ من سورة الزمر) .

إنها هى السعادة الحقة ، إنها هى الأمل العظيم ، إنها هى النعمة الكبرى ، إنها هى النعيم المقيم .

ليتخيل البشر ، والشعراء ، السعادة كما يحلو لهم ، فى الصحة ، فى المال ، فى القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، فى البنين ، فى الجمال ، فى القصور

والخدم ، وفاره المراكب ، فى النساء ، فى غير ذلك مما يهيم فى بيانه الشعراء فى كل واد . فإن السعادة ليست فى شىء من ذلك كله ، إنها فى رضاء الله ، فى رضاء الضمير ، فى رضاء الملائكة ، فى رضاء الناس .

قد يجلس فقير معدم فى كوخ صغير ، وهو ممتلىء بالبشر والسعادة ، فيملأ الجو غناء أو دعاء بالحمد والشكر لله رب العالمين .

وقد يجلس غنى متخم بالأموال فى قصره ، وبين زوجته وولده وخدمه ، وهو يشكو من مرض أو من خسارة أو من ربح شغله وشغل فكره وباله ، أو من شىء لم يكن يتصوره .. وفى ذلك يقول الحديث الشريف : (تعس عبد الدرهم وعبد الدينار ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش (أى إذا أصابته شوكة فى طريق سعيه لجمع المال وحرصه على ألا يفوته منه شاردة ولا واردة .. فلا أصاب منقاشاً يخرج به الشوكة من قدمه .

ونحن نتمنى أن يكون المسلمون جميعاً أرباب أموال لا حصر لها .. ولكن نقول لكل ذى مال : أدِّ من مالك حق الله وحق الفقراء لعباد الله ، وأخرج زكاة مالك لليتامى والمساكين والمحرومين وفى سبيل الله ، وكن الغنى الشاكر ، لتكون الفائز برضاء الله ورحمته ، ولتكون من الذين يستحقون أن يمنحهم الله السعادة فى الدنيا والآخرة ، ونقول : إن المال فى أيديكم أمانة ، فأنفقوه فى الإحسان إلى الناس ، وفى بناء المجتمع ، وبناء قوة الأمة ، وفى إنشاء المدارس والملاجىء والمستشفيات ، وفى دعم اقتصاد الوطن ، ليكون هذا المال وسيلة إلى دعم قوة المسلمين ، وبناء مستقبل سعيد لكل مسلم على وجه الأرض .

السعى

وردت هذه اللفظة القرآنية فى كتاب الله الحكيم فى ثلاثين موضعاً :

الموضع الأول : بمعنى السرعة :

— « وأما من جاءك يسعى » (أى يسرع فى الخير والعمل الصالح) (٨ سورة عبس) .

— « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى » (٢٠ القصص) .

— « وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى » (٢٠ يس) .

— « فإذا هى حية تسعى » ، أى تزحف (٢٠ طه) .

الموضع الثانى : بمعنى العمل :

— « ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً »(٢٠ الإسراء) ، أى وعمل لها عملها ،فأولئك كان عملهم مشكوراً، يعنى : يشكر الله أعمالهم ويجزيهم بها .

— « إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً » (٢٢ الإنسان) .

— « إن سعيكم لشتى » (٤ الليل) .

— « والذين سعوا فى آياتنا » (٥١ الحج) ، يعنى مشوا يثبطون الناس عن الإيمان ، ويدعونهم إلى البقاء على الشرك .

— « والذين سعوا فى آياتنا » (٥ سبأ) .

والموضع الثالث : السعى بمعنى المشى على الرجل :

— « ثم ادعهن يأتينك سعياً » (٢٦٠ البقرة) ، يعنى : مشياً على الرجل .

— « فلما بلغ معه السعى » (١٠٢ الصافات) — السعى هنا بمعنى المشى .

— « فاسعوا إلى ذكر الله » (٩ من سورة الجمعة) ، أى فامشوا إلى الصلاة المفروضة ، وفى قراءة ابن مسعود : فامضوا إلى الصلاة .

والقرآن الكريم يحث على العمل ويدعو إليه ، ويجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، والعمل هو قوة للفرد وللمجتمع وللأمة ، وهو ذخيرة صالحة لنهضتها وتقدمها .

وما أعظم كتاب الله الذى ينبه إلى كل محمدة ، ويحذر من كل شر ، ويدعو إلى كل فضيلة ومكرمة ، ويحض المسلم على ألا يكون عالة على الناس ، وينهاه عن أن يتكفف الناس ويسألهم ، ويرفع رأسه دائماً عزيزاً كريماً ، لا يقبل الضيم ولا يرضى بالذل ، ولا يستكين إلى العجز .

والسعى على القوت ، نظير الجهاد فى سبيل الله ، فهو جهاد فى سبيل النفس ، وهو تخريج لأفراد مجتمع صالح ، وهو تربية وتهذيب للنفس ، وهو تقويم للسلوك

جعلنا الله من الساعين إلى الخير ، والعاملين بالقرآن الكريم .

وما توفيقنا إلا بالله .

السكينـــة

وردت هذه اللفظة القرآنية الكريمة في عدة مواضع من كتاب الله الحكيم :

الموضع الأول : فى الآية ٢٤٨ من سورة البقرة ، وهى قوله تعالى : « إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم » .

كان التابوت وديعة موسى عند يوشع ، فوضعه يوشع فى البرية ، فبعث الله ملائكة حملته فوضعته فى دار طالوت .

والسكينة : الطمأنينة أو الرحمة ، أو المغفرة والرضاء .

والموضع الثانى : فى الآية الرابعة من سورة الفتح : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم » . والسكينة : السكون والطمأنينة ورضاء النفس وهدوءها وصفاؤها ، يعنى طمأنينة المؤمنين فى صلح الحديبية ، وتسليهم بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم معناها الرحمة .

والموضع الثالث : فى الآية ٢٦ من سورة الفتح أيضاً : « فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » .

والموضع الرابع : فى الآية ١٨ من سورة الفتح كذلك : « فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً » .

والموضع الخامس : فى الآية ٢٦ من سورة التوبة : « ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » .

والموضع السادس : فى الآية الأربعون من سورة التوبة : « فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا » .

وذلك فى الهجرة النبوية الشريفة ، حيث أسكن الله عز وجل قلب رسوله الكريم الإيمان والسكينة والطمأنينة ؛ فالضمير فى « سكينته عليه » للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقيل لأبى بكر ، لأن النبى صلوات الله وسلامه عليه نزل

ومعه السكينة ، والأولى أن يكون الضمير فى « عليه » لرسول الله .. والسكينة هى طمأنينة النفس وسكونها ورضاؤها ، بنجاة رسول الله من مؤامرة قريش لقتله وسفك دمه ، فنجاه الله عز وجل ، وتمت الهجرة ، هجرة رسول الله من مكة إلى المدينة ، وأعز الله جنده ، ونصر بالهجرة دينه ، وأيد بعونه ورعايته رسوله ، محمداً صلوات الله عليه وسلامه .

والسكينة فى هذه المواضع كلها بمعنى واحد وهو الطمأنينة والهدوء والصفاء ورضاء النفس ، وذلك أثر للإيمان ، لأن الإيمان هو مصدر كل خير ، وصنيع كل فضل ، وأس كل سعادة ، ومتى استقر الإيمان فى النفس استقر معه القلب والعقل والروح والوجدان والعاطفة والشعور ، واكتسب الإنسان بذلك السعادة والخير والفوز والربح فى الدنيا والآخرة .

وليس ينجى الإنسانية والإنسان من السعار والشقاء والعذاب النفسى والألم المدفون إلا الإيمان .. لأنه مصدر كل خير وفضيلة وشرف وعزة وكرامة وأمن وأمان وسلام للإنسان .

ولو أن الإنسانية آمنت بالله لعادت إلى أوج سعادتها وازدهارها وتقدمها الكبير .

أيها الإنسان : عد إلى الله ، عد إلى النعمة الكبرى ، عد إلى دينك وسلامك تعد إلى الحياة والصفاء والخير العميم ، والربح العظيم والسعادة الدائمة .

سندس

وردت هذه اللفظة القرآنية الكريمة فى ثلاثة مواضع من كتاب الله عز وجل ، وهى :

الموضع الأول : الآية الحادية والثلاثون من سورة الكهف :

« ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق » .

السندس : ما رق من الديباج — الحرير ، والإستبرق : ما غلظ منه، والآية تصوير لنعيم الله عز وجل ولنعمه الكثيرة على الفائزين الطائعين المؤمنين الصادقين فى جنة الله ورضوانه ، من الماء الكوثرى ، والحلى الرائعة ، والثياب النبيلة والأرائك الوثيرة ، وغير ذلك مما لا يخطر على عقل ، ولا يدركه تصور إنسان ، ولا يحيط به خيال مفكر .

والموضع الثانى : الآية الثالثة والخمسون من سورة الدخان :

« يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين » .

أى لا ينظر بعضهم إلى ظهر بعض ، لدوران الأسرة والأرائك بهم ، فهم دائماً فى مواجهة بعضهم لبعض ، وهذا من تمام الترف ، وعلو النعمة ، وتضافر منة الله على المؤمنين من عباده فى جنته ، جنة النعيم .

والموضع الثالث : الآية الحادية والعشرون من سورة الإنسان :

« عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق » .

أى فوق أجسادهم ثياب خضر من حرير رقيق النسج ، ومن حرير غليظ النسج ، أى على المؤمنين الفائزين برضوان الله فى جنته أنواع من الملابس الحريرية الجليلة .

ووصف السندس بالأخضر ، لأن اللون الأخضر رمز للسعادة والنعيم والخير والاطمئنان والاستقرار .

وما أجلّ نعيم الله فى الآخرة ، مما ينعم به عباده الصالحون ، وما أعظم كرمه

عز وجل فى الجنة ، هـــذا الكريم الكبير الذى يغدقه رب العزة على الصالحين الطائعين العابدين الساجدين الراكعين القانتين من المؤمنين بالله وبشريعته .

نعيم لا يكاد يبلغ مداه فكر ، ولا يحيط بجوانب عظمته عقل ، ولا يصـل إلى إدراك جلاله إنسان ؛ فما أحرى هذا الإنسان بالإيمان والعمل الصالح لينـال هذا النعيم فى الآخرة ، وليدرك جانباً من هذا الرضوان فى دار الخلود ، وليحيا حياة طيبة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

سليمــــان

ورث سليمان داود عليهما السلام ، وشب على الذكاء والفطنة والشمائل العالية ، وآتاه الله العلم والحكمة ، وعلمه لغة الطير ، وسخر له الريح والجن .

ومن دلائل ذكائه وفطنته فتواه فى مشكلة الحرث الذى أكلته غنم ليست لصاحبه ، وكان أبوه داود قد حكم بأن يأخذ صاحب الحرث الغنم عوضاً له عن حرثه ، ولكن سليمان أفتى بأن تدفع الغنم إلى صاحب الحرث ، لينتفع بنسلها ولبنها وأشعارها ، وأن يقوم صاحب الغنم على إصلاح الحرث ، فإذا ما أصلح عادت غنمه إليه ، فكان حكمه أصوب ، وفتواه أعدل .

ومن كرم الله بسليمان أن علمه منطق الطير وغيره ، وقصة هدهد سليمان معروفة ، وكان سليمان يعلم لغة النمل كذلك ، وسخر الله له الريح ، يصرفها كما يشاء ، وسخر الله عز وجل له الريح ، فهى تجرى بأمره كما يشاء ، كما سخر له الجن .. كل ذلك كان يقابله سليمان بالشكر لله عز وجل ، وأخذ يقول لله مولاه : رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى ، إنك أنت الوهاب .

وقصة بلقيس وسليمان قصها الله عز وجل فى سورة النمل ، وتدل على عظمة الله وقدرته وعلى إخلاص سليمان وحبه لله عز وجل .

وقد ورد ذكر سليمان فى كتاب الله عز وجل سبع عشرة مرة فى سور : البقرة والنساء والأنعام والأنبياء والنمل وسبأ و (ص) .

ومن طاعة سليمان لمولاه أنه شهد سباق خيل ، فألهته عن الصلاة حتى ذهب وقتها ، فأفناها عن آخرها .

ومن مواقفه أنه قال ذات يوم : لأطوفن بزوجاتى السبعين ، فكل منهن تلد فارساً يجاهد فى سبيل الله ، ولم يقل : إن شاء الله ، فطاف بهن ، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل ، ولو قال : إن شاء الله ، لحملت النساء جميعاً ولولدن فرساناً أجمعين .

ومات سليمان نبى الله بعد أن عاش ثلاثاً وخمسين سنة ، قضى منها أربعين على سرير الملك ، ولحق بأبيه داود عليهما الصلاة والسلام .

السمع

ذكرت لفظ (السمع) فى كتاب الله فى اثنين وعشرين موضعاً : مفردة فى ثمانية مواضع ، ومقرونة بالبصر والفؤاد — أى القلب — فى موضع ، وبالأبصار والأفئدة فى مواضع ستة ، وفى هذه المواضع كلها قدم السمع ، ويذكر السمع مع القلب بتقديم القلب على السمع وبتأخيره أيضاً — لكن إذا ما اقترن السمع بالأبصار نجد السمع يذكر مقدماً ، حيث إن المعلومات التى تصل للإنسان عن طريق السمع فى الإنسان أكثر .

ونعمة السمع نعمة جليلة ، امتن الله بها على عباده ، وجعلها من دلائل قدرته ووحدانيته وعظمته ، ويذكرها الله عز وجل دائماً قبل الأبصار تأكيداً لتمام قدرته .

ونعمة السمع إحدى وسائل المعرفة ، وبها يشارك الإنسان مجتمعه والناس الذين يعايشهم ويعايشونه ، ولولاها لعاش الإنسان وحيداً مفرداً معتزلا ، لا يشارك الناس سراءهم ولا ضراءهم ، وقد خلق الله الإنسان مدنياً بالطبع ، يحب حياة الناس والحياة معهم ، ويشاركهم همومهم وأفراحهم ، وكيف يتسنى له ذلك بدون السمع .

وما أكثر نعم الله على الإنسان ، وما أجلها وأعظمها ، وكلها تستحق شكر المنعم عز وجل ، فبالشكر تدوم النعمة ، ويستمر الكرم والإكرام ، والله عز وجل يقول فى محكم كتابه : « ولئن شكرتم لأزيدنكم » .

وصدق الله العظيم فيما قال :.

فمن ذا الذى ينعم ويجحد المنعم عليه النعمة ثم يستمر المنعم فى العطاء ؟ اللهم إلا أن يكون التفضل العظيم الذى لا يصدر إلا من المولى الكريم وأعظم الكرماء .

وخلق السمع فى الإنسان والحيوان إبداع وأى إبداع ؛ وجهاز السمع جهاز مركب دقيق ينقل لمخ الإنسان كل ما يريد سماعه من أصدقائه والمحيطين به ومن الناس من حوله ، والإنسان بدون السمع لا يستطيع شيئاً ، ولا يمكنه عمل شىء .

فسبحان الله الذى خلق ، وهو الحكيم العليم ، وتبارك الله أحسن الخالقين .

السنة

وردت هذه اللفظة القرآنية الكريمة فى كتاب الله بدون التعريف بأل فى مواضع عدة :

— « فقد مضت سنة الأولين » (٣٨ الأنفال) .
— « وقد خلت سنة الأولين » (١٣ الحجر) .
— « سنة من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا ولن تجد لسنتنا تحويلا » (٧٧ الإسراء) .
— « إلا أن تأتيهم سنة الأولين » (٥٥ الكهف) .
— « سنة الله فى الذين خلوا من قبل » (٣٨ الأحزاب) .
— « سنة الله فى الذين خلوا من قبل » (٦٢ الأحزاب) .
— « ولن تجد لسنة الله تحويلا » (٤٣ فاطر) .
— « ولن تجد لسنة الله تبديلا » (٦٢ الأحزاب) .
— « سنة الأولين » (٤٣ فاطر) .
— « فلن تجد لسنة الله تبديلا » (٤٣ فاطر) .
— « سنة الله التى قد خلت فى عباده » (٨٥ غافر) .
— « سنة الله التى قد خلت من قبل » (٢٣ الفتح) .
— « ولن تجد لسنة الله تبديلا » (٢٣ الفتح) .
— « ولن تجد لسنتنا تحويلا » (٧٧ الإسراء) .
— « قد خلت من قبلكم سنن » (١٣٧ آل عمران) .
— « ويهديكم سنن الذين من قبلكم » (٢٦ النساء) .

والسنة : هى الطريقة والمنهج والمسلك ، سنة الله هى المنهج الإلهى فى تسيير أمور الحياة ، وهى طريقته فى تربية الأمم ، وهى شرائعه التى يرشد الإنسانية بها إلى الله وإلى الحق :

وسنة الأولين هى طرائق السالفين من الأمم والشعوب والجماعات والأفراد فى الإيمان أو الكفر ، والصلاح أو الفساد ، والعدل أو الظلم :

وسنة الرسل هى طرائقهم ومناهجهم فى هداية الأمم والشعوب .

وقد صار للسنة معنى اصطلاحى جديد آخر ، هى ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل ، تبياناً للقرآن ، وشرحاً للعقيدة ، ودعوة إلى الإيمان ، وإرشاداً إلى مناهج الخير والطاعات والصالحات ، وشرحاً لأعمال الشريعة من طهارة وصلاة وصوم وحج وزكاة ومعاملات وحدود وقضاء وأحكام

والسنة النبوية الشريفة متممة للقرآن الكريم وشارحة ومفسرة له ، وهى المصدر الثانى من مصادر الشريعة ، وكان صلى الله عليه وسلم يتكلم وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ؛ وكان لا يقول إلا الحق والصدق والخير والبر ؛ وقد جمعت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتب السنن والصحاح ، وفى مقدمتها : صحيح الإمام البخارى وصحيح الإمام مسلم ، رضوان الله عليهما .. ولم تجمع السنة فى عهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ؛ إنما جمعت بأمر الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وأرضاه.

والسنة النبوية تمتاز ببلاغتها وجلالها وعظمة فصاحتها وروعة معناها ومبناها والحديث عن السنة النبوية يطول وليس هذا موضعه ، ولكننا نقول : إن السنة هى الطريقة والمنهج ، وسنن الأولين : طرائقهم فى الحياة والدين ، وسنة رسول الله هى منهجه الخالد فى الدعوة إلى الله ، وكلامه الحكيم فى شرح الشريعة والعقيدة والعبادات والطاعات ..

إن السنة النبوية منهج كامل مستمد من كتاب الله عز وجل ، هدفه بيان أسرار القرآن ودعوته وشريعته وأحكامه وفرائضه وواجباته ومندوباته وحلاله وحرامه.

وحديث رسول الله لفظه ومعناه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان المعنى مستمداً من كتاب الله ووحيه . أما الحديث القدسى فلفظه لرسول الله ومعناه لله عز وجل .

إن الصلة بين السنة النبوية ، وسنن الله فى شرائعه ورسالاته صلة وثقى ، وهى صلة أحكمها القرآن ، ودعمها الرحمن ، وتعلم منها الإنسان .

سيناء

وردت هذه اللفظة القرآنية الكريمة فى كتاب الله عز وجل فى موضعين :

الأول : فى سورة التين (الآية الثانية) : « والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين ، لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » .

وطور سينين هنا هو طور سيناء ، وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى وهو بالشام ، وبلغه رسالته . واختير لفظ سينين إيحاء بأنه مرت عليه عصور وأجيال عديدة ، عرف الناس فيها جميعها فضله ، وأدركوا أهميته وشرفه ، وقيل : معنى سينين مبارك ، وقيل : معناه ذو الشجر ومفرده (سينة) كما قال الأخفش .

والتين والزيتون ، قيل : هما الشجرتان المعروفتان اللتان يؤكل ثمرهما ، وأقسم الله بهما لفضيلتهما على سائر الثمار ، ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل مع أصحابه تيناً فقال : (لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه) ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : (نعم السواك الزيتون ، فإنه من الشجرة المباركة ؛ هى سواكى وسواك الأنبياء من قبلى) .

وقيل : إنهما موضعان ، واختلف فى تحديدهما ، قيل : هما جبلان بالشام ، أحدهما بدمشق يثبت فيه التين ، والآخر ببيت المقدس (إيلياء) ينبت به الزيتون ، فكأن الله عز وجل أقسم بهذين المرضعين لشرفهما ، إذ كان فيهما مولد عيسى ومسكنه وكأنه قال : ومنابت التين والزيتون ، وقيل : التين مسجد دمشق ، والزيتون مسجد بيت المقدس ، وقيل : التين مسجد نوح ، والزيتون مسجد إبراهيم .

والأرجح أن يكون التين مسجد نوح ، والزيتون مسجد إبراهيم ؛ أما البلد الأمين فهو مكة المباركة المكرمة ؛ وأما طور سينين فهو الجبل المعروف الذى نزلت عليه الرسالة إلى موسى عليه السلام ؛ أقسم الله عز وجل بهذه المواضع تشريفاً لها .

وأرجح من ذلك كله أن يكون التين مسجد إبراهيم عليه السلام ، والزيتون مسجد بيت المقدس ، أما البلد الأمين فهو مكة المكرمة ، وأما طور سينين فهو موضع نزول الرسالة على موسى .. وقد أقسم الله عز وجل بهذه الأماكن تكريماً لها وتشريفاً ، وإشارة إلى أماكن نزول الرسالات على أنبياء الله ورسله الكرام إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

والمعنى : أن الله عز وجل يقسم بوحيه تعالى إلى أنبيائه بعظيم خلقة الله عز وجل للإنسان ، ويغرس الإيمان فى قلبه ، ثم ما صنع الإنسان بنفسه من كفر وشرك وبهتان وجحود وإنكار لفضل الله عليه وتكذيب لشرائعه ورسالاته ، وأنه لا يثبت على هذه الفطرة النقية الصادقة الطاهرة إلا من هداه الله ، وكتب له الفوز والنجاة ، وهم المؤمنون الصادقون الصالحون العاملون بشريعة الله .

وقد يكون معنى ذلك كله أن الله عز وجل يقسم بالإنسانية وبالإنسان ، وبعصور الدنيا منذ عصر إبراهيم عليه السلام نبى الله والرسول الداعية إلى توحيد الله ، إلى عصر موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وهو قسم بحضارات الدنيا الكبيرة المعروفة فى التاريخ للناس كافة : حضارة عصر الحنيفية البيضاء شريعة إبراهيم ، وحضارة عصر شريعة التوراة التى نزلت على موسى ، وحضارة عصر الإنجيل الذى نزل على عيسى ، وحضارة عصر القرآن الذى نزل على محمد عليه الصلاة والسلام ، ويمد دينه إلى آخر الزمان .

والمعنى : قسماً بشريعة إبراهيم وحضارة عصره ، وبشريعة موسى وحضارة قومه ، وبشريعة عيسى وحضارات أمته ، وبشريعة محمد وحضارات أمتـه وشعوبه ، لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ، أى فى أحسن صورة ، وكمال عقل وقوة شباب ، ثم رددناه إلى الهرم والشيخوخة والضعف والخرف ، أو لقـد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم وأطهر فطرة ، على الإيمان بالله وتوحيده وعبادته ومناجاته والسكينة إليه ، ثم رددناه أسفل سافلين بما صنع الإنسان بنفسه من كفر وبهتان وشرك عظيم ، فأى شىء يكذبك أيها الإنسان بهذا الدين الذى نزل على آخر الأنبياء وخاتم المرسلين ، محمد النبى العربى الأمين ، صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين ، أى أى شىء يجعلك أيها الإنسان تكذِّب بهذا الدين ، وبتلك الرسالة

المحمدية التى نزلت على رسول الإنسانية كلها ، بعد هذه الدلائل الواضحة القوية الكبيرة التى تشهد بصحة نبوته ، وعظيم شريعته ، وبصدق رسالته ، ومن ينكر الحق فهو لا شك كاذب ، أى أى شىء يجعلك أيها الإنسان كاذباً بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك فى أحسن تقويم ثم ردك إلى أسفل سافلين ، أو بعد أن أقررت على نفسك وأنت فى ضمير الغيب بأنك ستعبد الله عز وجل وتؤمن برسالاته ورسله وشرائعه التى أوحى بها إلى أنبيائه الكرام .

ويبقى بعد ذلك سر تقديم شريعة عيسى على شريعة موسى ، وقد يكون هذا التقديم سببه مراعاة ترتيب الأماكن : دمشق — بيت المقدس — طور سينين — مكة المكرمة ؛ وهو أقرب إلى التصور وإلى العقل أيضاً .

أما الموضع الثانى الذى وردت فيه لفظة (سيناء) فى كتاب الله عز وجل ، فهو الآية العشرون من سورة المؤمنون :

« وشجرة تخرج من طور سيناء ، تنبت بالدهن وصبغ للآكلين » يريد الله عز وجل شجرة الزيتون . وقبل هذه الآية : « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض ، وإنا على ذهاب به لقادرون * فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ، ومنها تأكلون » .

وهو امتنان من الله عز وجل على الناس بما أنزل لهم من الماء العذب من السحاب ، وبما أنبت بهذا الماء من الثمار والفواكه ، وهى نعمة جد جليلة ، تدعو الإنسان إلى شكر المنعم بها ، وإلى طاعته ، وإلى الإيمان بالخالق وتوحيده .

وبعد .. فالموضع الأول الذى ذكرت فيه سيناء يشير بأجلى بيان إلى عظمة شرائع الله عز وجل المنزلة على أنبيائه ورسله ، وإلى وجوب الإيمان بها ، وإلى ضرورة أن يعبد الإنسان الله ويوحده ، وإلى أن الإنسان مهما اختلفت نزعاته لابد أن يؤمن برسالة وأن يرجع إلى دين ، وأن الدين عند الله الإسلام ، خاتم الرسالات وأن الكافرين الملحدين إنما يكفرون بكل قيم الإنسان والإنسانية .

الشعـــراء

وردت هذه اللفظة القرآنية فى موضع واحد من كتاب الله عز وجل ، وهو قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلا الذين آمنـوا وعملوا الصـالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا » (٢٢٤ — ٢٢٧ الشعراء) .

وقد سمى الله عز وجل سورة كاملة من القرآن الكريم : (سورة الشعراء) ، وهى سورة مكية ما عدا هـذه الآيات التى ذكرناها وهى من آخر السـورة فى الحديث عن الشعراء ، وما عدا الآية السابعة والتسعين بعد المـائة أيضاً ، وآياتها ٢٢٧ آية ، وقد نزلت بعد سورة الواقعة .

والآيات الكريمة التى تحدث فيها كتاب الله عز وجل عن الشعراء ، ووصفهم بهذه الصفـات ، من أنه لا يتبعهم إلا الضـالون ، وأنهم يهيمون فى كل واد من أودية الضلال ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ؛ تتعلق بهؤلاء الشعراء الذين خاصموا الرسالة ، وعادوا الرسول ، وأعلنوا الحرب على المسلمين ، وأنهم إنما يسلكون سبيل الضلال ؛ وأن من الشعراء من آمن بالله وعمل عملا صالحاً وذكر الله وخافه ، ووقف مع الرسالة مجاهداً ومكافحاً ، فهؤلاء لهم النعيم المقيم ، والأجر العظيم ، والثواب الجزيل ، لأنهم دافعوا عن رسول الله ، وعن الإسلام ، وعن المسلمين ؛ وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم .

وكان مشركو مكة بعـد هجرة رسـول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وإثر غزوة بدر فى السنة الثانية من الهجرة ، قد سلطوا شـعراءهم على رسـول الله ، يهجونه ويهجون الدين والرسالة ، ويهجون المسلمين عامة ، فذمهم الله عز وجل ووضح مصيرهم وأبان سوء مصيرهم ، وأن عكس هؤلاء هم الشعراء المؤمنـــون الموحدون الذين جعلوا شعرهم كله دفاعاً عن رســول الله والمؤمنين ، وملأوا بالصالحات صحائف حياتهم ، وسجل أعمالهم .

وقد ذكر الله عز وجل الشعر فى كتابه الحكيم ونفاه عن رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه ، فقال عز من قائل : « وما علمناه الشعر » .

وذكر عز وجل الشاعر فى أربعة مواضع :

١ — فى الآية الخامسة من سورة الأنبياء : « بل قالوا : أضغاث أحلام ، بل افتراه ، بل هو شاعر » ، والحديث هنا عن مشركى مكة ، قالوا فى القرآن الكريم هو أضغاث أحلام ، بل هو صنعة محمد وتأليفه ، بل هو شعر ، ومحمد رسول الله شاعر ، وكذبوا فى كل ما كانوا يزعمون .

٢ — فى الآية السادسة والثلاثين من سورة الصافات : « ويقولون: أئننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون » ، والحديث عن مشركى مكة أيضاً ، ومعناه: أنترك آلهتنا وعبادتها من أجل كلام صنعه شاعر مجنون ، يقصدون رسول الله ، وكذبوا وافتروا وضلوا ضلالا بعيداً .

٣ — فى الآية الثلاثين من سورة الطور : « أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون » ، والحديث هنا عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وهو كلام مشركى مكة ، الذين وصفوا رسول الله بأنه شاعر ، وأعلنوا بغضهم له ، وحنقهم عليه ، وأخذوا يتربصون به الموت وريب المنون .

٤ — فى الآية الواحدة والأربعين من سورة الحاقة : « وما هو بقول شاعر » : نفياً لما زعمه مشركو مكة من أن القرآن الكريم كلام شاعر ، يقصدون رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

إن الشعر فى المجتمع الجاهلى كان هو البلاغة والفصاحة والبيان ، وكان هو المجد والعظة والإبداع ، وكان هو الذى يذيع الحقائق ، وهو صوت الجماهير ، ولسان الأمة ، والمدافع عن الأحساب ، والذائد عن الشرف ، والناطق بلسان القبيلة ، والمصوِّر لمجد العشيرة ، ولما سمعوا القرآن الكريم تخيلوا أنه قول شاعر ، وأن الرسول الأعظم يجيد صناعة الشعر .

وكذبوا على الله وضلوا وأضلوا ضلالا بعيداً .

وليس كالشعر مكانة ومنزلة ، إذا ما دافع عن الحق والفضيلة والشرف ، ودعا إلى الله والدين والرسالة ، والتزم بحدود الدين وقيمه وفضائله الكبرى السامية النبيلة .

شــعيب

وردت قصة شعيب عليه السلام فى كتاب الله فى أربعة مواضع :

— الشعراء ، فى الآيات ١٧٧ وما بعدها .

— العنكبوت ، فى الآيات ٣٦ وما بعدها .

— هـود ، فى الآيات ٨٤ — ٩٤

— وفى الأعراف ، فى الآيات ٨٥ — ٩١

وتكرر اسمه إحدى عشرة مرة فى هذه المواضع .

وكان شعيب وقومه فى (مدين) وهى من بلاد الحجاز جنوبى الشام .

وقد عاش قوم شعيب فى رخاء وثراء ومال وفير ، ونعم أنعم الله بها عليهم ؛ وفى مدين عاش موسى قبل الرسالة سبع أو عشر سنوات ، وتزوج بنت شعيب .

وقد برع أهل مدين فى التجارة ، وكثر المال فى أيديهم ، فأخذوا يكفرون بنعمة الله عليهم ، ويطففون الكيل ، ويخسرون الميزان ، ويأخذون من النـاس سلعهم بثمن بخس .

ودعاهم شعيب إلى الله ، فهزئوا به وبدعوته : « وإلى مدين أخاهم شعيباً ، قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره * قد جاءتكم بينة من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تفسدوا فى الأرض بعـد إصلاحها ، ذلك خير لكم إن كنتم مؤمنين * ولا تقعدوا بكل صراط توعـدون وتصـدون عن سـبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً ، واذكروا إذ كنتم قليــلا فكثركم ، وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين » سورة الأعراف .

ولج قوم شعيب فى السخرية به ، ونسبوا إليه الدجل والسحر : « قالوا : إنما أنت من المسحرين * وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين » سورة الشعراء .

ثم عادوا يقولون له : « قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء » سورة هود .

وقال لهم نبيهم شعيب : « إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت » سورة هود .

وقالوا له : « يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ، ولولا رهطك لرجمناك » سورة هود .

وظلوا على طغيانهم وكفرهم وسخريتهم وتهديدهم لشعيب ولمن آمن به .

وانقطع حبل ما بين شعيب وقومه ، وقالوا لشعيب : « فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين » سورة الشعراء .

فابتلاهم الله بحر شديد ، استمر سبعة أيام ، فكان لا يروى ظمأهم ماء ولا تقيهم منازل ، وفروا هاربين من ديارهم يلتمسون النجاة ، فرأوا سحابة مقبلة عليهم ، فراحوا يستظلون بها من وهج الشمس ، وتجمعوا فى ظلها ، فرمتهم السحابة بالنار واللهب ، ورجفت بهم الأرض فزلزلت أقدامهم ، وجاءتهم صيحة عظيمة من السماء أزهقت أرواحهم وأهلكت أبدانهم ونفوسهم ، فأصبحوا أثراً بعد عين ، ونجى الله شعيباً ومن آمن برسالته ، وأخذ شعيب فى أسى عميق يقول : « يا قوم ، لقد أبلغتكم رسالات ربى ، ونصحت لكم ، فكيف آسى على قوم كافرين » سورة الأعراف .

وأهلكهم الله فيمن أهلكهم من الكافرين والجاحدين ، **وكان وعد ربك حقاً .**

الشقـــاء

لم يرد هذا الاسم (المصدر) بنفسه فى كتاب الله عز وجل ، إنما ورد فعله :

« ... فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق » (١٠٦ سورة هود) :

وقال تعالى لرسوله الكريم : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » (٢ سورة طه)

المراد به : الأسف الشديد على كفر الكافرين ، فالشقاء هنا المراد به مرارة الألم لعناد الكافرين وإصرارهم على الكفر ؛ وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فى الصلاة حتى تورمت قدماه ، فنزلت هذه الآية تخفيفاً عنه ، فالشقاء هنا على هذا هو إفراط التعب فى العبادة ، وعلى الرأى الأول هو إفراط الألم على عناد الكافرين وكفرهم وتماديهم فى الضلال . واللفظ عام يصح أن يراد به كل ذلك ، والمعنى : أن الله عز وجل نفى عن رسوله جميع أنواع الشقاء فى الدنيا والآخرة ، لأنه أنزل عليه القرآن الذى هو سبب السعادة .

ومن الفعل أيضاً قوله تعالى خطاباً لآدم عليه السلام ، تحذيراً له من الشيطان ووسوسته :

« إن هذا عدو لك ولزوجك ، فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » (١١٧ من سورة طه) ، أى لا تطيعاه فيخرجكما من الجنة ، وخص آدم بقوله تعالى : « فتشقى » ، مع أن الحديث موجه لآدم وحواء ، لأن آدم كان هو المخاطب أولا والمقصود بالكلام ، وقيل : لأن الشقاء فى الدنيا ومعيشتها أكثره يتحمله الرجال وحدهم ، لأنهم المطالبون بالسعى على الزوجة والأولاد والأسرة ، فالشقاء هنا هو إفراط التعب فى تدبير أمور المعاش .

ومن الفعل كذلك قوله تعالى : « فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » (١٢٣ طه) ، أى فلا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة . هكذا ورد فى التفاسير ، وأرى أنه إذا كان الضلال فى الدنيا وحدها ، فإن الشقاء فى الدنيا والآخرة جميعاً ، وإن كان الشقاء الأكبر هو شقاء الآخرة .

وورد كذلك الوصف ، كقوله تعالى :

— « فمنهم شقى وسعيد » (١٠٥ هود) .

— « ولم أكن بدعائك رب شقياً » (٤ مريم) ، أى قد سعدت بدعائى إياك يارب من قبل ، فاستجب لى فى هذا اليوم ، فتوسل إلى الله بإحسانه القديم إليه .

— « ولم يجعلنى جباراً شقياً » (٣٢ مريم) .

— « وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقياً » (٤٨ مريم) .

ومن الوصف كذلك قوله تعالى :

— « ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى » (١١ الأعلى) .

أى يتجنب الذكرى الأشقى ، يعنى الكافر ، قيل : إنها نزلت فى الوليد ابن المغيرة وعتبة بن ربيعة .

— « إذ انبعث أشقاها » ، أى نهض أشقاها ، أى أشقى أمة صالح ، وهو الذى عقر الناقة ، وهو أحيمر ثمود ، واسمه قدار بن سالف .

— « فأنذرتكم ناراً تلظى * لا يصلاها إلا الأشقى » (١٤ و ١٥ الليل) ، أى لا يدخلها ويصلى حرها إلا الشخص الذى هو البالغ الشقاء ، أى الذى جلب لنفسه الشقاء كل الشقاء ، وهو عام فى الكافرين ، وقيل : إن الأشقى المراد به كافر معين ، وهو أبو جهل أو أمية بن خلف .

واستعمل كتاب الله عز وجل لفظ « شقوة » مرادفاً للشقاء فى قوله تعالى : « قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا » (١٠٦ المؤمنون) .

ومن الجدير بالذكر أن الفعل من الشقاء بنى للمعلوم لا للمجهول وذلك لأن الإنسان هو الذى يجلب الشقاء لنفسه ، ويحوكه بيده للبسه ، فهو الجانى والآثم ، والمذنب والعاصى والكافر ، وهو الذى استوجب بعمله الشقاء .

والشقاء منه شقاء فى الدنيا ، وهو العذاب الشديد بمرض ، أو نكبة أو حرمان من نعمة ، أو عذاب ضمير أو غير ذلك .. ولكن الشقاء الأكبر هو شقاء الآخرة وعذابها ودخول النار واصطلاء لهيبها وحرها ، ونعوذ بالله من عذابها .

إن الذين يجلبون لأنفسهم الشقاء فى الآخرة قادرون على أن يحيطوا حياتهم ومستقبلهم بسور من عذاب الله وغضبه .

نسأل الله أن يجنبنا شقاء الدارين ، وأن يمنحنا هداه ورضاه .

الشـــكر

الشكر كلمة صغيرة المبنى ، كبيرة المعنى ، عظيمة الهدف ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول دائماً : (اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) .

وسمى الله عز وجل نوحاً عبداً شكوراً ، لأنه لم يلبس الجديد ولم يأكل طعاماً إلا حمد الله تعالى وشكره .. وكان عمر بن عبد العزيز يقول : (قيدوا النعم بشكر الله تعالى) ، أى لأن الشكر يديمها ، وترك الشكر يذهب بها . وفى كتاب الله عز وجل : « لئن شكرتم لأزيدنكم » .

وقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : (أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة : قلب شاكر ، ولسان ذاكر ، وبدن على البلاء صابر ، وزوجة لا تبغيه خوناً فى نفسها ولا فى ماله) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من عند الله إلا كتب الله له شكرها) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (التحدث بالنعم شكر) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه أمر يسره خرَّ ساجداً شكراً لله .

وقد وردت لفظة (شكر) ومشتقاتها فى كتاب الله عز وجل خمساً وسبعين مرة ، وهى بمعنى مقابلة النعمة بالحمد والثناء والحب ، ووردت مقابلة للكفر :

— « أأشكر أم أكفر » (٤٠ النحل) .
— « واشكروا لى ولا تكفرون » (١٥٢ البقرة) .
— « إما شاكراً وإما كفوراً » (٣ الإنسان) .

ونسب الشكر لله عز وجل :

— « إن ربنا لغفور شكور » (٣٤ فاطر) .
— « إن الله غفور شكور » (٢٣ الشورى) .
— « إنه غفور شكور » بمعنى : أن الله عز وجل يثنى عليهم ويشكرهم لطاعتهم له .

وكان الحسن بن على دائماً يقول : اللهم لك الحمد بالإسلام ، ولك الحمد بالقرآن ، ولك الحمد بالأهل والمال ، بسطت رزقنا ، وأظهرت أمننا ، وأحسنت معافاتنا ، ومن كل ما سألتنا ربنا أعطيتنا ، فلك الحمد كثيراً .

وكان أبو بكر يقول فى دعائه : أسألك تمام النعمة فى الأشياء كلها ، والشكر لك عليها حتى ترضى .

وليس بعد الشكر كلمة تقال حمداً لمنعم ، فهى جامعة مانعة ، تدل على شعور بالنعمة ، وتقدير للمنة ، وحمد للإحسان ، وثناء على المتفضل . وفى الحديث القدسى : (عبدى لم تشكرنى إذا لم تشكر من أجريت لك النعمة على يديه) .

وفى المأثور أن موسى عليه السلام قال : (يارب ، ما الشكر الذى ينبغى لك ؟ قال : يا موسى ألا يزال لسانك رطباً من ذكرى) .

إن الشكر للمنعم واجب ، والشكر لله عز وجل على آلائه ونعمه وفضله وإحسانه وهدايته لنا إلى الإسلام ، فريضة ، وترك شكر الله كفر ومعصية .

الشهر الحرام

الشهر الحرام ، أي الذى يحرم القتال فيه ، وهى أربعة أشهر : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ، يحرم القتال فيها فى الحرم ، وكان ذلك شعيرة من شعائر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ، بقيت فى الجاهليـة وأقرها العرب جميعاً ، وجاء الإسلام فعظمها وكرمها وحرم القتال فيها كما كان متبعاً فى الجاهلية لأن ذلك من شعائر الحنيفية دين إبراهيم خليل الله .

وقد ورد هذا اللفظ فى عدة مواضع من كتاب الله :

الأول : فى الآية ١٩٤ من سورة البقرة : « الشهر الحرام بالشهر الحرام » ، أى الشهر المحرم مقابل بالشهر الحرام ، فكما قاتلوكم فيه ، فقاتلوهم فى مثله ، وكان المسلمون يستعظمون القتال فى الشهر الحرام ، فأذن الله عز وجل لهم بقتال المشركين فيه مقابل قتال المشركين فيه للمسلمين ، وقال عز وجل : « والحرمات » ، أى ما يجب احترامه « قصـاص » ، أى يقتص بمثلهـا إذا انتهكها معتد ، « فمن اعتدى عليكم » بالقتال فى الحرم أو الإحرام أو المسجد الحرام « فاعتدوا عليـه بمثل ما اعتدى عليكم » ، أى مقابل عدوانه عليكم « واتقوا الله » بعـدم التجاوز فى الرد أو الطغيان فى الانتصار ، « واعلموا أن الله مع المتقين » بالعون والتأييد والنصر .

الثانى : فى الآية ٢١٧ من سورة البقرة :

« يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيـه ، قل قتال فيـه كبير » ، أى يسألك يا محمد الناس عن القتال فى الشهر الحرام ، أى المحرم القتال فيه ، قل لهم إن القتال فيه ذنب عظيم ، ووزر كبير . وكان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أرسل أولى سراياه وعليها عبد الله بن جحش ، فقاتلوا المشركين فى الشهر الحرام وهو رجب ، وقيـل : إنه التبس على المسلمين آخر يوم من جمادى الآخـرة برجب ، فقاتلوا المشركين فيه ، فعيرهم المشركون باستحلال الشهر الحرام والقتـال فيه ، فقال لهم الله عز وجل : إن الصدّ عن دين الله ، والكفر به ، والصد عن المسـجد الحرام وإخراج أهله من المسلمين منه أكبر وأعظم عند الله من القتال فيه ، أى

إن استعظمتم أيها المشركون القتال في الشهر الحرام (رجب) فإنكم لم تستعظموا ما هو أكبر من القتال فى الشهر الحرام وهو الشرك بالله والكفر بدينه وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام وإخراج المسلمين من أهل المسجد الحرام منه ، وما صنعتموه بالمسلمين من تعذيب وتشريد ومصادرة لأموالهم .

الثالث : الآية الثانية من سورة المائدة :

« يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام » ، أى لا تحلوا معالم دين الله بالصيد فى الإحرام ، ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه .

الرابع : الآية الخامسة من سورة التوبة :

« ... فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركون حيث وجدتموهم » .

الأشهر الحرم هى أربعة : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم » .

ففى السنة التاسعة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ، فأذن يوم النحر بمنى بالآيات الأولى من سورة براءة : أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، وأمهل الله عز وجل المشركين إلى انتهاء الأشهر الحرام حيث لا يبقى بعدها فى الحرم مشرك ، فإما أن يقتل وإما أن يدخل فى الإسلام .

ولا يزال احترام هذه الشهور الأربعة أمراً سارياً ، وديناً ملتزماً ، وفرضاً محتوماً .

ومثال القتال فيه الأسباب التى تؤدى إلى القتال من مثل المظاهرات والاجتماعات الخارجة عن الاجتماعات الخاصة بأعمال الحج ، وما إلى ذلك ، فهى كلها ممنوعة لا تجوز فى الحرم فى الأشهر الحرام .

الشـــورى

وردت هذه اللفظة فى كتاب الله الحكيم مرة واحدة : قال تعالى فى سورة كريمة سماها باسم (الشورى) : « وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون (الآية ٣٨ من سورة الشورى) ، فعد الشورى من صفات المؤمنين ، كالإنفاق فى سبيل الله مما رزق الله الإنسان من مال . والشورى مصدر شاورته بمعنى أشركته فى الرأى .

وورد الفعل (شاور) فى قوله تعالى من سورة آل عمران (الآية ١٥٩) مخاطباً رسوله الكريم : « فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر » ، أى تجاوز عن هفواتهم ، وادع لأصحابك بالمغفرة ، وشاورهم فى أمور الأمة من حرب أو سلم ، وكان صلى الله عليه وسلم كثير المشاورة للمؤمنين .

وورد المصدر (تشاور) فى موضع واحد من سورة البقرة (الآية ٢٣٣) ، وهو قوله تعالى فى أمر تربية الأبناء وفصالهم : « فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » ، والمعنى : إن أراد الوالدان فطام الولد قبل حولين ، مع التراضى والاتفاق بينهما حول ذلك ، ومع تشاورهما فى الأمر حباً لمصلحة الطفل والخير له ، فلا حرج عليهما فى ذلك .

والمادة لكلمة (شاور) هى كلمة (شار) بمعنى اختار ، وشار العسل : جناه .

والشورى أصل من أصول الإسلام ومبدأ كريم من أجلّ مبادئه ، وخطة مثلى دعا إليها القرآن الكريم ، وسار عليها رسول الله العظيم ، وحرص على اتباعها أصحاب رسول الله من المؤمنين الصادقين المخلصين .

والشورى صفة من صفات الإنسان العاقل المهذب المتحضر ، الإنسانى النزعة ؛ فهو لا يستبد برأى ، ولا يرى لنفسه ولا لعقله ولا لفكره ورأيه صفة القداسة والعصمة من الخطإ ، ومن ثم فهو يحرص على الاستماع لآراء الناس من حوله ، والموازنة بينها وبين رأيه ، والأخذ منها بالصالح الأوفق النافع للإنسان وللأسرة وللمجتمع وللوطن .

وإذا كانت الشورى من أهم ما يطالب به الإنسان فى أمور نفسه ، فهى أوجب وأهم عندما يكون الأمر متعلقاً بغيره أو بمصلحة أسرة ، أو بشأن مجتمع ، أو بإدارة عمل ، أو بأمر أمة .. عندئذ تكون الشورى فريضة ، ويكون العمل بالرأى الصواب السليم حتماً ، ويكون الإنصات لرأى المفكرين والخبراء والعقلاء والعلماء وأولى التجربة ضرورة حتمية لخير الإنسان والمجتمع والأمة .

والإسلام وهو يضع مبدأ الشورى أساساً للحكم ، ودعامة لتصريف شئون الدولة ، ينادى بمنطق العقل والتدبر ، بكل القيم الفاضلة للإنسان المتحضر المهذب .

وللشورى فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أعماله مكان كبير ، وقصص كثيرة وأنباء كبيرة ؛ مع أنه النبى المعصوم ، والرسول المنزه عن الخطإ والإنسان العظيم الذى أوتى العقل الراجح ، والفكر الناضج ، والرأى السليم ، والمنطق الصائب .

وكذلك للشورى مكانها الكبير فى حياة صحابة رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وفى أعمالهم وسياساتهم ، مما لو أفضنا فى قصصه لما وسعنا الكلام ، ولتشعب بنا الحديث .

وليست الشورى من الحاكم غير حماية للحكم ، وضمان للعدل ، وتوزيع للمسئولية ، وإشراك للشعب فى تسيير دولاب الدولة ، وتحمل لأعباء الالتزام بمصلحة الوطن .. وهى خلق كريم ، ونهج سليم ، وعمل عظيم فى تصريف شئون الأمة ؛ وهى ضمان لعدم الوقوع فى خطإ ، ولعدم التمادى فى باطل .

والشورى إذا كانت واجبة فى السلام ، فهى أوجب فى وقت الحرب ، وفى شئون المعركة ، وفى ظروف الأزمات الصعبة من حياة الشعب ؛ وما أكثر هزائم القادة والحكام الذين استبدوا بآرائهم ، وحكموا شعوبهم بمنطق القوة والحديد ، فأعماهم الله وأضلهم وأوقعهم فى سوء ما كانوا يعملون .

وليست الشورى فوضى ولجوءاً إلى رعاع الناس لاستفتائهم فى المشكلات ، ولكنها رجوع إلى العلماء والمختصين والمتخصصين وذوى التجربة والرأى والحكمة وعنهم يصدر المستشير بالرأى السليم ، والفكر المستنير ، والصواب الأوفق .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حرصاً على مبدأ الشورى إذا اعترضته مشكلة جمع المختصين من مختلف الأسنان ، يستفتيهم ويسألهم الرأى والمشورة ، فيستمع لرأى الشيوخ ، ثم يستمع لرأى الشباب لعل عندهم الحل ، ويناقش كل رأى ، ويأخذ بما يراه المجتمعون صواباً .

وهذا هو منطق الإنسان المتحضر المهذب ، وقد حرصت الأمم المتقدمة على مبدإ الشورى ، وكونت المجالس النيابية التى تتألف من أعضاء تنتخبهم الأمـة ، لتكون سندها فى الرأى ، ومرجعها فى الفتوى ، ومصدرها فى الحكم .

والأمر يرجع إلى الجوهر لا إلى المظهر ، وإلى المضمون لا إلى الشكل ؛ وكلما كان الإنسان صادق النية فى الاستماع لحكم الشورى كان أكثر صواباً ، وأعز جناباً ، وأوفق رأياً ، وأسلم فكراً ، وأقرب إلى النجاح فيما يأتى وما يضع .. وكانت أمور الأمة فى كف قوية محاطة برضاء الله ورضاء الناس .

صالح عليه السلام

نبى الله صالح عليه السلام ، الذى أرسله الله إلى قومه ثمود . . ورد فى كتاب الله الحكيم فى عدة مواضع :

الأول : فى سورة الأعراف (الآية ٧٣) ، وسورة هود (الآية ٦١) :

« وإلى ثمود أخاهم صالحاً ، قال يا قوم اعبدوا الله » .

أى أرسلناه إليهم رسولا .

الثانى : فى الآية ٤٥ من سورة النمل :

« ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله » .

الثالث : فى الآية ٦٦ من سورة هود :

« فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه » .

الرابع : فى الآية ٧٥ من سورة الأعراف :

« أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه » .

أى أمعكم علم بأن صالحاً رسول أرسله الله برسالته .

الآيات كلها تشير إلى قصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود ، وهم من العرب العاربة ، وكانوا يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك ، وسميت سورة من سور القرآن باسم سورة الحجر ، وكانوا يعبدون الأصنام ، وسماهم الله عز وجل فى كتابه الحكيم بأصحاب الحجر (٨٠ سورة الحجر) .

وبعث الله صالحاً إليهم ، يدعوهم إلى التوحيد والإيمان ، فآمنت به طائفة ، وكفر جمهورهم ، وهموا بقتله ، وقتلوا الدابة التى جعلها الله حجة عليهم ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر .

روى أن ثمود قالوا لنبيهم صالح عليه السلام : إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة — وأشاروا إلى صخرة هناك — ناقة ، ووصفوها له ، آمنا بك وصدقناك فقال لهم صالح : أتؤمنون بما جئت به وتصدقونى فيما أرسلت به ؟ قالوا : نعم ،

فدعا الله ، فأجاب الله دعاءه ، وخرجت ناقة كما وصفوا ، فآمن كثير منهم ، وكفر كثير ؛ ثم نهضوا إلى الناقة فعقروها ، فأهلكهم الله عز وجل بما اقترفوا .

وكانت ثمود بعد عاد قوم هود عليه الصلاة والسلام ، وصاروا عــبرة وعظة للخلق .

إن قصة صالح عليه السلام مثيرة حقاً ، جديرة بالاعتبار صدقاً ، وقد فصلها القرآن الكريم تفصيلا ، حيث تحدثت آياته عن نبوة صالح ورسالته ، وعن دعوته لقومه إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له ، وعن لجاجهم وعدوانهم وكفرهم ، ثم إهلاك الله لهم على صنيعهم . . فكان مصرعهم عظة للأجيال وعبرة لبنى الإنسان فى كل الأزمان قاطبة .

وليس كالإيمان بالنبوات والرسالات السماوية الإلهية شىء .

إنه هو النجاة ، وهو حبل الله المتين ، وهو سبب الفوز بخير الدنيا وخير الآخرة .

تبارك الله رب العالمين ، وطوبى للمؤمنين الطائعين ، وسحقاً للكافرين العاصين وتعالى الله عما يصف المشركون الجاحدون علواً كبيراً .

الصبر

الصبر فضيلة ، والصبر خلق المؤمن الكامل ، وهو له المنزلة الرفيعة بين صفات الإسلام ، ولأمر ما جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف الإيمان ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : (الصبر نصف الإيمان) ، وهو دليل على صلابة المؤمن ، وجلده وثباته وشجاعته وصموده أمام الحوادث ؛ وعلى رضائه بقضاء الله تعالى ، وعلى تفويضه الأمر للمولى عز وجل ، وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم أكثر من مائة مرة :

أمر الله عز وجل به فقال تعالى : « فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل » (٣٥ الأحقاف) .

وجعله فضيلة فى المسلم ، فقال عز وجل : « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » (٤٣ الشورى) .

وجعل جزاءه الحسنى فى الدنيا ، فقال تعالى : « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٩٦ النحل) .

والنعيم فى الآخرة ، فقال عز وجل : « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » (٢٤ الرعد) ، وقال : « إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون » (١١١ المؤمنون) ، وقال : « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً » (٧٥ الفرقان) ، وقال : « أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا » (٥٤ القصص) ، وقال : « وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً » (١٢ الإنسان) .

وجعل الصبر أساساً من أسس الملك ، فقال عز وجل : « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا » (٢٤ السجدة) .

وجعل المنازل الرفيعة لا ينالها إلا الصابرون ، فقال تعالى : « وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » (٣٥ فصلت) .

وقرن الله عز وجل الصبر بالتقوى فى آيات كثيرة ، وجعل جزاءه عند الله كبيراً ، فقال : « إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » (٩٠ يوسف)

وقال تعالى : « واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » (١٧ لقمان) .

وأوصى موسى قومه بالصبر ، فقال تعالى : « قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا » .

وأوصى الله عز وجل المسلمين بالصبر والصلاة ، فقال عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة » (١٥٣ البقرة) .

ومدح الله عز وجل عبده أيوب بالصبر ، فقال عز وجل : « إنا وجدناه صابراً ، نعم العبد ، إنه أواب » (٤٤ ص) .

وصور القرآن الكريم جزاء الصابرين الأوفى خير تصوير ، فقال : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » (١٠ الزمر) .

ومدح الله عز وجل الصابرين ، فقال تعالى : « الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار » (١٧ آل عمران) .

ويقول الله عز وجل : « إن الله مع الصابرين » (٤٦ الأنفال) ، ويقول : « والصابرين والصابرات) (٣٥ الأحزاب) .

والصبر فى الخطوب وفى البأساء وفى الحروب ، وفى الفقر وفى المرض ، وفى أزمات الإنسان ، وفى مشكلات الحياة ، وفى موت الأهل ، وفى فقدان النعمة ، وفى زوال الأمن ، وفى كل موقف ، أمر مطلوب ، لابد منه ، وهو صفة المسلم المؤمن الكامل الإيمان .

جعلنا الله من الصابرين ، وألهمنا برد اليقين ، وحشرنا مع المتقين .

صحف

الصحف جمع صحيفة ، وهى الورقة التى يكتب فيها ؛ ومجموعة الأوراق صحف ؛ وقد شاع فى العصر الحديث هذا اللفظ ، واستعمل فى (جرائد) اليوم التى نقرؤها .

وقد وردت لفظة (صحف) فى ثمانية مواضع من كتاب الله الكريم :

- « فى صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة » (١٣ و ١٤ عبس) .
- « رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة » (٢ البينة) .
- « بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة » (٥٢ المدثر) .
- « صحف إبراهيم وموسى » (١٩ الأعلى) .
- « إن هذا لفى الصحف الأولى » (١٨ الأعلى) .
- « وإذا الصحف نشرت » (١٠ التكوير) .
- « أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى » (١٣٣ طه) .
- « أم لم ينبأ بما فى صحف موسى » (٣٦ النجم) .

ولجلال الكتب السماوية وعظمتها استعملت كلمة (صحف) للدلالة على ما تكتب فيه فصول هذه الكتب المنزلة من السماء .

وقد رأينا أن أغلب استعمالات كلمة (صحف) كان منصباً على الكتب السماوية المنزلة على الرسل الكرام ، وليس هناك إلا استعمال واحد خرجت فيه كلمة (صحف) عن هذا الإطار لتفيد معنى آخر هو كتب الأعمال المسجل فيها كل ما عمله الإنسان من خير أو شر ليحاسب عليه يوم القيامة .

وكأن الذى يستحق التسجيل فى الصحف أولا وقبل كل شىء هو كتب السماء المنزلة على الأنبياء ، لهداية البشر ، ودفعهم إلى الإيمان والطاعة والعمل الصالح الذى ينفع صاحبه فى الدنيا والآخرة .

وليس هناك ما يوازى كتب السماء التى نزل بها الوحى الأمين على صفوة الأنبياء ، عليهم من الله الرضوان وأكرم الجزاء والحسنى .

وهل هناك صحف تضارع ما أتت به الكتب السماوية من دعوة إلى التوحيد ، وحض على الإيمان والتقوى والعمل الصالح ، ورسم لنظام المجتمع ، وبيان لحدود الطاعات والواجبات على كل مؤمن ؟

إنها كتب النور والهدى والرشاد والخير والرحمة ، كتب الصلاح والإصلاح كتب الأحكام والفرائض والحلال والحرام ، كتب التشريعات السماوية للإنسان وللبشرية عامة .

وما أجلها من صحف ، وما أكرمها من كتب ، وما أعظمها من نور وضياء وسنى وسناء .

ليت البشر جميعاً يعرفون عظمة الكتب السماوية وجلالها ووجوب الإيمان بها ؛ ويدركون حق الإدراك أنها إنما نزلت من السماء لخير العباد وفلاحهم ورشادهم ، ولمثل هذا وبمثله فليعمل العاملون ، وليؤمن المؤمنون ، وليسبح الطائعون .

والقرآن الكريم هو ذروة هذه الكتب وسنامها ، وهو الضوء الهادى ، والطريق المستقيم ، وهو رسالة الإسلام ودعوته التى نزل بها جبريل الأمين على خاتم المرسلين وسيد النبيين ، محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين .

الصـــدق

الصدق نقيض الكذب ، والصدق فضيلة ، وهو التزام الحق ، واحترام الحقيقة ، وعدم تجاوز الخبر للواقع .

والصدق كما نعرفه مطابقة الخبر للواقع ، فلا نخبر بشىء لم يحصل أنه حصل ولا نخبر به إلا على الوجه والقدر الذى حصل به ، ولا نخبر بشىء حصـل أنه لم يحصل .

والصدق شعار المؤمنين المتقين الصالحين ، والإسلام يأمر بالصدق ، ويلزم المسلم به ، ويحثه عليه ، لأن الصدق خلق المؤمن ، والكذب خلق المنافق والكافر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (آية المؤمن ثلاث : إذا حدث صدق ، وإذا عاهد أوفى ، وإذا اؤتمن أدى) .

وقد وردت كلمة الصدق ومشتقاتها فى القرآن الكريم أكثر من مائة وعشرين مرة ، ومما وصف الله عز وجل به المؤمنين والمؤمنات : « والصادقين والصادقات» (٣٥ الأحزاب) .

ومدح المسلمين فقال عز وجل : « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون» (١٧٧ البقرة) ، وقال عز وجل : « والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون » (٣٣ الزمر) .

وجعل الله عز وجل الصـدق سبباً لليسر والنعمـة والخير : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » (٦ الليـل) .

وجعله سبباً للفوز فى الآخرة :

– « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » (١١٩ المائدة) .

– « ليجزى الله الصادقين بصدقهم » (٢٤ الأحزاب) .

ومدح الله عز وجل الذين يتصفون بصفة الصدق ، فقال عز وجل : « أولئك

هم الصادقون » (١٥ الحجرات) ، وقال عز وتعالى : « الصابرين والصـادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار » (١٧ آل عمران) .

وأمر الله عز وجل المؤمنين بالصدق فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (١١٩ التوبة) .

والصدق يستلزم فضائل كثيرة ، فالصدق باللسان يستلزم الصدق بالقلب ، وأن يكون باطن الإنسان مثل ظاهره ، وأن يكون قلبه طاهراً مثل طهارة لسانه ، وأن يكون إخلاصه لله على مثل ما يجرى به لسانه ، فالصدق يستلزم الطهارة ، والأمانة والوفاء بالوعد ، واحترام العهد ، ويستلزم تجنب الرياء والنفاق والكذب واحترام الموعد وغير ذلك من فضائل الإنسان المسلم الحقيقى .

وما أصدق وصف الرسول الكريم قبل الرسالة وبعدها بأنه الصادق الأمين .

نفعنا الله بفضائل الإسلام ، وجنبنا الذنوب والآثام ، فإنه على ما يشاء قدير .

الصــــراط

ورد هذا اللفظ القرآنى فى كتاب الله عز وجل فى خمس وأربعين موضعاً ، وذلك بمعنيين :

١ - المعنى الأول : الصراط بمعنى الدين :

- « اهدنا الصراط المستقيم » (٦ الفاتحة) يعنى الدين القويم .
- « وأن هذا صراطى مستقيماً » (١٥٣ الأنعام) يعنى : دينى مستقيماً .
- « وهذا صراط ربك مستقيماً » (١٢٦ الأنعام) يعنى : دين ربك .
- « وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم » (٥٤ الحج) .
- « والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » (٤٦ النور) .

٢ - المعنى الثانى : الصراط بمعنى الطريق فى الخير والشر :

- « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون » (٨٦ الأعراف) .

المراد : بكل طريق .

- « فاهدوهم إلى صراط الجحيم » (٢٣ الصافات) .

يعنى : إلى طريق الجحيم وهى النار .

وفى الغالب يوصف فى القرآن الكريم الصراط بوصف مستقيم ، أو يسبقه لفظ « وهدينا » وما يشتق منه .

والصراط ، سواء كانت بمعنى الدين أو الطريق الواضح ، لفظة تستعمل أول ما تستعمل فى الطريق الواضح ، ثم تستعمل ثانياً فى الدين على سبيل الاستعارة المتضمنة معنى التشبيه ، لأن الدين طريق واضح أيضاً ، أو كالطريق الواضح ، لأنه طريق النجاة فى الدنيا والآخرة ، فى الدنيا ، لأنه لا نجاة ولا فوز ولا طريق سعادة فى الدنيا إلا الدين ، وفى الآخرة لأنه السبيل للثواب والطريق للجنة والنعيم وحسن الثواب ورضاء الله عز وجل وملائكته ورسله ، وما أجل هذا الطريق ، إذا ما سار بصاحبه إلى الفوز الأكبر والرضوان العظيم .

الصـــلاة

فرضت الصلاة على المسلمين ليلة الإسراء والمعراج ، تكريماً لأمة محمد عليه الصلاة والسلام .

فإذا كان رسولنا الكريم قد ناجى الله عز وجل عياناً ، وعظمه قرباً ، ونعم بخطابه فى الملأ الأعلى .. فإن أمة محمد تناجى الله عز وجل فى اليوم والليلة فى الصلاة خمس مرات ، وينعم كل مسلم بالقرب من الله عز وجل فى الصلاة قرباً معنـوياً روحياً لا مثيل له .

إن الصـلاة شعار المؤمن ، وهى ركن الإسـلام الأول العظيم ، وبها يتعبد المسلمون فى كل مكان وزمان ، وجهتهم الكعبة الشريفة ، وغايتهم إعلان التوحيد المطلق لله الأعلى .

والصلاة كما يقول كتاب الله عز وجل : « كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً» وهى تنهى المؤمن عن الفحشاء والمنكر ، وتحضه على عمل الخير ، والإحســان للناس ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والصلاة شعار التوحيد ، فلا خضوع ولا سجود إلا للمولى الأكرم ، ولا طاعة ولا تعظيم إلا لمقامه العظيم .

والصلاة عبادة طهر ونسك وتوحيد خالص ، وإخلاص لله رب العالمين ، رب العزة ذى الجلال والإكرام .

وقد وردت الصلاة مفرداً وجمعاً فى كتاب الله الكريم فى أكثر من مائة موضع وجعلت الصلاة هى الفارقة بين المسلم وغير المسلم .

وفى الصلاة فى أوقاتها المفروضة اتجاه إلى الكعبة ، والمسلمون جميعاً يولون وجوههم فى الصلاة شطرها ، فهى عامل وحدة بين المسلمين ، وهى انتصــار لفكرة الخير فى قلوبهم ، وهى إعلان بانتصار الفضائل الإنسانية .

والصلاة دليل صحة وشفاء للمؤمن من شتى أمراضه الجسدية والروحية ، وهى أمن ورجاء فى الله ، وسلام وخير للنفس .

الصلاة إعلان للتوحيد التام ، وجلاء للنفس البشرية الأمارة بالسوء ، وهى صقل لروح المؤمن ، وتطهير لقلبه ، وإعلان بانتصار الإنسان على الشيطان ، وانصرافه من حمى إبليس اللعين إلى حمى الملائكة الكريم .

الصـــوم

– ١ –

الصوم لغة : الإمساك عن الطعام ، وقال أبو عبيدة : كل ممسك عن الطعام أو الكلام أو السير ، فهو صائم ، ومنه قوله تعالى : « إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً » (٢٦ مريم) أى صمتاً ، وبهـذا فسره ابن عباس ، وقيل : الصوم هو الإمساك عن الطعام وحده .

والصوم فى الشرع هو الإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع نية الصوم فى نهار لا يحرم صومه .

وفريضة الصيام هى أحد أركان الإسلام ، وقد فرض الله الصوم على المسلمين فى السنة الثانية من الهجرة ، لليلتين خلتا من شهر شعبان ، وجعله سبحانه وتعالى عبادة متميزة عن سائر العبادات ، لأن الصيام كف وامتناع عن الطعام ونحوه ، بينما العبادات الأخرى أقوال وأفعال وبذل .

وفريضة الصوم ثبتت بالقرآن الكريم ، وبالسنة النبوية الشريفة ، وبإجماع المسلمين .

يقول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » (١٨٣ البقرة) ، ويقول : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » (١٨٥ البقرة) ، فدل ذلك على وجوب صوم رمضان وفرضيته .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته) ، فدل الأمر على الوجوب .

ويقول صلوات الله عليه : (بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان) ،

فهذا يدل على أن صوم رمضان ركن من أركان الإسلام فرضه الله على المسلمين .

وقد قام إجماع المسلمين على فرض صوم شهر رمضان من لدن رسول الله إلى عصرنا هذا ، فكان ذلك إجماعاً على فريضة صوم هذا الشهر الكريم .

وقد ورد لفظ (الصيام) فى القرآن الكريم فى تسع مواضع ، وورد الفعل المضارع (تصوموا) فى موضع ، والفعل (فليصمه) فى موضع « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » (١٨٥ البقرة) .

وورد لفظ الصائمين والصائمات فى سورة الأحزاب ، قال تعالى : « والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات » (١٣٥ الأحزاب) .

وصيام هذا الشهر تكريم له بنزول القرآن ، كتاب هذه الرسالة الخالدة العالمية ، رسالة الإسلام ، المنزلة على رسول الله ، صلوات الله عليه ، فى هذا الشهر الكريم « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » (١٨٥ البقرة) .

وعلى المسلمين وهم فى شهر رمضان المبارك أن يذكروا فضل القرآن الكريم عليهم ، ويقوموا بواجبهم نحوه ، فيتلونه ويفهمونه ويحفظونه ، ويكونون عاملين بأحكامه ، قائمين بشريعته ، ملتزمين بتوجيهه ، يقول رسول الله : (مأدبة الله القرآن فلا تهجروه) . ويقول : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ، ويقول : (ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن) ، ويقول : (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أى ربى ، منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ، قال : فيشفعان) .

هذا هو كتاب الله الكريم ، كتابه الإلهى العظيم ، النبع الأصيل للمسلمين ، والمورد العذب لكل من يريد العلم اليقينى بأمور الدنيا والدين .

والصوم تدريب على الروحانيات ، وكبح لجماح النفس ، ودرس عملى لمعالجة كل مشكلات الإنسان والمجتمع . إنه يحد من طغيان المادة ، ويعطى للبدن فرصاً ثمينة للتخلص من أوضاره ويرتفع بروح الصائم إلى درجة الطهر والصون والعفاف ، والبعد عن سفاسف الأمور .

— ٢ —

ورد هذا اللفظ القرآنى بنصه أو بمشتقاته فى القرآن الكريم فى سبعة مواضع :

الأول : فى الآية السادسة والعشرين من سورة مريم ، حيث يقول الله تعالى على لسان مريم : « فإما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا » ، والمعنى : فكلى واشربى وقرى عيناً وطيبى نفساً ، بما جعل الله لك من ولادة نبى كريم ، فإن رأيت أحداً من البشر فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً ، أى صمتاً عن الكلام ، أمرت بذلك صيانة لها عن الكلام مع من اتهموها وطعنوا فى شرفها .

الثانى : فى الآية المائة والخمس وثمانين من سورة البقرة : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .. والصوم هنا هو الامتناع عن الأكل والشرب من طلوع الفجر حتى أذان المغرب .

الثالث : فى الآية الرابعة والثمانين بعد المائة من سورة البقرة : « وأن تصوموا خير لكم » : خير الله عز وجل المريض والمسافر بين الإفطار والصوم ، والصوم خير لهم لو كانوا يعلمون .

الرابع : لفظ الصيام ، وورد فى كتاب الله عز وجل فى ثمانية مواضع :

— الآية ١٨٣ من سورة البقرة : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » .

— الآية ١٨٧ من سورة البقرة : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » ، والرفث هنا هو الجماع .

— الآية ١٧٨ من سورة البقرة : « ثم أتموا الصيام إلى الليل » أى إلى بدء الليل بأذان المغرب .

— الآية ١٩٦ من سورة البقرة : « ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » ، نزلت فى كعب بن عجرة حين رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : لعله يؤذيك هوام رأسك ، احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين ، أوانسك بشاة ، وذلك فى الحج ، وقاس الفقهاء على حلق الرأس سائر الأشياء التى يمنع الحاج منها إلا الصيد والوطء ، وقصر الظاهرية ذلك على حلق الرأس ، وتقدير الآية : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه فحلق رأسه فعليه فدية » .

— الآية نفسها من سورة البقرة : « فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم » ، أى فمن لم يجد الهدى لفقده أو فقد ثمنه فعليه صيام عشرة أيام : ثلاثة فى الحج وسبعة فى وطن الحاج .

— الآية ٩٢ من سورة النساء : « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين » ، أى فمن لم يجد رقيقاً يعتقه فعليه صيام شهرين متواليين .

— الآية ٨٩ من سورة المائدة : « فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة أيمانكم » .

— الآية الرابعة من سورة المجادلة : « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا » وذلك فى كفارة الظهار .

الخامس : فى الآية الخامسة والتسعين من سورة المائدة : « أو عدل ذلك صياماً » ، وذلك فى كفارة الصيد فى الحرم .

السادس والسابع : الآية الخامسة والثلاثون من سورة الأحزاب : « والصائمين والصائمات » .

إن شريعة الصوم شريعة السماء ، فقد كتب الصوم وشرع على كل أصحاب الديانات السماوية ، وجعله تطهيراً للجسم والروح ، وسمواً بنفس الإنسان ، وتحريراً له من إسار ماديات الحياة ، وتزكية لوجدانه ، ووصلا له بالزاهدين والمقربين والصالحين .

ويقول الله تعالى فى بيان حكمة الصوم : « لعلكم تتقون » ، أى تجتنبون الآثام والمعاصى ولذائذ الحياة وشهوات النفس ، لتحوزوا صفة التقوى ، وسمة الإيمان وأخلاق الصالحين والمقربين .

ويقول رسول الله صلوات الله عليه من حديث قدسى : (كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم ، فإنه لى ، وأنا أجزى به ، والحسنة بعشر أمثالها) .

جعلنا الله من الصالحين والمتقين ، وسلام على من اتبع الهدى .

طوى الوادى المقدس

وردت هذه الكلمة القرآنية الكريمة فى كتاب الله عز وجل فى موضعين :

الأول : فى الآية الثانية عشرة من سورة طه : « إنى أنا ربك ، فاخلع نعليك ، إنك بالوادى المقدس طوى » .

الخطاب لموسى عليه السلام ، وخلع النعل عند دخول الأماكن الطاهرة ، من مسجد ومجلس علم وقرآن ، أمر مستحب ، وسنة محمودة ، أدباً وتعظيماً لبقعة مباركة ، ومجلس طاهر ، وتواضعاً فى مقام يذكر فيه اسم الله عز وجل وشريعته ودينه .

والوادى المقدس ، أى المطهر ، وهو طوى ، وهو المكان الذى كلم الله عز وجل فيه موسى ، وأنبأه فيه بأنه أوحى إليه بالرسالة ، وأمره فيه بالشريعة ، وبعبادة الله وتوحيده وإقامة الصلاة وبتبليغ رسالة الله إلى فرعون وقومه ، ليدخلوا فى الشريعة ، ويؤمنوا بالله عز وجل ، ويوحدوه ويفردوه بالعبادة ، لا إله غيره ، ولا معبود سواه .

والثانى : فى الآية السادسة عشرة من سورة النازعات .

« هل أتاك حديث موسى ، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب إلى فرعون إنه طغى ، فقل : هل لك إلى أن تزكى ، وأهديك إلى ربك فتخشى » .

والخطاب هنا لرسول الله ، محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو أمر لموسى بتبليغ رسالة الله ، إلى فرعون وقومه ، والطلب منه أن يتزكى ويتطهر من الكفر والشرك والطغيان ، ويدخل فى طاعة الله وتوحيده وعبادته ، ويؤمن بأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، ويعلنها صريحة بأنه لا إله إلا الله .

والوادى المقدس طوى فيه طور سيناء ، وهو الجبل الذى صعد عليه موسى ، وناجاه الله فيه ، وكلمه تكليماً ، وأوحى إليه برسالته ، وأمره بإعلان الرسالة والدعوة إلى الشريعة ، وإلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، ولا إله سواه .

وطوى يجوز تنوينه بفتحتين على الواو ، على أنه مكان ، ويجوز عدم تنوينه فيكون بفتحة واحدة على الواو ، على أنه علم على بقعة ومكان معين .

وأمة محمد عليه الصلاة والسلام ورثت مواريث الأمم السابقة ، وشرائعها ورسالاتها الداعية إلى التوحيد ؛ ومفاخر الأمم السالفة جزء من مفاخرها ، فتوحيد الله جزء أصيل من شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، والأماكن المباركة للأنبياء السابقين هى أماكن مباركة فى شريعة خير المرسلين ، وخاتم النبيين .

وطوى وطور سيناء جزء أصيل من كياننا ومفاخرنا وتراثنا ومواريثنا الإسلامية ، ونحن لأجل ذلك مأمورون بتعظيم هذه الأماكن والمحافظة عليها ، وحمايتها ؛ ومن عظمة الإسلام أنه سمى شبه الجزيرة السيناوية (نسبة إلى سيناء) كلها باسم جبل طور سيناء ، وأن المسلمين عنوا طول تاريخهم الطويل بالمحافظة على سيناء والدفاع عنها ، وحمايتها من كيد الأعداء .

وهى على امتداد السنين والعصور والأجيال جزء لا يتجزأ من مصر ، وتخضع للحكم المصرى على اختلاف الدول وتباين العهود .

إن (طوى) هذا الوادى المقدس المطهر المبارك هو فى وجدان كل مسلم وقلبه وضميره ، مهما اختلفت نزعاته ، وتباينت اتجاهاته .

ومن ثم أصبح (طوى) علماً على رسالة الله التى بلغها الله عز وجل لموسى عليه السلام ، كما أصبح (حراء) علماً لمكان نزول الرسالة على محمد عليه الصلاة والسلام ، وقيل له جبل النور كذلك .

فتحية .. لطوى ، وتحية لطور سيناء ، من قلب كل مسلم يعبد الله فى الأرض .

العـــرش

هذه اللفظة القرآنية وردت فى كتاب الله عز وجل فى مواضع عدة :

الموضع الأول : وردت صفة لله عز وجل :

— « وهو رب العرش العظيم » (١٢٩ التوبة) .

— « لا إله إلا هو رب العرش العظيم » (٢٦ النمل) .

— « رب السموات والأرض رب العرش » (٨٢ الزخرف) .

— « رب العرش الكريم » (١١٦ المؤمنون) .

— « رب العرش العظيم » (٨٦ المؤمنون) .

— « فسبحان الله رب العرش » (٢٢ الأنبياء) .

— « رفيع الدرجات ذو العرش » (١٥ غافر) .

— « ذو العرش المجيد » (١٥ البروج) .

— « عند ذى العرش » (٢٠ التكوير) .

— « ثم استوى على العرش » (٥٤ الأعراف) .

— « ثم استوى على العرش » (٢ الرعد و ٤ السجدة) .

— « الرحمن على العرش استوى » (٥ طه) .

— « ثم استوى على العرش » (٤ الحديد) .

— « وترى الملائكة حافين من حول العرش » (٧٥ الزمر) .

والعرش هنا موضع اختلاف بين السلف والخلف ، فالسلف يكلون علمه إلى الله عز وجل ، ويفوضون أمر معرفته إلى منزل الكتاب الحكيم ، والخلف يؤولون ، فتأوله الأشاعرة بأن معنى استوى استولى بالملك والسلطان والقدرة التى لايصل إلى مداها مخلوق .

والموضع الثانى : وردت فيه صفة للمخلوق :

— « ورفع أبويه على العرش » (١٠٠ يوسف) .

— « ولها عرش عظيم » (٢٣ النمل) .

— « أهكذا عرشك ؟ » (٤٢ النمل) .

— « أيكم يأتيني بعرشها » (٣٨ النمل) .

والعرش هنا هو كناية عن الحكم والسلطان والقدرة .

الموضع الثالث : وردت فيه كناية عن الدمار الكامل ، أو تمثيل له :

— « أو كالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها » (٢٥٩ البقرة) .

— « فهى خاوية على عروشها » (٤٥ الحج) .

— « وهى خاوية على عروشها » (٤٢ الكهف) .

ومن هنا يكون العرش فى حق الله عز وجل له معنى ، وفى حق المخلوق له معنى ، وفى جانب الوصف بالدمار له استعمال .

العـــزى

ورد هذا اللفظ فى كتاب الله العزيز فى موضع واحد هو الآية التاسعة عشرة من سورة النجم :

« أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى .. ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذاً قسمة ضيزى » (النجم – الآية ١٩ وما بعدها) .

والعزى من أصنام العرب فى الجاهلية ، وسمت بها العرب بعض أبنائها ؛ وكانت العزى شجرة بنخلة عندها وثن تعبده غطفان ، وكانت سدنتها من بنى صرعة بن مرة .. وروى أنهم بنوا على سمرة بيتاً ، وأقاموا لها سدنة ، وأنها كانت بواد من نخلة الشامية ، يقال له : حراض بإزاء الغمير ، عن يمين المصعد إلى العراق من مكة ، فبنوا عليها بيتاً .

والعزى من لغة طيىء ، وهى عشتار ابنة الإله سين عند البابليين ، وهى كوكب الزهرة عند عرب الجنوب ، وتمثل عشتار وكذلك العزى فصل الشتاء ، وتمثل الخصب والحب والجمال ، وعدوها بنت الله ، وهى نفسها الزهرة عند الإغريق ، وهكذا انتقلت الوثنية ومعبوداتها من شعب إلى شعب ، بتقليد أعمى ، وسفهاً وضلالا وإثماً وزوراً .

ويقول عمرو بن لحى الخزاعى لعمرو بن ربيعة والحارث بن كعب : إن ربكم يصيف باللات لبرد الطائف ، ويشتو بالعزى لحر تهامة .

وصارت العزى عند العرب إلهة الخضر ، حيثما قامت على ثلاث سمرات فى وادى نخلة ، وصعدت إلى السماء فى صورة امرأة حسناء وعرفت بالزهرة ؛ ولأن عشتار إلهة الحب والعشق الجسدى ، صارت العزى عند عرب الجاهلية ذات علاقة بالزواج ، فكانت الفتاة إذا طلبت الزواج نشرت جانباً من شعرها ، وكحلت إحدى عينيها ، وحجلت على إحدى رجليها ليلا ، ودعت أن تتزوج قبل الصباح ، أى قبل أن يطلع نجم الصباح وهو الزهرة .

وكانت العزى أعظم الأصنام عند قريش ، وكانوا يزورونها ويهدون لها ،

ويتقربون عندها بالذبح ، وكانت قريش إذا طافت بالكعبة تقول : واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، فإنهم الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهم لترتجى ؛ وكان للعزى منحر ينحرون فيه ذبائحها .

ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى العام الثامن من الهجرة وكل إلى خالد بن الوليد قطع شجر العزى ، وهدم بيتها ، وكسر الوثن .

ولم تقتصر عبادة العزى على قريش وحدها ، بل كانت وثن الكثير من قبائل العرب مثل : غنى وباهلة وخزاعة ومضر وبنى كنانة وغطفان ، كما عبدت فى الحيرة فى عصر المناذرة ، وكان ملوك المناذرة يقدمون لها القرابين من البشر أحياناً .

فالمنذر قدم إليها عدداً من الإماء الأسرى قرباناً ، ويروى أنه قدم ابن الملك الحارث الغسانى إليها قرباناً ، وكان هذا الابن أسيراً فى يديه .

وفى رأى المستشرق الهولندى (نولدكة) أن الغريين يراد بهما العزى ، وهما نصبان يرمزان إلى كوكبى العشاء والصباح .

هذه هى العزى التى تردد اسمها على ألسنة العرب عامة والقرشيين خاصة قبل الإسلام والتى أضل الشيطان عقولهم فعبدوها من دون الله ، وتركوا الحنيفية دين إبراهيم الخليل وشريعته .

وما أضل الإنسان حين يعبد شيئاً من دون الله ، حجراً كان أو شجراً أو كواكب أو ناراً أو غير ذلك .

كيف غفل العقل عن حقيقة التوحيد ؟ وكيف ضل البشر عن شريعة عبادة الله الواحد الأحد ؟ إنه الضلال المبين ، والإثم الكبير ، والإفك المبين .

إنه السبة الكبرى للعقل البشرى ، الذى جاء الإسلام فحرره من عبادة الأصنام والأوثان ، ومن الشرك والبهتان ، ونقله إلى عبادة الله الواحد الأحد ، تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً .

عـزيـز

ورد لفظ (عزير) فى الآية الثلاثين من سورة التوبة ؛ قال تعالى : « وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون » .

. ويرد الله عز وجل عقب ذلك على اليهود والنصارى فى مزاعمهم الباطلة ، فيقول : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح بن مريم .. وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً ، لا إله إلا هو ، سبحانه عما يشركون » .
(٣١ التوبة)

وفى كتاب الله عز وجل : « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، قال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه ، قال : كم لبثت ! قال : لبثت يوماً أو بعض يوم ، قال : بل لبثت مائة عام ، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه ، وانظر إلى حمارك ، ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً ، فلما تبين له قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير » .
(٢٥٩ البقرة)

لم يتسنه : أى لم يتغير مع مرور السنين عليه . ننشزها : نرفعها من الأرض لنجمعها .

وهذه القصة حدثت من نبى الله عزير عليه السلام ، وكان أحد أنبياء بنى إسرائيل .

وفى (العهد القديم — سفر الملوك الثانى ١٤ و ١٥) أنه عزريا ملك يهوذا ، وأنه ملك وهو فى سن السادسة عشرة من عمره ، وظل ملكاً اثنتين وخمسين عاماً فى أورشليم ، ولما مات دفن مع آبائه فى مدينة داود وملك ابنه من بعده ، (٦٠٩ — ٦١١ العهد القديم والعهد الجديد) .

وكان عزير يحفظ التوراة ويعمل بها ويدعو الناس إلى تعاليمها .. وفى يوم من الأيام خرج إلى حديقة له على حماره ، ولما أراد العودة ، ركب حماره ، وفى

الطريق مر على قرية كانت آهلة بالسكان ، ولكنه رآها اليوم لا حياة فيها ، ولا أحد فى منازلها ، وكانت قريبة من بيت المقدس وخربها بختنصر ، وتعجب وتساءل بينه وبين نفسه ! أنى يحيى الله هذه القرية بعد موتها ؟

فأماته الله مائة عام ، ثم بعثه . فقال لنفسه : لقد مضى وقت من النهار نمت فيه نوماً عميقاً ، فلأتهيأ للعودة إلى بيتى وأهلى ، فبعث الله عز وجل إليه ملكاً يسأله : كم لبثت فى نومتك ؟ فرد عليه عزير : يوماً أو بعض يوم ، فأجابه الملك : بل لبثت مائة عام ، وقال له الملك : انظر ها هو ذا طعامك وشرابك لم يتغير ، وانظر إلى حمارك كيف نحييه لك ، وانظر إلى عظام حمارك ، كيف نجمعها ونكسوها لحماً ، وتعود سيرتها الأولى .. فرد عزير : أعلم أن الله على كل شيء قدير

وعاد عزير إلى داره فعرفته امرأته العجوز بعد لأى ، وكانت قد فقدت بصرها فأعاده الله إليها .. وصار عزير مثلا يروى ، وحديث يذكر على مرور الأيام .

إنها معجزة الله عز وجل .

مائة عام ينام عزير ، ثم يحييه الله .

طعامه وشرابه لم يغيرهما مرور الأعوام والأيام .

وبعثه الله .

وأحيا حماره بعد أن صار عظاماً باليات .

ثم أنبأه الله بالمدة التى نامها ، مائة عام .

ورد الله بصر زوجته إليه .. وعرفها وعرفته .

كل ذلك دليل قدرة الله عز وجل .. ألم ينم أهل الكهف فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً ثم بعثهم الله ، وأعادهم مرة أخرى إلى الحياة .

إن الله على كل شىء قدير .

العلى

العلى صفة من صفات الله عز وجل ، ومعناه : الشريف الرفيع ، ومن اشتقاقات الكلمة : العلاء العلى ، وهو الشرف والرفعة ، والمعالى كذلك ، والعلياء أيضاً ، وفلان من علية الناس ، أى من أشرافهم ، والعليا : « وجعلنا كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا » ، وأعلاه الله : رفعه ، والمتعال العظيم فى العلو والرفعة ، ومنه : « الكبير المتعال » (٩ الرعد) .

وقد ورد لفظ (العلى) فى كتاب الله عز وجل فى مواضع عدة :

- « وهو العلى العظيم » (٢٥٥ البقرة) .
- « وأن الله هو العلى الكبير » (٦٢ الحج) .
- « وأن الله هو العلى الكبير » (٣٠ لقمان) .
- « وهو العلى الكبير » (٢٣ سبأ) .
- « فالحكم لله العلى الكبير » (١٢ غافر) .
- « وهو العلى العظيم » (٤ الشورى) .
- « إنه على حكيم » (٥١ الشورى) .
- « وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم » (٤ الزخرف) .
- « إن الله كان علياً كبيراً » (٣٤ النساء) .
- « إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً » (٥٧ مريم) .
- « وجعلنا لهم لسان صدق علياً » (٥٠ مريم) .

وقد يقترن لفظ (العلى) بلفظ الأعلى ، وصفين لله عز وجل ، فيقال : العلى الأعلى ، وجاء لفظ الأعلى وحده فى مواضع عدة من كتاب الله عز وجل :

- « سبح اسم ربك الأعلى » (الآية الأولى ، سورة الأعلى) .
- « ولله المثل الأعلى » (٦٠ النحل) .
- « إنك أنت الأعلى » (٦٨ طه) .
- « وله المثل الأعلى » (٢٧ الروم) .

— « إلى الملأ الأعلى » (٨ الصافات) .

— « ما كان لى من علم بالملأ الأعلى » (٦٩ ص) .

— « وهو بالأفق الأعلى » (٧ النجم) .

— « أنا ربكم الأعلى » (٢٤ النازعات) .

— « إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى » (٢٠ الليل) .

وجاء لفظ (الأعلون) جمعاً للفظ (الأعلى) :

— « وأنتم الأعلون » (١٣٩ آل عمران) .

— « وأنتم الأعلون » (٣٥ محمد) .

والله عز وجل هو الحرى بوصف (العلى) ، و (الأعلى) ، فهو وحده الذى ارتفع فى ملكوته إلى حيث تعجز قدرة البشر ، وإلى حيث تقصر هممهم ، وإلى حيث تتقاصر أعناقهم .

هو وحده العلى العظيم الأعلى ، لا يشاركه من خلقه أحد فى صفته ، ولا يمكن أن ينال شرف رفعته وعظمته مخلوق ، ولا يستطيع إنسان أن يدعى أنه يملك ذرة مما يملك الله عز وجل من جلال وعظمة وسمو ورفعة :

الله وحده العلى ، فرد فى علاه ، عظيم فى سمواته ، وسع كرسيه السموات والأرض ، إنه هو العلى العظيم حقاً ، إنه هو العلى الأعلى صدقاً ، إنه هو الكبير المتعال حقيقة لا شك فيها ، ويقيناً لا زيغ معه .

له الكمال المطلق ، وله الجلال الأعظم ، وله العزة القعساء ، وله المنزلة العلياء ، وله العلا والعلاء ، وله السنا والسناء ، وله الشرف الأكبر .

تقدست أسماؤه ، وتباركت آياته .

من ذا الذى يطاوله فى عليائه ؟

ومن ذا الذى يشاركه فى صفاته وأسمائه ؟

ومن ذا ينال من شرف الثناء عليه بعض ما له ، جل جلاله .. سبحانه وحده لا شريك له ، وهو الكبير المتعال .

العيـــد

هذا اللفظ القرآنى الكريم ورد فى كتاب الله عز وجل فى موضع واحد ، هو فى الآية (١١٤ من سورة المائدة) ، حيث يقول الله عز وجل :

« قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك » .

أى يكون يوم نزولها لنا عيداً يعود كل عام على الناس ، فيبتهجون به ، ويفرحون فيه ، ويذكرون بقدومه نعمة الله عليهم وعلى نبيهم عيسى ، عليه السلام

والعيد فى الإسلام يومان : يوم الفطر ويوم الأضحى ؛ وهو أكرم الأيام على الله وعلى الناس .

وبهجة المسلمين بيوم العيد لا تقدر بقيمة ، ولا توزن بميزان .

يوم الفطر بعد صوم شهر رمضان المبارك الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

ويوم الأضحى ، بعد أداء فريضة الحج ، وبعد الوقوف بعرفة ، وبعد أيام خوالد من أداء المناسك والشعائر :

العيد الأصغر عيد القرآن والصيام والزكاة ، والعيد الأكبر عيد الحج والفداء والمناسك والشعائر .

وما أكرمهما من يومين كريمين فى الإسلام ، يحملان كل المعانى الإنسانية النبيلة فى الحياة ، ويغرسان فى قلب المسلم روح الأمل والطموح ، وحب الخير والإيمان بالفضائل ، وتعود الإيثار والمروءة والجود والبذل والعطاء .

يومان لهما ما لهما فى تاريخ الإسلام ، بل وفى تاريخ الإنسانية كلها .

إنهما نبض الخير فى صدور المؤمنين ، وأذان الفجر فى ليل المهمومين ، ونداء النصر ساعة هزيمة الإنسان ونفسه أمام مشكلات الحياة وأحزانها .

العيد وما أدراك ما العيد :

قادم يحمل الخير للناس .

عائد يوزع السعادة فى صدور كل البشر .

ضيف يحمل البشرى للغنى والفقير ، للكبير والصغير ، للشاب والرجل والشيخ الهرم ، للفتى والفتاة ، لكل إنسان على ظهر الأرض .

أيها العيد ، أقدم بالخير واليمن والأمل والبشر ، فأنت البشير بأعلام السعادة للناس كافة ::

غفـــار

وردت هذه الكلمة فى كتاب الله الحكيم فى خمسة مواضع :

الأول : فى سورة طـه (الآية ٨٢) : « وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمـل صالحاً ثم اهتدى » ، غفار : أى كثير المغفرة عظيمها ، وهو صيغـة مبالغـة من المغفرة أو الغفران .

الثـانى : فى سورة ص (الآية ٦٦) : « رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار » .

الثالث : فى سورة الزمر (الآية ٥) : « كل يجرى لأجل مسمى ، ألا هو العزيز الغفار » .

الرابع : فى سورة غافر (الآية ٤٢) : « وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار » .

الخامس : فى سـورة نوح (الآية ١٠) : « فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً » .

والغفار من أسماء الله الحسنى . والمغفرة لمن تاب واقعة ، أما المغفرة للمؤمن الذى لم يتب فهى في مشيئة الله عند أهل السنة ، وقالت المعتزلة : الله عز وجـل لا يغفر إلا لمن تاب واهتدى ، أى استقام ودام على الإيمان والتوبة والعمـل الصالح ، ويحتمل أن يكون الهدى هنا عبارة عن نور وعلم يجعله الله فى قلب من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً .

وغفران الله عز وجل للذنوب الصغيرة موكول إلى مشيئته ، والذنوب الكبيرة التى لا يتعلق بها حق للعباد هى كذلك موكولة إلى مشيئة المولى عز وجل ، أما إذا تعلق بها حق للعباد فلابد فيها من أداء حقوق العباد أو القصاص العادل .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : (والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة) رواه البخارى .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : (كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد مائة مرة : رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم) رواه أبو داود والترمذى وقال : إنه حديث صحيح .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ، ومن كل هم فرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب) رواه أبو داود .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال : أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ، غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف) رواه أبو داود والترمذى .

وفى الحديث القدسى : (يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى) ، وعنان السماء : هو السحاب ، وقيل : هو ما عن لك منها ، أى ظهر ، وهو بفتح العين .

ومغفرة الله عز وجل لعباده المؤمنين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم واسعة والأمل فى جنابه ممتد طويل ، ورضاؤه عز وجل على عباده لا تحده حدود أو قيود والسلام على من اتبع الهدى .

الفتـــح

ذكر (الفتح) فى كتاب الله عـز وجـل فى ثلاثة عشر موضعاً ؛ وسمى الله جل جلاله سورة من كتابه الحكيم بسورة (الفتح) تعظيماً لأمر هذا الحدث العظيم :

الأول : قوله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » .

مطلع سورة الفتح ، التى نزلت حين انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، لما أراد أن يعتمر بمكة ، فصده المشركون ، وقالوا : لن يدخلها علينا أبداً ، ثم انتهى الأمر بصلح الحديبية ، فنزلت هذه السورة ، وقال رسول الله لعمر ، وهما راجعان إلى المدينة : لقد نزلت على سورة هى أحب إلى من الدنيا وما فيها ، فالفتح المراد به صلح الحديبية ، لأنه كان المقدمة لانتصارات عظيمة ، أو أن المراد بالفتح فتح مكة ، فقد وعده الله عز وجل به ، إذ بشر رسوله به بهذا التنزيل الحكيم ، وأخبره بأنه سوف يتم بإذن الله .

والثانى والثالث : قوله تعالى :

— « فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً » (٢٧ الفتح) .

— وقال تعالى فى السورة نفسها : « وأثابهم فتحاً قريباً » (١٨ الفتح) .

والفتح هنا : بشارة بفتح مكة .

والرابع : قوله عز وجل : « إذا جاء نصر الله والفتح » (١ سورة النصر) .

يعنى بالفتح فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التى فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن عباس : إن النصر مراد به صلح الحديبية ، والفتح مراد به فتح مكة . وقال ابن عمر : نزلت هذه السورة بمنى أيام التشريق فى حجة الوداع ، وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها ثمانين يوماً . وقال ابن مسعود : تسمى هذه السورة سورة التوديع ، لأنها كانت قبيل الوفاة بقليل ، ولما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة : (ما أراه إلا حضور أجلى)

والخامس : قوله عـز وجـل : « وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » (١٣ الصف) .

والآية بشارة بالنصر والفتح .

والسادس : قوله عز وجل : « لا يستوى من أنفق من قبل الفتح وقاتل » (١٠ الحديد) ، والمراد بالفتح هنا فتح مكة .

والسابع : قوله تعالى :

« قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم » (٢٩ السجدة) .

والثامن : قوله تعالى :

« ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين » (٢٨ السجدة) .

والفتح فى الموضعين مراد به حسم الأمر بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين المشركين بنصر مبين من الله لرسوله ، أو بإنزال العذاب من الله بهم ، وقيل : الفتح : المراد به الحكم بين المسلمين والكفار فى الآخرة ، وقيل : المراد به فتح مكة ، وهو بعيد لقوله تعالى إثر ذلك : « قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم » .

وأرجح أن يكون الفتح مراداً به يوم القيامة ، حيث تقضى الأمور ، وتحسم القضية ، ولا يبقى موضع لعناد أو خلاف أو كفر ، ولعل هذا هو المراد بالفتح فى موضع آخر هو قوله تعالى : « فعسى الله أن يأتى بالفتح » (٥ المائدة) .

أو أن المراد بالفتح هنا : النصر لنبيه بإظهار دينه ، أو أن يكون المراد به فتح مكة .

وكذلك الأمر فى الفتح فى موضع آخر من كتاب الله عز وجل ، هو قوله تعالى : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » (٢٠ الأنفال) .

أى إن تطلبوا أيها الكفار الفتح ، أى القضاء ، حيث قال أبو جهل منكم : اللهم أينا كان أقطع للرحم ، وأتانا بما لا نعرف ، فأهلكه الغداة ، فقال الله عز وجل : فقد جاءكم أيها الكفار الفتح ، أى القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل ومن معه .

وهكذا ترددت كلمة الفتح فى كتاب الله حول معان عدة أولها مراد به النصر من الله عز وجل لرسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، أو لرسله الكرام أيضاً ، بإظهار الدين ، وبالقضاء على الكافرين ، إلى معان أخر أريد بالفتح فيها القضاء الحاسم بين الرسل والكافرين من أممهم وشعوبهم ، وكان نصر الله عظيماً ، وكان حزب الله هم الغالبون .

الفـــرات

الفرات : الماء العذب ، يقال : ماء فرات ، ومياه فرات . والفرات : نهر كبير بالعراق .

وفى ثلاثة مواضع من كتاب الله الحكيم ورد لفظ (فرات) :

الأول : فى الآية الثالثة والخمسين من سورة الفرقان ، قال تعالى :

« هذا عذب فرات » .

الثانى : فى الآية الثانية عشرة من سورة فاطر ، قال تعالى :

« هذا عذب فرات سائغ شرابه » .

الثالث : فى الآية السابعة والعشرين من سورة المرسلات ، يقول تعالى :

« وأسقيناكم ماء فراتاً » .

وهذا للامتنان وطلب الحمد والشكر ؛ وليس كالماء نعمة ، فيه حياة كل شىء ، وبه تدب الحياة فى الأرض ، وعلى الماء تتوقف الحياة ، من حيوان ونبات ، بل وجماد ، وصدق الله العظيم فى قوله تعالى :

« وجعلنا من الماء كل شىء حى » (٣٠ المؤمنون) .

والماء العذب نعمة كبرى ، فهو مصدر الحياة ، أما الماء المالح فليس له إلا أنه يحمل السفن والتجارات ، وتعيش فيه ملايين الحيوانات من أسماك وغيرها و يستخرج منه اللؤلؤ والمرجان ومعادن كثيرة .

والماء الفرات هو ماء السحاب وماء الأنهار والعيون ، وهو الذى يشربه الناس ويحيون به ، وقد أخذت الدول الكبرى عند افتقادها للماء العذب تعمل على استخراجه من الماء الملح بالتبخير والتقطير ، ولا شك أن الوصول إلى ذلك نعمة جليلة لا تقاس بها نعم كثيرة .

وحياة الإنسان على ظهر الأرض مدينة للماء بأغلى دين ، فلولا الماء لانعدمت الحياة من على ظهر كوكبنا الذى نعيش فوقه ، ويبحث العلماء الآن عن الماء فى

الكواكب الكبيرة البعيدة عنا ، ليستدلوا بوجوده فيها على وجود الحياة نفسها على ظهر الكوكب الذى توجد فيه مياه .

إن الماء أهم عنصر من عناصر الحياة ؛ والماء العذب هو المقصود ، لأنه هو الذى يشربه الإنسان والحيوان ؛ وهو الذى يتغذى به النبات . وفيه من العناصر والمعادن الكثير ، فطوبى للإنسان الذى يشربه ، ولذلك كان شراب أهل الجنة وفى كتاب الله الحكيم من سورة الكوثر يقول الله عز وجل لنبيه الحكيم :

« إنا أعطيناك الكوثر » .

فالخطاب لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه . والكوثر :

— قيل : هو حوض النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة ، وفى الحديث أن رسول الله قال : أتدرون ما الكوثر ؟ هو نهر أعطاه الله نبيه صلى الله عليه وسلم وهو الحوض .

— وقيل : معناه الخير الكثير الذى أعطاه الله فى الدنيا والآخرة لنبيه صلى الله عليه وسلم ، قاله ابن عباس وسعيد .

— وقيل : المراد به القرآن الكريم .

— وقيل : المراد به كثرة المؤمنين بدعوته .

— وقيل : المراد به التوحيد .

— وقيل : بل المراد به الشفاعة .

— وقيل : إنه نور وضعه الله فى قلب المسلم .

والصحيح أنه الحوض أو النهر الممتلئ ماء عذباً ، وهو شراب أهل الجنة ، رضى الله عن رسوله وعنهم ، وأثابهم خيراً كثيراً .

وحدث عن ماء الكوثر ولا حرج .

إنه طعام وشراب .

شراب المقربين من أهل الجنة فى الآخرة .

فى يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم .

الفرقـــان

هذا اللفظ القرآنى الكريم ورد فى كتاب الله عز وجل فى سبعة مواضع :

الموضع الأول : فى الآية الثالثة والخمسون من سورة البقرة :

« وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون » .

الكتاب ، والتوراة ، والفرقان : أى الفارق بين الحق والباطل ، والحلال والحرام ، وهو صفة للتوراة عطف عليها لاختلاف اللفظ .

الثانى : فى الآية (١٥٨ من سورة البقرة) :

« هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

أى أن القرآن هدى للناس ، بل هو آيات واضحات من الهدى ، ومن الفارق بين الهدى والضلال وبين الشريعة وتقاليد الآباء والأجداد .

الثالث : (الآية الرابعة من سورة آل عمران) :

« وأنزل الفرقان » أى القرآن الذى هو الفارق بين الحق والباطل .

الرابع : (الآية ٤١ من سورة الأنفال) :

« وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان ... » .

ويوم الفرقان : هو يوم بدر ، الذى فرق بين التوحيد والشرك ، وبين الإيمان والوثنية ، وبين الحق والباطل ، والجمعان : المسلمون والمشركون .

الخامس : (الآية ٤٨ من سورة الأنبياء) :

« ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان » .

والفرقان هنا هو التوراة التى فرقت بين الحق والباطل والهدى والضـلال ، والإيمان والشرك .

السادس : الآية الأولى من سورة الفرقان :

« تبارك الذى نزل الفرقان على عبده » .

والفرقان هنا : هو القرآن ، وعبده : أى محمد عليه الصلاة والسلام .

والسابع : (فى الآية ٢٩ من سورة الأنفال) :

« إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً » .

أى ضميراً وازعاً ، فارقاً بين الحق والباطل ، والهدى والضلال .

والفرقان فى الأعم الأغلب هو القرآن الكريم ومن عظمة القرآن أن سميت سورة من سوره بهذا الاسم العظيم والوصف الكريم ، وهى سورة الفرقان .

والفرقان كتاب السماء ، ورسالة الله إلى خير الأنبياء ، وخاتم الرسل ، محمد ابن عبد الله .

وهو المبين للشريعة ، والناطق بالرسالة والموضح لعقيدة الإسلام ، والمبين للهدى ، والفارق بين الحق والباطل والإيمان والشرك .

وهو الذى وضح الشريعة ، ورسم الحدود ، ونطق بالقول الفصل ، ودعا إلى خير الدنيا والآخرة ، وأبان الشر وحذر منه ، والفساد ونهى عنه ، والضلال وعذاب الضالين العصاة .

والقرآن الكريم معجزة الله ، والآية الناطقة برسالة محمد بن عبد الله والحجة القاطعة على صدق تبليغه عن السماء .

إنه دستور الحياة ، وكتاب الوحى المنزل إلى الإنسانية كافة ، ووثيقة الإيمان والتوحيد يقرؤها المؤمنون فيزدادون بها إيماناً ، والضالون المشركون فيعرفون بعد ما بينهم وبين الحق .

إنه جامع خير الدنيا والآخرة ، وهو حبل الله المتين ، ودعوته التامة إلى الخلق أجمعين ، وصوت التوحيد المدوى فى آذان الإنسانية قاطبة لتؤمن بالإله الواحد الأحد ، ولترتد عن الشرك والوثنية والضلال ، ولتعود إلى الخير والرشد والإيمان ، ولتستقيم على الطريقة الأمثل ، والسبيل الأكرم .

القرآن الكريم ، وما أدراك ما هو ؟

ليس هناك وصف جامع له ، إلا أنه الكتاب المنزل من السماء ، من رب العزة ، من إله الكون على لسان الوحى المقدس ، إلى عبده المبعوث رحمة للعالمين ، محمد بن عبد الله ، خاتم المرسلين ، وأفضل النبيين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ..

إنه المعجزة الباقية التالدة الخالدة ، إنه دليل صدق الرسول فى كل ما بلغ به عن رب العزة .

الفــؤاد

ذكر الفؤاد مفرداً فى كتاب الله عز وجل فى ثلاثة مواضع ؛ وذكر مضافاً إلى ضمير الخطاب فى موضعين .

وذكر جمعاً (أفئدة) فى ثمانية مواضع ، وذكر أفئدة (جمع فؤاد) مضافاً إلى ضمير الغيب فى ثلاثة مواضع .

فجملة المواضع التى ذكر فيها هذا اللفظ فى كتاب الله عز وجل ، ستة عشر موضعاً .

يقول الله عز وجل : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنـه مسئولا » (٣٦ الإسراء) .

هذا والفؤاد : هو القلب ، والقلب أهم أعضاء الإنسان .

وهذه الآية تحتمل معنيين : أن الإنسان مسئول عن كل جوارحه من سمع وبصر وفؤاد ، هل استعملها فى الخير أو فى الشر . أى أن الإنسان يسأل يوم القيامة عن سمعه وبصره وفؤاده ، والمعنى الثانى : أن السمع والبصر والفؤاد هى التى تسأل عما ليس لهـا به علم ، فالضمير فى « عنه » يعود إلى «ما ليس لك به علم» .

وفى المواضع كلها التى ذكر فيهـا الفؤاد أو الأفئدة لم تخرج الكلمة عن معنى القلب ، ومن هـذه المواضع قوله تعالى : « ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة » (١١٣ الأنعام) .

كان الأصل أن يقال : ولتصغى إليه أسماع ، لكن ذكر القلوب (الأفئدة) هنا معناه : لتصغى إلى دعاء الشيطان قلوب الكافرين فيهوى بهم فى عذاب السعير .

فقد عبر عن ميلهم القلبى إلى الكفر والشر والرذيلة ، إلى حد أن قلوبهم قبل أسماعهم تميل إلى وسوسة الشيطان ، وتقع فى المعصية ، وتردى فى الهلاك ، وتقذف بنفسها فى نار جهنم .

ويمتن الله عز وجل بخلق السمع والبصر والفؤاد ، فيقول : « وجعل لـكم السمع والأبصار والأفئدة » (٧٨ النحل و ٩ السجدة و ٢٣ الملك) .

ويقول عز وجل :

« وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة » (٢٦ الأحقاف) .

ويقول عز وجل :

« فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم » (٢٦ الأنعام) .

فيقرن الله عز وجل الفؤاد بالسمع والبصر .

وفى آيات أخرى يقرنه عز وجل بالبصر وحده .. فيقول :

« ونقلب أفئدتهم وأبصارهم » (١١٠ الأنعام) .

ويقول : « لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء » (٤٣ إبراهيم) .

وهكذا يمتن الله عز وجل على عباده بأن خلق لهم أفئدة تمنحهم دم الحياة ، وتعطيهم فرصة البقاء على الدنيا .. والقلب هو كل شىء فى الإنسان ، وإذا اعتل القلب اعتل جسم الإنسان ، وأوشك على الفناء .

إن نعمة الله عز وجل على الإنسان بأن خلق له قلباً ، لهى نعمة عظيمة ، يجب على الإنسان شكرها ، ويجب عليه الإيمان بالله ، وإلا فالويل للإنسان ، والعذاب له فى نار جهنم ، إن كفر بالله ، وفسق عن أمر ربه ، وخرج عن طاعة الرحمن إلى طاعة الشيطان .

قـــارون

ذكر هذا الاسم فى كتاب الله عز وجل فى أربعة مواضع :

الأول : فى الآية ٧٦ من سورة القصص : « إن قارون كان من قوم موسى ، فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » .

الثانى : فى الآية ٧٩ من سورة القصص أيضاً :

« قال الذين يريدون الحياة الدنيا : يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون » .

الثالث : فى الآية ٣٩ من سورة العنكبوت : « وقارون وفرعون وهامان ، ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الأرض » .

الرابع : فى الآية ٢٤ من سورة غافر :

« إلى فرعون وهامان وقارون ، فقالوا : ساحر كذاب » .

وفى الآيات ٧٦ — ٨٣ من سورة القصص يحكى الله عز وجل قصة قارون، وكيف جمع ثروة هائلة ، وصار صاحب كنوز لا تحصى ، ثم كيف ملكه الغرور والكبرياء والطغيان ، وكيف نصحه قومه بأن يترك عبادة المال إلى عبادة الله الواحد القهار ، وأن يخرج من أمواله للفقراء ، وأن يترك الفساد فى الأرض ، فلم يمتثل لنصح ، ولم يتذكر إلهه الذى خلقه وأنعم عليه بهذه النعم الطائلة ، وكيف عاقبه الله عز وجل العقاب الذى يستحقه ، فخسف به وبداره وماله الأرض ، وصار مصرعه عبرة لمن اعتبر ، ومثلا سار فى الأرض .

ومثل ذلك مثل قصة رجلين : أحدهما يملك جنتين من أعناب ونخيل وزرع ، وتثمران ثمراً طائلا ، وتجرى خلالها مياه نهر عذب ، فلكه الغرور ، ومنع حق الفقراء ، وتعالى على الناس ، فأحرق الله جنتيه ، وأصبحتا صعيداً زلقاً ، وأصبح ماؤها غوراً ، وذلك كله بعد أن كفر بنعمة الله ، ولم يستمع لنصح أخيه له ، وأعماه المال والثراء ، وضل ضلالا بعيداً .

ومثل ذلك كذلك قصة أصحاب الجنة الذين أطغاهم الثراء ، وحرموا من ثمراتها المساكين والفقراء ، فأحرقها الله عز وجل (١٧ — ٣٢ سورة القلم) .

إنها العبرة والعظة لمن اتعظ واعتبر ، وأدى حق الله وحق العباد عليه ، ولمن شكر نعمة ربه ، وقابلها بمزيد من الإيمان والإحسان وعبادة الله الذى أنعم وقدّر .

القبلة

القبلة مصطلح إسلامى معناه الجهة التى يصلى المصلى نحوها ، ومن المعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم — بعد أن فرضت عليه وعلى وعلى أمته الصلاة فى ليلة الإسراء والمعراج المباركة — صلى نحو الكعبة ، فلما هاجر صلى نحو بيت المقدس فترة ثم أمر بأن يصلى نحو المسجد الحرام ، أى الكعبة ، ففعل ذلك هو وجميع المسلمين ، حيث صلوا جميعاً نحو الكعبة « قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فولى وجهك شطر المسجد الحرام » .

وقد وردت لفظة القبلة فى كتاب الله الحكيم فى أربعة مواضع :

الأول : الآية الكريمة : « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » (١٤٣ سورة البقرة) .

الثانى : الآية الكريمة : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها » (١٤٤ سورة البقرة) .

الثالث : الآية الكريمة : « وما بعضهم بتابع قبلة بعض » (١٤٥ سورة البقرة) .

الرابع : الآية الكريمة : « واجعلوا بيوتكم قبلة » (٨٧ من سورة يونس) .

واتجاه المصلى نحو الكعبة فى صلاته شرط فى صحة الصلاة ؛ والصلاة نحوها هو شريعة إبراهيم عليه السلام .

وقد صلى رسول الله صلوات الله عليه بعد الهجرة نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، تألفاً لليهود ، ثم حولت القبلة وصارت قبلة المسلمين هى الكعبة المشرفة بيت إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام .

وقد ثبت أن الكعبة هى مركز الدنيا ، ووسط العالم ، وحين يولى المسلمون وجههم جميعاً نحوها يكون فى ذلك معنى وحدة الهدف ، ووحدة الشعور ، ووحدة العبادة عند جميع المسلمين .

وكان تحويل القبلة إلى الكعبة فى منتصف شعبان من السنة الثانية للهجرة على ما يرجحه جمهرة من العلماء .

إن القبلة فى الإسلام تشير إلى أن المسلم يجب عليه وهو يناجى ربه أن يكون على ثقة بأن الإسلام هو شريعة الأنبياء من قبل ، وشريعة إبراهيم وإسماعيل ، وهو الشريعة التى ترفع راية التوحيد عالية فى السماء وأنه فكر مرتبط بالتوحيد والتنزيه ، وأن الله عز وجل هو رب كل شيء فى الكون ، وهو الذى يجب أن يتجه إليه كل مسلم بالدعاء ، ومن أجل ذلك كانت القبلة ، ومن أجل ذلك كان الحج إلى بيت الله الحرام .

وصارت الكعبة رمزاً عالياً فى الإسلام ، رمزاً يشعر المسلمين جميعاً بأنهم على هدى من الله وبصيرة ، وأنهم جادون فى إقامة شريعة الحق ودين التوحيد فى الأرض ، وأن الإسلام الدين الخاتم الذى يجب أن يجتمع عليه كل إنسان يعبد الله فى الأرض .

القـــدر

هذا اللفظ القرآنى الكريم ورد فى كتاب الله عز وجل فى سبعة مواضع :

١ و ٢ و ٣ : (فى سورة القدر ، وهى إحدى السور المكية) :

« إنا أنزلناه فى ليلة القدر * وما أدراك ماليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر » .

الرابع : (فى الآية الثالثة من سورة الطلاق) : « ... قد جعل الله لكل شىء قدراً » أى مقداراً معلوماً ، ووقتاً محدوداً ، وميقاتاً معيناً .

الخامس : (فى الآية ٩١ من سورة الأنعام) :

« وما قدروا الله حق قدره » أى ما عظم اليهود خالقهم الأعظم حق تعظيمه ومقدار عظمته ، أو ما عرفوه حق معرفته فى اللطف بعبادة ، والرحمة لهم ؛ إذ أنكروا بعثه للرسل وإنزاله للكتب ، وبالغوا فى إنكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام :

السادس : « فى الآية ٦٧ من سورة الزمر) :

« وما قدروا الله حق قدره » .

الحديث هنا عن المشركين ، أى ما عرفوه حق معرفته ، وما عظموه حق عظمته .. ويصح أن يكون الحديث عاماً ، أى الناس جميعاً ، ماقدروا الله حق قدره ، لأنهم لم يطلعوا على ملك الله الواسع ، ولا على الكون العظيم وأبعاده المترامية ، ولا على عظمة تدبير الله لهذا الكون الكبير الذى يعجز الناس عن إدراكه.

السابع : (فى الآية ٧٤ من سورة الحج) :

« ما قدروا الله حق قدره » .

ومعناها هو ما ذكرناه فى الآية السابقة .

والقدر بمعنى العظمة ، سميت به ليلة القدر المباركة وليلة القدر هى الليلة التى نزل فيها القرآن الكريم على خاتم المرسلين ، صلى الله عليه وسلم ، وهى ليلة عظمة وشرف ومجد كبير للإسلام والمسلمين بل للإنسانية كافة ، وسميت السورة التى

ذكر فيها ليلة القدر باسم (سورة القدر) تعظيماً للقرآن الكريم وللبيلة نزوله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، إلى غار حراء حيث كان يتعبد فيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وليلة القدر على أرجح الآراء هى ليلة السابع والعشرين من رمضان المبارك ، الذى أنزل فيه القرآن على سيد الأنبياء والمرسلين : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » ، وقيل : إنها ليلة إحدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين أو تسع وعشرين ، وقيل إنها ليلة الثانى والعشرين ، أو الرابع أو السادس أو الثامن والعشرين ، أو ليلة الثلاثين .

ونزول القرآن فى هذه الليلة ، أى أنه أنزل فى ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ، ثم نزل به جبريل إلى الأرض منجماً على امتداد عشرين عاماً .

وفى الحديث الشريف : (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن علمت أى ليلة ليلة القدر ، ما أقول فيها ، قال صلوات الله عليه : قولى : اللهم إنك عفو تحب العفو ، فاعفو عنى .

إن ليلة القدر من ليالى الإسلام الخالدات ، بل إنه ليلة المجد والخلود والشرف والعظمة لكل مسلم يعبد الله فى الأرض .

إنها ليلة نزول القرآن .

القـــدوس

لفظة قدوس لفظة قرآنية كريمة وردت فى موضعين فى القرآن الكريم :

الأول : فى الآية ٢٣ من سورة الحشر الكريمة ، وهى قوله عز وجل : « هو الله الذى لا إله إلا هو ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، سبحان الله عما يشركون » .

والقدوس : الطاهر ، المنزه عما لا يليق به ، وهو من التقديس ، وهو التنزه عن صفات المخلوقين ، وعن كل نقص وعيب ، وهذه الصيغة وهى فعول ، بفتح الحرف الأول وضم الثانى مع تشديده هي للمبالغة ، مثل : سبوح ، قيوم .

والموضع الثانى الذى وردت فيه كلمة القدوس : هو الآية الأولى من سورة الجمعة ، وهى قوله تعالى : « يسبح لله مافى السموات ومافى الأرض ، الملك القدوس العزيز الحكيم » .

وتسبيح كل مافى السموات ومافى الأرض لله عز وجل ، بلسان الحال ، ولسان المقال .. أمر لايختلف فيه إنسان ؛ فكل من فى الكون الكبير يقر بعظمة الله ، ويعترف بربوبيته ، ويخضع لسلطانه العظيم ، فإن جحد جاحد ذلك ، فهو مخالف لفطرته ، مناقض لنفسه ، معاند لطبيعته ، التى تأبى إلا الاعتراف بعظمة الله جل جلاله وبوجوده وقدرته ، وإرادته النافذة ، وسلطانه الشامل .

والله عز وجل هو الملك الحاكم المدبر المهيمن النافذ الكلمة فى عرشه الكبير .

وهو القدوس الطاهر المبرأ المنزه عن كل نقص ، فهو القادرو هو القوى ، وهو القاهر فوق عباده . وهو العليم بكل شيء وهو الذى يحيى ويميت ، وهو رب الكون والحياة .

ونقول : تقدست أسماؤه ، وتنزهت صفاته ، واللفظان : تقدست وتنزهت مترادفتان .

وتطلق كلمة القدوس على الإله المعبود ، لأنه أعلى من كل شيء ، ومنزه

عن كل نقص ، فالكلمة بهذا المعنى بمعنى العبادة الحقة الكاملة للإله الحق الكامل الذى لايعبد سواه .

والقدوس اسم من أسماء الله الحسنى ، وما أكثر ما نقول : سبوح قدوس (بفتح الحرف الأول مع ضمه وبتشديد الحرف الثانى مع ضمه) ، فهو يدل على كمال الله ، وعلى تنزهه عن كل نقص ، وعلى أنه بلغ فى الطهر والطهارة حد الكمال المطلق ، وعلى أنه الجدير بالعبادة ، فالعبادة المطلقة له ولكماله الذى لا تحده حدود ، ولا يبلغ غايته تصور .

والقدوس لفظ قرآنى كريم ، يحمل كل مشاعر الإنسان المؤمن للخالق العظيم المدبر المسيطر الكبير المتعال ، لفظ جليل فيه معنى العبادة الكاملة ، للإله الكامل العظيم ، مبدع الأرض والسماء، وخالق النور والضياء،والشمس والقمر والهواء والماء .. عبادة صادرة من روح العبودية ، إلى مقام الإله المعبود بحق ، الكامل فى ذاته وصفاته وأسمائه تعالى الله علواً كبيراً .

والقدوس لفظ لا ينطق به إلا الحكماء ، لأنهم يعرفون معنى اللفظ وقيمته فى الدلالة على فحواه ، ويعرفون أن الذى يستحق شرف العبادة والتقديس هو الله العلى الكبير وحده ، لا شريك له .. إن الحكماء هم الذين يعرفون معنى هذا اللفظ ومعنى أن يكون هذا اللفظ جديراً بشرف كونه اسماً لله عز وجل ، ومعنى أن الموصوف به هو الجدير حقاً وصدقاً بالعبادة وبالعبودية له وحده دون سواه .

والله الملك القدوس ، هو الإله الخالق العظيم ، البارئ المصور ، الواهب الحياة ، والذى يحيى ويميت ، يعز ويذل ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير .

القــــرآن

ورد لفظ القرآن الكريم فى كتاب الله عز وجل فى واحد وسبعين موضعاً ؛ وورد لفظ الفرقان فى سبعة مواضع :

والقرآن مبالغة من القراءة ، والفرقان كذلك ، صيغة مبالغة من فرق بين الحق والباطل .

وورد لفظ الكتاب مراداً به القرآن الكريم فى نحو ثلاثمائة موضع .

والقرآن الكريم هو الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بشريعته ورسالته ، خاتمة الشرائع ، وآخر الرسالات ، كتاب أحكمت آياته وفصلت كلماته ، وبهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل فصاحة ، وحوت كل البيانات جوامعه وبدائعه ، وجل عند البلغاء نظمه ، وسحر الفصحاء جميعاً أسلوبه ولفظه ؛ كتاب الأولى والآخرة ، وكتاب الشريعة والرسالة الباهرة ، ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق قلبه ، فجاءه أبو جهل منكراً عليه ، فرد عليه بقوله : والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار منى ، والله ما يشبه الذى يتلوه محمد شيئاً من هذا ، وجمع قريشاً عند حضور الموسم — موسم الحج — فقال لهم : إن وفود العرب ترد علينا ، فاجمعوا فى محمد رأياً لا يكذب بعضكم بعضاً ، فقالوا : نقول كاهن ، قال : والله ماهو بكاهن ولا هو بزمزمته ولا سجعه ، قالوا : مجنون ، قال : ماهو بمجنون ولا وسوسته ، قالوا : فنقول شاعر ، قال : ماهو بشاعر ، قد عرفنا الشعر كله ، رجزه وقصيده وهزجه ، ومبسوطه ومقبوضه ، ما هو بشاعر ، قالوا : فنقول : ساحر ، قال : ماهو بساحر ولا نفثه ولا عقده ، وإن أقرب القول فيه أنه ساحر ، فإنه سحر يفرق بين المرء وأخيه ، والمرء وزوجه ، والمرء وعشيرته .. فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذورن الناس منه ، فأنزل الله عز وجل فى الوليد : « ذرنى ومن خلقت وحيداً» الآيات من سورة المدثر (١١ — ٣٠) :

وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن : يا قوم قد علمتم أنى لم أترك شيئاً إلا وقد

علمته وقرأته ، والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، ماهو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة .

وقال أنيس لأخيه أبى ذر : يقولون : شاعر ، كاهن ، ساحر ، لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعته على ميزان الشعر فلم أعرف أنه شعر ، وإنه لصادق ، وإنهم لكاذبون .

هذا هو القرآن الكريم ، معجزة رسول الله الباقية الخالدة ، على الأزمان والفصول والأجيال والأعوام والسنين .

وماذا نقول ؟ إنه كتاب الإنسانية وكتاب البشر أجمعين ، وكتاب الرسالة الخاتمة ، وكتاب السعادة لمن عمل به فى الدنيا والآخرة :

القرطـــاس

القرطاس : الصحيفة يكتب فيها ، ويخط فيها القلم ما شاء له صاحبه أن يكتب من كلام ، والقرطاس أو الصحيفة استعملتها الأمم القديمة المتحضرة فى تسجيل معارفها وثقافاتها وعلومها وآدابها وفنونها وألوان حضارتها وتاريخها وقصص حروبها وبطولات أبطالها وسير ملوكها وأنباء حوادثها وملاحمها وأيامها .

وكتبت فى القراطيس أو الصحف كتب السماء ، وحكم الحكماء وإبداعات الأدباء والشعراء ، وصار ذلك كله تراثاً إنسانياً خالداً على مر العصور والأجيال .

وقد ورد لفظ القرطاس فى كتاب الله عز وجل فى موضعين اثنين : مفرداً فى موضع ، وجمعاً فى موضع آخر :

١ - قال الله تعالى (فى الآية السابعة من سورة الأنعام) : « ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا : إن هذا إلا سحر مبين » .

والمخاطب بهذه الآية الكريمة هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، والمتحدث عنهم هم مشركو مكة الجاحدون للرسالة ، والمحاربون لدعوة السماء .

والمعنى : أن الله عز وجل لو نزل عليك يا محمد كتاباً فى صحيفة أو صحف ، فرآه المشركون ولمسوه بأيديهم ، لما آمن المشركون به ولا برسالتك ، إنهم كافرون جاحدون ، لا يؤمنون ولو جاءتهم أوضح الآيات ، وأكبر المعجزات ، ومعنى « لمسوه » : أى وضعوا يدهم عليه ، وجاء قوله تعالى : « بأيديهم » للتأكيد وارتفاع الشك ، وزوال الظن ، لأنهم قد بالغوا فى تمييزه وتقليبه ولمسه ومسه ، فارتفع بذلك الشك ، وزال عنهم الريب ، ومع ذلك كله فهم لا يؤمنون ،لأنهم معاندون جاحدون ، وكان مشركو مكة قد قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من السماء ، يأمرنا بتصديقك والإيمان بك ، وما نرانا مع ذلك نصدقك .

فنزلت هذه الآية الكريمة ، إخباراً لرسول الله بأنهم لا يؤمنون مهما جيء لهم بالمعجزة

٢ - وقال تعالى (فى الآية الحادية والتسعين من سورة الأنعام) : « وما قدروا الله حق قدره ، إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء ، قل من أنزل الكتاب

الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً ، وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ، قل : الله .. ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون » :

والآية فى الحديث عن اليهود، أى ما عرفوا عظمة الله حق المعرفة وما أدركوا جلاله حق الإدراك ، إذ أنكروا بعث الله عز وجل للرسل ، وإنزال الكتب السماوية عليهم ، وصولا إلى إنكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وإنكاراً للقرآن ، وأن يكون كتاباً منزلا من السماء .

وروى أن الذى قال ذلك منهم هو مالك بن الضيف ؛ فرد الله عز وجل عليهم بأن ألزمهم ما لابد لهم من الإقرار به ، وهو إنزال التوراة على موسى .

وقيل : بل الحديث هنا فى الآية الكريمة عن المشركين من قريش ، ولزموا ذلك لأنهم كانوا يعترفون فى مجالسهم بأن التوراة نزلت على موسى .

وقوله تعالى : « وعلمتم ما لم تعلموا » خطاب لليهود أو لقريش على وجه إقامة الحجة عليهم والرد على أكاذيبهم فى قولهم : « ما أنزل الله على بشر من شىء » فإن كان الخطاب لليهود فالذى علموه هو التوراة ، وإن كان الخطاب لقريش فالذى علموه ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

ومعنى « تجعلونه قراطيس تبدونها » : أى تجعلونه صحفاً تظهرونها وصحفاً أخرى تخفونها حسب أهوائكم ومآربكم .

وقوله عز وجل : « قل الله » إلزام لهم بأن التوراة نزلت من عند الله ، وهذه تكذيب لزعمهم الباطل ولقولهم : « ما أنزل الله على بشر من شىء » .

ثم اتركهم يا محمد فى باطلهم يلعبون ويلهون ، لأنهم ليسوا جادين فى شىء ولا يرتفعون إلى مستوى المسئولية أبداً ، ولا ينقادون للحق أصلا ، ولا يقولون بشىء إلا كذبهم فيه واقعهم ، وكذبتهم فيه الحجج المتكاثرة الدالة على بطلان إفكهم ، وفى مقدمة هذه الحجج إقرارهم أنفسهم ، والإقرار سيد الاعتراف ، وهو أقوى الأدلة دائماً .

إن اليهود يجحدون رسالات السماء جملة ، ومنها رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم هم يؤمنون برسالة موسى عليه السلام ، فكيف يستقيم هذا المنطق فى الميزان ، وكيف يقبله عقل إنسان ؟

القـــرية

القرية : الضيعة والمصر الجامع لجمع من الناس . وقرية النمل : مجتمع ترابها وهو مأواها . والقرية : المكان تتصل فيهم الأبنية ، ويتخذه الناس مكان إقامة واستقرار ، وقد تطلق كذلك على المدينة .

والقرية خلاف المدينة ، المدينة مجتمع حضارى متكامل ، والقرية : مجتمع صغير يقيم حياته بين المدينة والبادية ، ففيه من البادية قسط ، وفيه من المدينة قسط ، الناس فى مجتمع القرية يعيشون اللونين : لون حياة المدينة ولون حياة البادية ، المدينة مجتمع متحضر ، والقرية مجتمع صغير يشبه المجتمع المتحضر .

ورد لفظ (القرية) فى كتاب الله فى ثلاث وثلاثين موضعاً :

« وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية » — « أو كالذى مر على قرية » — « ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها » — « وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها » — « وكم من قرية أهلكناها » — « وما أرسلنا فى قرية من نبى » — « اسكنوا هذه القرية» « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر » — « واسأل القرية التى كنا فيها » — « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة » — « حتى إذا أتيا أهل قرية » — « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها » — « إنا مهلكوا أهل هذه القرية » — « واضرب لهم مثلا أصحاب القرية » ... إلخ .

ووردت لفظة (قرية) مضافة فى أربع مواضع :

« وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك » — « أخرجوهم من قريتكم » — « أخرجوا آل لوط من قريتكم » — « والذين آمنوا معك من قريتنا » .

كما وردت معرفة باللام فى قوله تعالى :

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين » — « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا » — « تلك القرى نقص عليك من أنبائها » — « ذلك من أنباء القرى نقصه عليك » — « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم » — « وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا » — « ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى » ... إلخ .

وأم القرى : هى مكة المكرمة ، ووردت فى كتاب الله عز وجل فى موضعين :
الأول : فى سورة الأنعام (الآية ٩٢) :
« ولتنذر أم القرى ومن حولها » .
والثانى : فى سورة الشورى (الآية السابعة) :
« وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها » .

وسميت أم القرى لأنها كانت أكبر مجتمع مقدس فى جزيرة العرب ، وحيث هى مكان شعائر الحج للبيت الحرام ، وحيث هى مقر الكعبة ، وحيث هى موطن قريش أكبر قبائل العرب وأعظمها شأناً ، وحيث هى أكبر تجمع تجارى قبل الإسلام .. وفى الإسلام كانت مهبط الوحى ، ومنارة الهدى ، ومركز النبوة ، ومقصد العرب والناس جميعاً .

وهكذا عاش الناس من قديم بين القرية والمدينة والبادية ، وسارت الحياة بالناس أشواطاً بعيدة ، إلى أن انتقلوا إلى المجتمعات الحضرية المتقدمة . والله عز وجل هو الذى يصرف الأمور والحياة بمشيئته الغالبة .

قـــريش

ورد ذكر قريش فى كتاب الله عز وجل فى سورة قصيرة من سور القرآن الكريم سميت باسم (سورة قريش) وفيها يقول الله عز وجل :

« لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هــذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

وقريش سيدة القبائل العربية عامة ، وزعيمة القبائل الحجازية ، والمدافعـة عنها فى كل حرب .

وزعيمها هاشم بن عبد مناف أول من سن رحلتى الشتاء والصيف : رحـلة الشتاء إلى الشام ، ورحلة الصيف إلى اليمن والحبشة . وعقدت قريش المعـاهدات التجارية مع الحبشة وفارس والشام وقيصر ومصر .

وقد حكمت قريش الحجاز بعـد خزاعة ، وكانت فى أيديها أمور الحـرب والسلام جميعاً ، وعقدت الأحلاف ، كحلف الفضول وغيره .

وفى حياة عبد المطلب هاجم مكة أبرهة الحبشى بجيش كبير أهلكه الله عز وجل .. وفى كتاب الله عز وجل سورة سميت باسم سورة الفيل :

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؟ * ألم يجعل كيدهم فى تضليل ؟ * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول» .

ولما قسم قصى مكة خططاً ورباعاً بين بطون قريش ، واتسقت له طاعتهم ، وحاز شرف قريش كلها ، بنى داره فسميت دار الندوة ، وكانت دار المشورة فى أمور الحرب والسلام . وكانت له الحجابة والرفادة والسقاية واللواء والقيادة .

وخلفه ابنه عبد الدار ثم أجمع بنو عبد مناف بن قصى ، وهم عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل ، على أن يأخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار بن قصى ، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم ، وفضلهم فى قومهم ، فتفرقت قريش عنـد ذلك فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيناً ، فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عنـد

الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها ، فتعاهدوا هم وحلفاؤهم (بنو أسد ، وبنو زهرة ، وبنو تيم ، وبنو الحارث) وتعاقد بنو عبد الدار هم وحلفاؤهم (بنو مخزوم وبنو سهم ، وبنو جمح ، وبنو عدى) عند الكعبة حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضاً ، فسموا الأحلاف ، وأجمع كل من الفريقين على الحرب ، ثم تداعوا إلى الصلح والسلام ، على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة ، وبنى عبد الدار الحجابة واللواء والندوة .. فظلوا على ذلك حتى جاء الإسلام :

واستمرت قريش فى الإسلام لها السيادة والمكانة العالية عند العرب جميعاً .

قســـورة

وردت هذه اللفظة فى موضع واحد ، هو قوله تعالى فى كتابه الحكيم ، من سورة المدثر (الآية ٥١) : « كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة » ، وهـــو تنديد بالمشركين ، وبيان لحالهم ، وســوء صنيعهم ، حــين كانوا يستمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكتاب الله عز وجل ، ولدعوة القرآن الكريم لهم ، إلى الإيمــان برسالة السماء ، وشريعة خاتم الأنبياء ، وسيد المرسلين ، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، يتمادون فى الإعراض عن دعوة الحق ، ويسرعون بالانصراف من مجلس الإيمان ، ويفرون من الاستماع لنداء التوحيد ، ويهربون من كلمات رب العزة فى دعوتهم إلى اليقين والإيمان بشريعة نزل بها الوحى الأمين على خير المرسلين ، وسيد النبيين .. فهم فى إعراضهم وضلالهم وانصرافهم عن الحق وهروبهم من سماع كلمة السماء ، وفرارهم من الإنصات لدعوة الحـق والنور والخير : كأنهم حمر (جمع حمار) وحشية ، مستنفرة ، دعاها إلى الهرب من المكان أمر خطير ، وداع كبير ، وشأن شائن ، وخطب نازل ، وهو عدو أسد ضخم قوى الجسم ، عظيم البطش نحوها ، يسعى إلى افتراسها ، ويشحذ أنيابه للفتك بها .. فهى تمعن فى الهرب ، وتسرع فى الفرار ، وتسعى فى طلب النجاة ، وتحاول الإفلات من قبضة هذا العدو الخطير ، والحيوان المفترس .. يقول تعالى فى أمر المشركين فى تعجب كبير : « فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة » ، وكلمة مستنفرة بكسر الفاء بمعنى نافرة ، وبفتحها بمعنى التى استنفرها الفزع ، وأصابها الجزع ، واعتراها الخطب ، ونزلت بهـا الداهية ، فهى تفر من القسورة .

قال ابن عباس : القسورة : الأسد ، والقسورة أيضاً : الرماة أى الصائدون ، وقيل : القسورة الرجال الشداد ، وقيل : أصوات الناس ، وقيل : ظلام أول الليل .. ولكن الذى أرجحه أن القسورة هنا المراد به الأسد الضخم القوى الجبار الذى لا يكاد يغلب :

والصورة هنا من أروع الصور بياناً ، ومن أجملها بلاغة ، ومن أدقها إعجازاً إنها صورة المشركين يعرضون عن كتاب الله حين يتلوه عليهم رسول الله ، ويقومون من مجلسه الكريم منصرفين مسرعين فى القيام والانصراف ، وصورة حمر الوحش ترعى فى الصحراء ، فإذا هى تفاجأ ، ويا لهول المفاجأة ، بأسد قوى ضخم شديد المراس ، يسعى نحوها ليفترسها ، فتحاول الهرب منه ، والفرار من أنيابه ، وتمعن فى الهرب ، وتسرع فى العدو ، وتسعى لطلب النجاة ما وسعتها الطاقة ، وأمكنتها القدرة .

منظر هؤلاء المشركين يقومون عن مجلس رسول الله وهو يتلو عليهم آيات الذكر الحكيم ، داعية لهم إلى الإيمان والتوحيد ، ومنظر الحمر تهرب من الأسد وتمعن فى الهرب .. صورة رائعة ، ليس كمثلها بلاغة ، ولا لفصاحتها نهاية ، وهذا هو القرآن الكريم ، وذلك هو إعجازه وفصاحته ، وإنه لكتاب مبين ، نزل بلسان عربى على خاتم رسل الله ، صلى الله عليه وسلم ، والسلام على من اتبع الهدى .

وبيننا اليوم وفى مجتمعاتنا الإسلامية من يعتنق مذاهب ضالة ، فإذا ما دعى إلى الرشد والحق والصواب والدين وحكم السماء ، وشريعة خير الأنبياء أمعن فى الهرب ، وانصرف مذعوراً .. فهذا حكمه حكم هؤلاء المشركين الذين كانوا فى عصر الرسالة ، وكانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الموقف الوبيل :

والصورة هنا حسية ، صورة الهاربين من مجلس رسول الله ، بالحمر الهاربة من الأسد ، ويحتمل أن تكون الصورة فى المشبه معنوية ، صورة إعراض هؤلاء المشركين عن قبول الحق ونفورهم من الاستماع إليه ، هذه الصورة التى تشبه بصورة الحمر المستنفرة التى تفر من القسورة .

والبلاغة على أية حال فى هذا التصوير ، مما لا يستطيع البيان أن يحيط بجوانبها وبجمال التشبيه فيها وهذا هو القرآن ، وهذا هو إعجازه الذى شهدت به الناس كافة .

القســــوة

وردت هذه اللفظة فى كتاب الله الحكيم فى موضع واحد ، هو قوله تعالى من سورة البقرة (الآية ٧٤) : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة » .

والخطاب لليهود بنى إسرائيل ، والمعنى : ثم ازدادت قلوبكم من بعد أمر البقرة التى أمرهم نبيهم موسى عليه السلام بذبحها ، شبه الله عز وجل قلوبهم فى قساوتها وطغيانها وانعدام المشاعر الإنسانية فيها بالحجارة ، أو بما هو أشد منها قسوة كالحديد .

وورد الفعل (قسا) فى موضع آخر ، وهو قوله تعالى فى سورة الأنعام (الآية ٤٣) : « ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » ، والمعنى : ولكن الكافرين والمشركين قست قلوبهم ، وزين لهم الشيطان كفرهم وشركهم وأعمالهم الفاسدة التى لا يرضى عنها عقل ولا دين ، وما أصدق قول الله عز وجل قبل ذلك : « والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات ، من يشإ الله يضلله ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم » (الآية ٣٩ من سورة الأنعام) .

كما ورد كذلك فى الآية الكريمة (آية ١٦) من سورة الحديد : « فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم » .

والحديث عن أهل الكتاب الذين انحرفوا عن دين الله ، وغيروا وبدلوا فى كتاب السماء ، واستبدلوا شريعة التوحيد بالشرك والوثنية والبهتان والضلال البعيد .

ويصف الله عز وجل قلوب الكافرين بأنها قاسية فى مواضع ثلاثة من كتاب الله الحكيم :

— فى الآية ١٣ من سورة المائدة حديثاً عن اليهود : « وجعلنا قلوبهم قاسية » أى لا تلين لقبول الإيمان .

— وفى الآية ٥٣ من سورة الحج : « والقاسية قلوبهم » حديثاً عن المشركين . الذين يأبون قبول الحق ورسالة السماء والإيمان بخاتم الأنبياء .

— وفى الآية ٢٢ من سورة الزمر ، وهو قوله تعالى : « فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله » ، وهو تهديد ووعيد لهؤلاء الذين سمعوا القرآن وكفروا به وجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

وليس كالقسوة صفة من صفات الجاهلين والجاهليين .. إنها صفة تدل على الوحشية والضلال والطغيان والجهل والإثم الكبير .

ويوصف البدويون الغلاظ القلوب بالقسوة ، لأنهم لم يألفوا الحضارة ، ولا متطلباتها ، ولم يعيشوا مع مقتضياتها ولوازمها .

والقسوة فى معناها الواضح هى اندفاع الإنسان نحو الشر والضلال والفساد بقلب مقفول لا مجال فيه للعواطف الإنسانية ، ولا أثر فيه لتهذيب السماء ، وتعاليم سيد الأنبياء .

والقسوة أضر ما يوصف به إنسان مؤمن متحضر مهذب ، إنها تعنى كل صفات الغلظة والإثم والاندفاع والتهور ..

والدين هو الذى يهذب عواطف الإنسان ، ويوجهه نحو فضائل الدين ، وصفات المؤمنين ، وحينما يضعف وازع الدين فى النفوس نجد القسوة فى أبشع صورها من طغيان واستبداد وجور وظلم وتماد فى الشر ، واندفاع نحو الباطل .. وليس فى قاموس الإنسانية الكريمة النبيلة شىء من ذلك كله .. صفت الإنسانية وتزداد الغلظة والقسوة شراً عندما يستعملها الإنسان فى الكفر والشرك والجحود والضلال ، وعندما تكون القسوة مع الطفل والمرأة والخادم والعامل ، والمريض ، والفقير والمسكين واليتيم ، وكل من هو أقل منك قوة أو جاهاً أو مالا أو شوكة أو صحة .

ومن أجل ذلك ندد الله عز وجل بالقسوة ، وقال عز من قائل : « فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله » ، أى المعرضين عن تعاليم القرآن الكريم كتاب الله الخالد العظيم .

ووصف قلوب اليهود بأنها كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة فهى كمثل الحديد ، لا تلين ، ولا تستمع لأنين المظلومين ، وصوت المعذبين ، واستعطاف المنكوبين .

والقسوة فى كتاب الله عز وجل وصفت بها القلوب ، لأن القلب هو محل العواطف الإنسانية الكريمة ، فإذا انعدمت هذه العواطف من القلب صار الإنسان كالحيوان الأهوج الذى يندفع دون إدراك أو وعى أو تبصر نحو الشر ، ويسعى إليه ، ويقع فيه .

وما أقسى هؤلاء الذين نراهم بيننا اليوم يضربون طفلا صغيراً ضرباً مبرحاً ، أو يقتلونه بباعث من الشر والكفر والوحشية ، أو يعتدون على مريض ، أو يقسون على امرأة ، أو يضربون أجيراً ، أو يعتدون على مسكين .

إن القسوة ضد الحضارة والمدنية والإنسانية ، ومن عجب أن ندأمم أنها هى تحمل راية الإنسانية وعلمها الخفاق ، ثم هى تستعمر شعباً وتستعبده وتنهب خيرات أرضه وبلاده ، أو تعامل الشعب بمنطق التفرقة العنصرية ، أو تحرمه حقه فى الحرية والكرامة ، وتندفع نحو اعتقال الأبرياء ، واضطهاد الشرفاء ، وقتل المطالبين بالحق والعدل وشرف الحياة ، وتعذيب المسجونين فى ظلال السجون .

أيها الإنسان ما أظلمك ، أيها الإنسان ما أقساك ، فليس فى قاموس اللغة أسوأ من وصف الإنسان بالقسوة ، لأن هذه الكلمة تعنى كفر الإنسان برسالات السماء وكفره بفضائل الإنسانية ، وكفره بكل المشاعر الإنسانية الكريمة التى أوجبها العقل وحتمها نداء المدنية والحضارة .

وسلام على من اتبع الهدى .

القصص

القصص — بفتح القاف والصاد — بمعنى : الخبر أو الحكاية أو القصة أو النبأ.
وورد هذا اللفظ فى كتاب الله فى عدة مواضع بلفظه :

— « إن هذا لهو القصص الحق » (٦٢ آل عمران) .
— « فاقصص القصص » (١٧٦ الأعراف) .
— « نحن نقص عليك أحسن القصص » (٣ يوسف) .
— « فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف » (٢٥ القصص) .

ووردت مشتقات هذا اللفظ فى مواضع كثيرة أخرى :
(قص — قصصنا — نقصص — نقص ويقص — اقصص) .

والقصة جنس أدبى كبير وعظيم الأهمية من بين أجناس الأدب ، ولعظمته سميت سورة من سور القرآن الحكيم (سورة القصص) ، وهى سورة قص فيها الكتاب الحكيم قصة موسى وشعيب وأشار إلى مدين مدينة شعيب . كما قص فيها قصة قارون :

والقصة حكاية تعتمد على السرد والوصف والحوار ، أو هى عرض لفكرة مرت بالنفس ، أو تسجيل لصورة تأثرت بها ، أو بسط لعاطفة ، والتعبير عنها بالبيان للوصول بها إلى أذهان السامعين والقارئين فى محاولة لبلوغ التأثير بها مرحلة عالية .

والحكاية تمثل العمود الفقرى فى هذا النوع من العمل الأدبى ، وهى التى تجعل القارئ يتشوق إلى معرفة الأحداث ، وإذا افتقدت القصة عنصر التشويق أصبحت رواية بلا روح ، تبعث الملل فى النفس ؛ والحكاية فى الرواية تمثل القلب ونبضاته بالنسبة للإنسان .

وفى تعريف آخر للقصة أنها حكاية تتسلسل أحداثها فى حلقات ، وهذا التسلسل يتضمن تطور الأحداث .

وكلمة القصة فى اللغة العربية مشتقة من قص الأثر ، أى تتبعه واقتفاؤه ، وما أصدق هذا التفسير فى انطباقه على خصائص القصص الفنى وعناصره .

والقصة لازمت الإنسان فى جميع العصور وقد ظهرت القصة فى اللغة العربية فى تاريخ بعيد لا يعرف مداه ، كما ظهرت فى الأدب الإغريقى فى القرن الثانى والثالث بعد الميلاد ، حيث ظهرت فى أشعار الرعاة وفى حكايات الرحالة عن الإسكندر الأكبر ، فكان الأدب القصصى آخر الأجناس الأدبية ظهوراً ، وفى الأدب المصرى القديم ظهرت القصة مكتملة العناصر ، كما قامت فى الأدب الرومانى منذ أواخر القرن الثانى بعد الميلاد ، ومن أجمل القصص فى اللغة العربية : قصص ألف ليلة وليلة ، وقصة عنترة ، وأبى زيد الهلالى .

وفى العصر الحديث ظهرت القصة الاجتماعية والتاريخية ، وفى الأدب العربى تطورت القصة تطوراً كبيراً وانتقلت من القصة القصيرة التى تمثلها قصص المقامات إلى القصص الطويلة ، وتنوع الفن القصصى إلى أنواع عدة كالأقصوصة والقصة والرواية التى يعالج فيها المؤلف موضوعاً كاملا زاخراً بحياة تامة واحـدة ، فلا يفرغ القارئ منها إلا وقد ألم بحياة البطل أو الأبطال كاملة ، بينما تروى القصة جزئية من الحياة .

وقد احتوى القرآن الكريم على قصص كثير : كقصص الأنبياء ، ومنها سور سميت بأسمائهم : كسورة يوسف ، وسورة يونس ، وهود ، وإبراهيم ، وسورة طه ، وسورة محمد ، ونوح ، وكقصص غير الأنبياء مثل قصة أصحاب الكهف وسميت سورة الكهف بالكهف الذى رقدوا فيه ثلاثمائة وتسع سنين ، وكقصة لقمان ، ومريم ، وسبأ ، والروم إلى غير ذلك .

وما أكثر ما أفاض كتاب الله فى ذكر قصة عاد وثمود وإبراهيم وموسى ، وعيسى إلى غير ذلك .

والقصة القرآنية أعظم وثائق التاريخ الإنسانى صدقاً وحقاً وتأثيراً وبلاغة .
وما أصدق قول الله عز وجل : « إن هذا لهو القصص الحق » صدق الله العظيم .

القلم

القلم الذى نكتب به ، والذى سجلت به كتب السماء ، وسجل به إبداعات العقل الإنسانى على مختلف العصور ، وسجلت به الشرائع والقوانين والمذاهب والدعوات والرسالات ، وسجلت به روائع الآثار والأفكار والحكم والوصايا ، وسجلت به حقوق الناس على الناس من أموال وتجارات وبيوع ورهون وهبات وقروض وشركات ، وسوى ذلك ، وعظمة القلم معروفة غير منكورة ، ولذلك أقسم به الله عز وجل فى كتابه الحكيم ، فقال عز وجل : « ن ، والقلم وما يسطرون »، وليس وراء ذلك شرف أو زيادة لمستزيد ، بل لقد سميت سورة قرآنية كريمة باسم سورة القلم ، وليس بعد ذلك بيان لعظمة القلم وجلال أثره على الإنسان وعلى الإنسانية .

وقد ورد لفظ القلم فى كتاب الله عز وجل مفرداً مرتين ، وجمعاً مرتين :

١ — « ن ، والقلم وما يسطرون » (الآية الأولى من سورة القلم) .

و (ن) هى أحد حروف الهجاء ، بدأ بها الله عز وجل السورة تقريراً لإعجاز القرآن الكريم ، وأنه مركب من حروف الهجاء المعروفة التى يتركب منها كلام البشر ، ولكنه فاق كلام البشر فى إعجازه وإيجازه ، وفى بلاغته وفصاحته ؛ وفى روعة تأثيره ، وعظمة تعبيره ، وجلال تصويره ، وفى دقة سبكه ، وجمال حوكه ؛ وفى حسن رصفه ، وسحر وصفه ، وفى سمو قصصه ، وعلو بيانه .. وتبارك الله رب العالمين .

٢ — « اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم » (٤ سورة العلق) .

٣ — « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام » (٢٧ سورة لقمان) .

٤ — « وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم » .
(٤٤ سورة آل عمران)

والخاطب هنا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعنى : أن ذلك كله إنما تعلمه يا محمد بإخبار من السماء ، فلم تشاهد أنت ولا قومك ذلك ، ولم تكن

مع قوم مريم وهم يتحدثون عن أيهم تكون مريم فى كفالته ، ولكن الله هو العليم بكل شىء ، وهـو الذى يخبرك بمـا لم تعلم ، وجل وعـلا من إله عظيم عليم ، وسبحانه وتعالى مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام .

ولولا القلم لمـا بلغت الإنسانية ما بلغت فى العلوم والفنون والآداب والفلسفات والتشريعات .

إن القلم هو سر النهضات البشرية فى الدنيا ، وهو سر كل تقدم وإصلاح فى العالم ، وهو الذى يقود مواكب العلماء إلى ما فيه خير الناس عامة ؛ الحضارات قامت عليه ، والرسالات كان هو المسجل لهـا ، والداعى إليها ، والموجه للبشر ليؤمنوا بها .

القلم سر من أسرار الله ، وإبداع من إبداعات السماء ؛ وكما علم الله عز وجل نوحاً أن يصنع السفينة ، علـم الإنسان من قديم أن يستعمل القـلم ، وأن يكتب به ما شاء من حكمة ودين وفكر ورأى ووصية ونصيحة ومناجاة ودعاء وابتهـال وتضرع لله رب العالمين :

القيـــوم

وردت هذه الكلمة فى كتاب الله عز وجل فى ثلاثة مواضع :

الأول : فى سورة البقرة (الآية ٢٥٥) وهى آية الكرسى ، حيث يقول الله عز وجل فى كتابه الحكيم :

« الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤوده حفظهما ، وهو العلى العظيم » .

وهى من أعظم آيات القرآن الكريم وأجلها ، وأكبرها تعظيماً لذات الله جل جلاله ، وتنزيهاً له ، وإكباراً لمقام الخالق الأعظم ، ومعنى الآية : الله لا إله فى الكون ولا معبود بحق فى الوجود سواه ، الحى الدائم البقاء ، القيوم البالغ فى القيام بتدبير خلقه حداً لا يتصوره عقل ، ولا يحده حد ، المنزه عن الآفات والأعراض البشرية من الفتور والنوم والسنة ، والفرق بين السنة والنوم أن السنة هى ابتداء النوم ، لا النوم نفسه ، ويقول الشاعر العربى :

* فى عينه سنة وليس بنائم *

وهو الذى يأذن لمن شاء بالشفاعة عنده ، وأجل مقام الشفاعة هو الشفاعة العظمى يوم القيامة ، وهو العليم بكل أمور الدنيا والآخرة والخلق ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم من أمور الحياة والممات والأولى والآخرة ، ولا يحيط أحد من خلقه بشىء من علم الله عز وجل إلا بما شاء ، بوحى أو كتاب منزل ، القادر المالك للسموات والأرض وما فيهما الذى تحيط قدرته وتبلغ هيمنته ، كل الكون وما فيه ، وما يحيط به ، لا يعييه تصريف شئون هذا الملك العظيم ، ولا يعجزه القيام بأموره وحفظه وتدبيره ، والقوامة عليه ، وهو العلى فوق خلقه وفوق الكون كله بالجلال والقوة والقدرة والجبروت والسلطان ، العظيم الكبير الذى لا يبلغ أحد ولا شىء حدود عظمته وكبريائه ومجده السامى الرفيع .

وهذه الآية تصف الله جل جلاله بأنه مالك هذا الكون العظيم ، والقائم على تدبيره ، وبكل شئونه ، وأن علمه وقدرته محيطان به وبكل ما فيه ومن فيه ، ولا يعجزه شيء ، ولا يعتريه فتور ، ولا يدركه نعاس أو نوم ، ولا يفتر لحظة عن القيام بأمر هذا الملك العظيم ، والكون الكبير فالملك العظيم ، والقيام العظيم بشئون هذا الملك ، هما من أخص صفات المولى الجليل ، والخالق الكبير ، ولذلك جاءت كلمة القيوم فى هذه الآية تفسر سر كل مضمون هذه الآية العظيمة ، فالملك العظيم لا يقوم بشأنه قياماً عظيماً إلا ملك عظيم مهيمن قيوم .

فالقيوم صفة لله عز وجل ، وهى صفة مختصة به عز وجل ، لأنها تعنى هذا القيام العظيم بشئون هذا الملك العظيم دون إعياء أو عجز أو فتور .

والموضع الثانى : هو مطلع سورة آل عمران ، حيث يقول الله عز وجل :

« الم * الله لا إله إلا هو الحى القيوم » وفى الكلمة ما فيها ، من جلال وصف الله عز وجل بالقيام العظيم الكامل بشئون الكون والحياة والناس فى الدنيا والآخرة ولا يكون ذلك إلا من إله خالق عظيم ، لا إله سواه ، ولا رب غيره ، موصوف بأعلى صفات الكمال ، من الحياة والقدرة والعلم والسلطان ، فهو المدبر لشئون هذا الكون العظيم وما فيه ومن فيه تدبيراً لا يلحقه نقصان ، ولا يعتريه فتور أو عجز أو إعياء .. جل جلال الله مالك الملك ذو الجلال والإكرام .

والموضع الثالث : هو (الآية ١١١) من سورة طه حيث يقول الله عز وجل :

« وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً » ، أى خضع الخلق لله جل جلاله ، وعز شأنه ، يوم القيامة يوم يحاسب الناس على أعمالهم ، فربح الصالحون ، وخسر الظالمون والمشركون ، ونال كل إنسان جزاء عمله فى الدنيا ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ويعفو عمن يشاء ، ويرحم من يشاء ، لا معقب لحكمه ، وهو القادر على كل شىء ، وهو القوى العزيز .

ثلاثة مواضع فى القرآن الكريم ، وردت فيها هذه اللفظة القرآنية الكريمة ، التى جاءت اسماً لله عز وجل ، وصفة من صفاته ، والتى انفرد بها القرآن الكريم ، فلم تأت فى أدب أديب ، ولا فى بلاغة خطيب ، ولا فى شعر شاعر ، قبل كتاب الله الحكيم .. ولا تطلق إلا على الله عز شأنه ، وجلت قدرته .

الكعبة المعظمة

الكعبة هي بيت الله ، البيت الحرام ، البيت الذي بناه إبراهيم وإسماعيل ، وفي كتب التاريخ أن أول من بناه آدم عليه السلام ، بل تجازف كتب أخرى ، فتقول : إنه من بناء الملائكة ، فهم الذين قاموا أول الأمر ببنائه .

والكعبة الحرام تقف في وسط المسجد الحرام شامخة ، مرفوعة البناء ، عالية اللواء ، شعاراً لدعوة التوحيد في الأرض ، وهي رسالة الأنبياء عامة ؛ يطوف بها الطائفون ، ويهرول حولها الحجاج والمعتمرون .. إنها جزء أصيل من مشاهد الإسلام ، وتراث نبيل من تراث الإنسانية ، ويلمع في ركن من أركانها الحجر الأسود ، الحجر المبارك ، الحجر الأسعد ، والطائفون بالبيت الحرام ، يقفون أمامه داعين مهللين مكبرين ، يقبلونه تبركاً ، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقبله ويقول : اللهم إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

وقد انتزع القرامطة الحجر الأسود من مكانه عام ٣١٧ هـ في خلافة المقتدر بالله العباسي ، وحملوه إلى عاصمتهم (هجر) ، حيث ظل هناك نحواً من عشرين عاماً ، ثم عادوا به إلى مكانه من الكعبة المعظمة .

وقد ورد لفظ الكعبة في كتاب الله عز وجل في موضعين :

الأول : في الآية السابعة والتسعين من سورة المائدة : « ... جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » . أي يقوم بها أمر دينهم ودنياهم ، فأمر الدين بالحج إليه والعمرة عنده ، وأمر الدنيا بالرزق والتجارة والمال عنده .

الثاني : الآية الخامسة والتسعون من سورة المائدة أيضاً :

« ... يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة » ، أي يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ، وهذا جزاء من قتل الصيد وهو محرم بحج أو بعمرة أي يسوق مثل ما قتل من الصيد ليقدمه هدياً يذبح في الحرم ، فإن لم يكن له مثل فعليه قيمته يتصدق بها في الحرم على الفقراء والمساكين ، ومعنى الآية عند مالك والشافعية أن من قتل صيداً وهو محرم فعليه في الفدية ، ما يشبه ذلك الصيد في الخلقة والمنظر ، ففي النعامة بدنة ، وفي حمار الوحش بقرة ، وفي الغزالة شاة ،

فإن لم يكن له مثل أطعم مساكين أو صام ، ومذهب أبي حنيفة أن المثل القيمة يقوَّم الصيد المقتول ويخير القاتل بين أن يتصدق بالقيمة أو يشترى بالقيمة من النعم ما يهديه . وقوله تعالى : « بالغ الكعبة » لم يرد الكعبة بعينها، وإنما أراد الحرم .

عدّد الله عز وجل ما يجب فى قتل المحرم للصيد ، فذكر أولا الجزاء من النعم ، ثم الطعام ، ثم الصيام ، ومذهب مالك والجمهور أن ذلك على التخيير ، وهو الذى يقتضيه العطف بأو ، ومذهب ابن عباس أنها على الترتيب .

والمستفاد من الآية أنه لا يجوز للمحرم أن يقتل صيداً فى الحرم ، فإن فعل فعليه الجزاء أو الفدية بإطعام مساكين أو الصيام . والله عز وجل أعلم .

وبعد : فإن الكعبة لها من التعظيم والتوقير فى نفس كل مسلم وكل حاج أو معتمر ما يرتفع إلى مكانتها من حيث هى بيت الله العظيم ، ومنارة التوحيد ورمز العبودية لله الكريم رب الأرض والسماء .

ولما أقامت قريش حول الكعبة أصنامها جاء الإسلام فهدم — رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة — هذه الأصنام وأشار بقضيب فى يده ، وهو يقول : « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » (الإسراء — الآية ٨١) ، وفى حديث ابن مسعود ، فجعل رسول الله يطعن هذه الأصنام ، ويقول : جاء الحق ، وما يبدئ الباطل وما يعيد (الشفاء للقاضى عياض ، ص ٢٠٣) .

وصار الدين لله ، وأعلن الإسلام انتهاء الشرك والوثنية وعبادة الأصنام ؛ ودعا منذ نزول القرآن إلى أن يكون الدين والعبادة لله رب العالمين .

وفى بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة يقول الله عز وجل : « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا ، إنك أنت السميع العليم » ، ودعا إبراهيم عليه السلام ربه بأن يجعل مكة كلها بلداً آمناً سبب وجود الكعبة فيها ؛ وحرماً آمنا ، ودار سلام عام بفضلها وبوجودها .

« وإذ قال إبراهيم : رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات » (البقرة ، الآية ١٢٦) .

ويقول عز وجل : « أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شىء رزقاً من لدنا » (القصص ، الآية ٥٧) .

جعلها الله عزاً ومجداً للإسلام والمسلمين .

الكنـــز

الكنز فى اللغة : المال المدفون ، وقد كنز المال ، وفى الحديث : (كل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز) ، وهذا المعنى للكنز معنى مجازى .

وقد ورد لفظ الكنز فى كتاب الله فى عدة مواضع :

— « وكان تحته كنز لهما » (٨٢ من سورة الكهف) .

— « لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك » (١٢ من سورة هود) :

وهنا يكون معنى الكنز : المال فقط لا بقيد أنه مال مدفون :

— « أو يلقى إليه كنز » (٨ من سورة الفرقان) .

— « ويستخرجا كنزهما » (٨٢ من سورة الكهف) .

كما ورد لفظ « كنوز » ، جمع كنز ، فى قوله تعالى : « وكنوز ومقام كريم» (٥٨ من سورة الشعراء) ، وفى قوله تعالى : « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » (٧٦ من سورة القصص) .

كما ورد لفظ « كنز » فعلا فى موضع واحد ، هو قوله تعالى : « هذا ما كنزتم لأنفسكم » (٣٥ من سورة التوبة) .

وجاء لفظ « تكنزون » فى موضع واحد أيضاً :

هو قوله تعالى : « فذوقوا ما كنتم تكنزون » (٣٥ من سورة التوبة) .

وجاء لفظ « يكنزون » فى موضع واحد كذلك ، وهو قوله تعالى: « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » (٣٤ من سورة التوبة) .

ويكثر لفظ « الكنز » وجمعه « كنوز » فى اللغة المستعملة : كنوز الدنيا كلها لا تمنح الإنسان السعادة ، إنما الإيمان وحده هو الذى يمنحه هذه السعادة ويقول شاعر فى الأم :

كنت عندى الكوثر العذب وحو	رية الجنة ، والغيد العذابا
كنت لى الكنز وأغلى ، ولكم	أنت ذللت المنى لى والصعابا

كنت عندى الدر والجوهر والـ ... نعيش محموداً جميلا مستطابا
كنت لى النور يضىء الأفق والليـ ... ـل ساج ، والدجى عم الشعابا
كنت لى الكهف الذى لذت به ... وأنا أطوى الفيافى والهضابا
كنت لى المرفأ يرسو زورقى ... فوقه يأمن فى البحر العبابا

وتعطى كلمة « الكنز » معنى المال الذى يحظى به إنسان دون ماجد أو كد ؛ وما يجده رجال الآثار فى تنقيبهم عن الآثار من ذهب هو كنز كذلك ، مثل كنوز (توت عنخ آمون) .

وقد يطلق الكنز على الشىء النفيس على سبيل التشبيه ، ما دام يضن به الإنسان ويحرص عليه ، ويعمل على الاحتفاظ به .

وفى المثل : المرأة الصالحة كنز من كنوز الدنيا .

ولا ريب أن الكنز يعطى فى مفهومه معنى الفرح به والحرص عليه ، والضن به ، ولذلك جاء قوله تعالى : « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » . والحديث هو عن (قارون) الذى كان شديد البخل بماله حريصاً عليه ، متفنناً فى وضعه فى سراديب الأرض خوفاً من اللصوص والناهبين وغيرهم .

ولكن أغلى كنوز الأرض هو الإيمان واليقين ، وهو العمل الصالح ، وهو حب عمل الخير ، وبذل المعروف ، وهو الأعمال الصالحات ، التى تنجى الإنسان فى الدنيا والآخرة من عذاب شديد .

الكواكب

وردت هذه اللفظة القرآنية فى القرآن الكريم ، فى كتاب الله الخالد العظيم ، فى خمسة مواضع :

الأول : فى الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور ، وهى : « كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة » شبهت الزجاجة — أى زجاجة المصباح أو المصباح نفسه ، بالكوكب الدرى — نسبة إلى الدر ، وهو أصفى الجواهر وأنقاها وأكثرها بياضاً وإشراقاً ولمعاناً — فى الضوء والإنارة واللمعان ، فالمراد بالكوكب الدرى إذن الكوكب المنسوب إلى الدر لبياضه وصفائه ؛ وهذه الزجاجة أو المصباح توقد من شجرة مباركة زيتونة ، أى تضاء بزيت الزيتون ، فهى شديدة الإشراق واللمعان ، وقيل : إن الكوكب الدرى هو أحد الدرارى المضيئة كالمشترى والزهرة .

والثانى : فى الآية السادسة من سورة الصافات ، وهى قوله تعالى : « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » ، أى إنا جعلنا الكواكب زينة للسماء .

والثالث : فى الآية الثانية من سورة الانفطار ، وهى قوله عز وجل : « وإذا الكواكب انتثرت » ، أى انفرط نظامها وتفرقت ، وذلك يوم القيامة ، هذا اليوم العظيم ، يوم الحساب ، الذى لا يكاد يتصوره إنسان ، أو يدرك عظمته عقل أو وجدان .

والرابع : فى (الآية ٧٦) من سورة الأنعام، وهى قول الله عز وجل : « فلما جن عليه الليل رأى كوكباً » .

والخامس : فى الآية الرابعة من سورة يوسف ، وفيها :
« إنى رأيت أحد عشر كوكباً » .

والكوكب كالقمر ، جرم كبير ، والنجم جرم صغير مضىء .. وما أكثر كواكب السماء ونجومها ، فهى تتقارب حتى تكون مجموعات كثيرة وكبيرة ، وتتباعد حيناً حتى يصير البعد بيننا وبينها شاسعاً ، ويصل ضوؤها إلينا فى زمن

طويل .. ومن المجموعات المعروفة مجموعة الثريا ، التى تتكون من نحو ثلاثمائة نجم .. ويكثر عدد بعض المجموعات ، فتستحيل إلى مجرات ، وهى من البعد فى السماء بمكان عظيم .

ومجرتنا الشمسية بها مائة ألف مليون نجم ، مما يدل على عظمة هذا الكون الكبير ، وعظمة مدبره الإله المهيمن القادر على كل شيء .

وليس هناك ما يحير عقول العلماء أكثر من الكون وسعته ونظامه ، وكثرة كواكبه ونجومه ومجراته ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

إن هذا الإعجاز الإبداعى فى خلق الله ، وكونه الكبير ، ليقابله إعجاز بلاغى فى أسلوب القرآن الكريم ؛ هذه البلاغة القرآنية أكبر من أى وصف ، وأعظم من أى بيان .

والإعجاز الإلهى فى مضمون هذا الخلق العظيم ، والكون الكبير ، يدل على أن الذى خلقه ودبره وسخره وصوره ، هو خالق أعظم ، لا إله غيره ، ولا معبود سواه ، ولا رب إلا هو ، ولا عبودية إلا له وحده ، سبحانه وتعالى رب السماوات ورب العرش العظيم .

وتعالى الله الملك الحق المبين ، والسلام على من اتبع الهدى .

الكوثـــر

ورد هذا اللفظ القرآني الكريم ، في كتاب الله الحكيم ، في موضع واحد من سورة الكوثر ، وبهذا اللفظ سميت السـورة كلها ، سورة الكوثر ، ومن سنن القرآن الكريم أن تسمى سوره باسم أغرب شيء في السورة ومن أجل ذلك نرى سورة البقرة ، وآل عمران ، والمائدة ، والقصص ، ولقمان ، والنمـل ، والإسراء والرعد ، والنحل ، والكهف ، والكوثر ، وغير ذلك .

والكوثر : ذهب المفسرون في تفسيره إلى معان عدة :

قيل : هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ، يشرب منه فلا يظمأ أبداً .

وقيل : إنه هو الخير الكثير الذي أعطاه الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة ، قال بهذا ابن عباس ، وتبعه سعيد بن جبير ؛ فإن قيل : إن النهر الذي في الجنة هو من الخير الذي أعطاه الله لنبيه صلوات الله وسلامه عليه ، فيكفي ذكر هذا المعنى الثاني عن المعنى الأول .. فالجواب أنه من ذكر العام بعد الخاص ، تعظيماً لشأن الخاص ، وتنويهاً بالعام .

وقيل : إن الكوثر هو القرآن الكريم ، لعظمة هديه ، وكثرة ما يقدم للإنسان وللإنسانية من خير رفيع ، ومثل عالية ، وقيم سامية ، وهدى كريم .

وقيل : إن الكوثر هو كثرة الأصحاب والأتباع ، ولا ريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تتبعه أمته من يوم بعث بالرسالة إلى يوم الدين وإلى آخر الحياة الدنيـا .

وقيل : الكوثر المراد به التوحيد ، والتوحيد هو مجمع كل خير في الدنيـا والآخرة ، وهو حبل النجاة ، وطوق الفوز ، والعاصم من الهلاك .

وقيل : الكوثر هو الشفاعة العظمى يوم القيامة ، وهي لرسول الله صـلى الله عليه وسلم خاصة ، ولا يتطاول إلى نيل شرفها نبي أو رسول ، إلا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ورد أن الناس يصيرون يوم القيامة جماعات كثيرة . كل أمة

تتبع نبيها ، يقولون : يا نبي الله ، اشفع لنا ، حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى الأعظم ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خيرت بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ، لأنها أعم ، أترونها للمتقين ؟ ولكنها للمذنبين الخطائين ، ويروى أن الله عز وجل يجمع الناس فى صعيد واحد ، حيث يسمعهم الداعى ، وينفذهم البصر ، حفاة عراة كما خلقوا ، سكوتاً لا تكلم نفس إلا بإذنه ، فينادى محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول : (لبيك وسعديك ، والخير فى يديك ، والشر ليس إليك ، والمهتدى من هديت ، وعبدك بين يديك ، ولك وإليك ، ولا ملجأ ولا منجاة منك إلا إليك ، تباركت وتعاليت ، سبحانك رب البيت) ؛ فذلك المقام المحمود الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم : « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » ؛ وقال ابن عباس : إذا دخل أهل النار النار ، وأهل الجنة الجنة ، فيبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار ، فتقول زمرة النار لزمرة الجنة : ما نفعكم إيمانكم فيدعون ربهم ، ويضجون فيسمعهم أهل الجنة ، فيسألون آدم وغيره بعده فى الشفاعة لهم ، فكل يعتذر ، حتى يأتوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، فيشفع لهم ، فذلك المقام المحمود .

وعن أبى هريرة : يبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون لا يحتملون ، فيقولون : ألا تنظرون من يشفع لكم ، فيأتون آدم فيقولون : اشفع لنا عند ربك ، حتى يريحنا من مكاننا ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وقد نهانى عن الشجرة ، فعصيت ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحاً فيقولون : ألا تشفع لنا إلى ربك ، فيقول : إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، نفسى نفسى ، ويذكر خطيئته ، سؤاله ربه بغير علم ، وفى رواية : قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى إبراهيم ، فإنه خليل الله ، فيأتون إبراهيم ، فيقولون : أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، فيقول : نفسى نفسى ، ويذكر ثلاث كلمات كذبهن ، ويقول : لست لها ، ولكن عليكم بموسى ، فإنه كليم الله ، فيأتون موسى ، فيقول : لست لها ، ويذكر خطيئته وقتله النفس ، نفسى نفسى ، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى ، فيقول : لست لها

ولكن عليكم بمحمد ، عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتون رسول الله ، فيقول : أنا لها ، فأنطلق ، وأستأذن على ربى ، فيؤذن لى ، فإذا رأيتـه وقعت ساجداً ، فيفتح الله علىّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأقول : يارب أمتى ، يارب أمتى ، فيقول الله عز وجل : وعزتى وكبريائى ، وعظمتى لأخرجن من النار من قال : لا إله إلا الله . وعن ابن عباس عن رسول الله : فأقول : يارب عجل حسابهم ، فيدعى بهم فيحاسبون ، فمنهم من يدخـل الجنة برحمته ، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى . ويروى أن الشفاعة أولا لإراحة الناس من الموقف ، فيوضع الصراط ويحاسب الناس ، وثانياً فى تعجيل دخول من لا حساب عليه من أمتـه إلى الجنة ، وثالثاً فيمن وجب عليـه العذاب ودخل النار منهم .

وهناك فى الكوثر رأى أخير ، وهو أنه نور وضـعه الله عز وجـل فى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولا شك أن الله عز وجـل أعطى رسـوله الكريم كل هذه الأشياء والنعم ، والصحيح أن المراد بالكوثر الحوض أو النهر الذى يشرب منه ، لما ورد فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أتدرون ما الكوثر ؟ هو نهر أعطانيه الله عز وجل ، وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء) .

وقد نزلت هذه السورة فى العاص بن وائل ، وقيل : فى أبى جهل ، على وجه الرد عليه ، إذ قال : إن محمداً أبتر ، وذلك قبل مولد ابنه إبراهيم ، أى لا ولد له ذكراً ، فإذا مات استرحنا منه ، وانقطع أمره بموته ، فأخبر الله عز وجل أن هذا الكافر هو الأبتر ، وإن كان له أولاد ، لأنه مبتور من رحمة الله ، أى مقطوع منها ، ولانه لا يذكر إذا ذكر إلا باللعنة ، بخلاف رسول الله ، فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر ، مرفوع على المنابر والمآذن ، مقرون بذكر الله تعالى ، والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه ، فهو كالأب لهم .

وما أصدق قول الله عز وجل : « إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر » .

اللات

اللات وردت فى كتاب الله العزيز فى موضع واحد ، هو (الآية ١٩) من سورة النجم : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » .

واللات صنم من أصنام العرب فى الجاهلية . واللات : أى الإلهة الأنثى ، وهو اسم إلهة تمثل فصل الصيف عند البابليين (اللاتو) ، وكانت أيضاً من آلهة تدمر والنبط ، وكان النبط يعتبرونها إلهة الشمس ، ونسب العرب إليها فصل الصيف ؛ وقد أدخلها عمرو بن لحى على العرب ، آخذاً لها من النبطيين ، وهى صخرة مربعة بيضاء ، ويؤثر عن العرب أن اللات كانت لها منزلة كبيرة عند جماهيرهم . وحين غلبت خزاعة على البيت ونفت عنه (جرهم) ، جعلت العرب عمرو بن لحى الخزاعى رباً ، لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شريعة ، وكان اللات اسم رجل من ثقيف ، يلتُّ لهم السويق للحاج ، على صخرة ، تسمى (صخرة اللات) فلما مات اللات زعم لهم عمرو بن لحى أنه لم يمت ، وإنما دخل فى الصخرة ، وأمرهم بعبادتها ، وأن يبنوا عليها بنياناً سموه اللات .

وكانت ثقيف تعبد اللات ، كما كانت قريش تعبد العزى . وروى أن اللات كانت بيتاً لثقيف بالطائف على صخرة ، وكانوا يسيرون إلى ذلك البيت ، ويضاهئون به الكعبة ، ويكسونه كسوة وعليه حجبة كالكعبة ، وجعلوا واديه حرماً آمناً ، ومن سدنة اللات بنو عتاب بن مالك كما روى ابن الكلبى ، وروى أن قريشاً وسائر العرب كانت تعظمها .

ولم تزل ثقيف تعبد اللات حتى دخلت فى الإسلام ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المغيرة بن شعبة إليها ، فهدمها ، وحرقها بالنار ، واستولى على أموالها وحليها .

وكان الأنباط يعدون اللات أماً للآلهة ، والعرب تقول عن اللات والعزى ، ومناة : إنهن بنات الله — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً — وإنهن يشفعن إليه .

وما أعظم الإسلام ديناً للتوحيد وعبادة الله الواحد الأحد وحده لا شريك له وما أجله ديناً حارب الشرك والمشركين ، والوثنية والوثنيين .. وأبطل الأساطير والأوهام والخرافات ، ونهى عن تقليد الآباء والأجداد تقليداً أعمى ، ودعا إلى العقل والتفكير والتذكر والإيمان بالمنطق والحجة والبرهان ؛ وكل وسائل المعرفة وأدواتها ترشد إلى الله رباً ، وإلى الخالق الأعظم إلهاً ، وإلى فاطر السموات والأرض معبوداً .

تعالى الله عز وجل عما يقول الكافرون والمشركون علواً كبيراً .

اللطيف

وردت هذه الكلمة القرآنية فى سبعة مواضع فى كتاب الله العزيز :

الأول : فى سورة الأنعام (الآية ١٠٣) : « وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » ، ومعناها النافذ إلى أعماق الأمور ، الكاشف لخباياها ، المحيط بأسرارها .

الثانى : فى سورة يوسف (الآية ١٠٠) : « إن ربى لطيف لما يشاء ، إنه هو العليم الحكيم » .

الثالث : فى سورة الحج (الآية ٦٣) : « فتصبح الأرض مخضرة ، إن الله لطيف خبير » .

الرابع : فى سورة لقمان (الآية ١٦) : « إنهـا إن تك مثقال ذرة فتكن فى صخرة أو فى السموات ، أو فى الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير » .

الخامس : فى سورة الشورى (الآية ١٩) : « إن الله لطيف بعباده ، يرزق من يشاء ، وهو القوى العزيز » .. ومعنى الكلمة هنا الرحمة والعطف والرعاية ، والحماية والحنان .

السادس : فى سورة الملك (الآية ١٤) :

« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

السابع : فى سورة الأحزاب (الآية ٣٤) :

« إن الله كان لطيفاً خبيراً » .

ومن معانى اللطف دقة الشىء حتى لا يرى ، كما أن من معانيـه كما سبق الرحمة والشفقة ، والنفاذ إلى أعماق الأشياء ، وكما أن من معانيه : سمو النفس وسمو الذوق ، ورفعة الشخصية .. وقد تكون هذه المعانى أو بعضها مما يفهم بالإيحاء أو بالرمز من الأسلوب .

واللطيف من أسماء الله تعالى الحسنى ، ونحن دائماً نسأل الله عز وجل اللطف فى القضاء ، والرحمة فى البلاء ، والعون فى الضراء ، والسداد فى النعماء .. ونسأله

أن يلطف بنا فى قضائه ، وهو ولىّ العباد وخالقهم ورازقهم ؛ وهو نعم المولى ونعم النصير ؛ وهو الرحيم لعباده ، والشفوق بهم ، والملاذ لهم ؛ وهو الكاشف لكل كرب ، والقادر على أن يبدل الضر خيراً والعسر يسراً : « إن مع العسر يسراً » ، وما أشقى الإنسان لولا لطف الله ورحمته ، وملأ نفسه لولا عونه وبره وشفقته ، وما أبأسه لولا فرجه ورعايته .

إن الله عز وجل لا ينسى عباده الصالحين ، ولا يترك خلقه الطائعين المؤمنين ، بل يشملهم دائماً وأبداً بحنانه وعطفه ، وعفوه ولطفه .. ومن ذا الذى يتصور أن رحمة الله لا تسع الخلق جميعاً ، أليس هو القائل : « ورحمتى وسعت كل شىء » (١٥٦ الأعراف) .

وما أكثر ذكر عبد الله أيوب لرحمة الله : « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين » (٨٣ الأنبياء) .

وقد أمرنا بالدعاء لله عز وجل بأن يشملنا برحمته : « وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين » (١١٨ المؤمنون) .

ومن أجل ذلك كله كانت كلمة « اللطيف » أكثر دلالة على عظيم عفو الله ورحمته وفضله وعطفه على عباده اللائذين بجاه ، العائذين بمقامه .

تبارك وتعالى رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم .

لقمـــان

فى حديث شريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، روته المسانيد وكتب السيرة ، ومن بينها السيرة المأثورة لابن هشام أن سويد بن الصامت قدم مكة ، وكان شريفاً فى قومه ، فدعاه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، إلى الإسلام .. فقال سويد : لعل الذى معك مثل الذى معى ؟ فقال له الرسول : وما الذى معك ؟ قال : مجلة لقمان ، والمجلة : الصحيفة . فيها الحكمة ، فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : اعرضها علىّ ، فعرضها عليه . فقال النبى : إن هذا الكلام حسن ، والذى معى أفضل منه ، قرآن أنزله الله علىّ ، هو هدى ونور ، وتلا عليه رسول الله من القرآن ، ودعاه إلى الإسلام .

ولقمان الحكيم سميت باسمه سورة من سور كتاب الله الحكيم ، واختلف فى أمره : هل هو حكيم أو نبى ؟ والجمهور على أنه لم يكن نبياً ، لأن القرآن الكريم لم يصفه بالنبوة ، وروى عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لم يكن لقمان نبياً ، ولكن كان عبداً كثير التفكير ، حسن اليقين ، أحب الله فأحبه ، فمنّ عليه بالحكمة ، وخيره فى أن يجعله خليفة يحكم بالحق ، فقال : ربّ ، إن خيرتنى قبلت العافية وتركت البلاء ، وإن عزمت علىّ فسمعاً وطاعة ، فإنك ستعصمنى — تفسير القرطبى :

واختلفوا فى أمر لقمان الحكيم كذلك : هل هو نوبى ، أو حبشى ، أو أسود من سودان مصر ، أو عبرى عاش فى زمن داود عليه السلام ؟ قالوا : كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً ، رفعه الله جل جلاله بحكمته ، كما ذكر جابر رضى الله عنه — تفسير الطبرى .

وفى التاريخ العربى : لقمان بن عاد ، كان سيداً يعظم الناس قدره فى السيادة والنباهة والرياسة والعلم والدهاء والفصاحة ، وكان يضرب به المثل فى ذلك كله ، وهو غير لقمان الحكيم ، الذى ورد فى القرآن الكريم .

وقد ألف الشيخ محمد محمود مصطفى عمير كتاباً بعنوان : (وصايا لقمان الحكيم فى القرآن الكريم) ، وتحدثت عن لقمان ومن سمى بهذا الاسم فى كتابى (الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى) حديثاً طويلا .

وسورة لقمان مكية ، وآياتها أربع وثلاثون ، وفى مطلعها تنويه بالقرآن الكريم ، وبالمؤمنين بهديه ، وذم للذين كفروا برسالته وبعدوا عن نهجه ، ثم يمدح الله عز وجل المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ويذكر جزاءهم عند الله فى اليوم الآخر ، الله القادر الذى رفع السموات ، وبسط الأرض ، ورفع فيها الجبال رواسى ، وخلق فيها من كل دابة ، وأنزل المطر من السحاب ، فأنبت به النبات ، قدرة باهرة ، لا يبلغ مدى عظمتها أحد .

وتجىء قصة لقمان وحكمته فى ثمان آيات كريمة (١٢ — ١٩ لقمان) :

وبعدها تفيض السورة فى ذكر قدرة الله وفى جدال المشركين ، وفى الإشادة بالذين يسلمون وجوههم لله طائعين عابدين ، وتذكر السورة عظمة الله وقدرته الباهرة ، وجلاله الذى لا ينتهى الحديث عنه ، وعلمه الواسع المحيط بكل شىء ، وبما يخفى على العباد .

وفى مطلع قصة لقمان يقول الله عز وجل :

« ولقد آتينا لقمان الحكمة ، أن اشكر الله » :

والحكمة هى فضائل الأخلاق والطاعات والعبادات ، وتوحيد الله وتقواه .. وهى هبة من الله ومنحة يجب على العبد شكرها .

ثم يذكر كتاب الله عز وجل وصايا لقمان لابنه ، وهى :

١ — توحيد الله والبعد عن الشرك ، إن الشرك لظلم عظيم .

٢ — الإحسان إلى الوالدين وبرهما ، وبخاصة الأم .

٣ — عدم الاستماع إلى الأبوين إن دعوا ابنهما إلى الشرك بالله ، مع معاملتهما بالمعروف والبر ، والواجب على الابن أن يتبع سبيل الله ودعوة أنبيائه ورسله .

٤ — التأكيد على علم الله الواسع المحيط .

٥ — الأمر بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والصبر على المحن والخطوب ، وفى الحديث : (الصبر نصف الإيمان) .

٦ — النهى عن الكبر والغرور والخيلاء .

وهى حكم جليلة ، توصل الإنسان إلى السعادة فى الدنيا والآخرة ، وإلى الفوز برضاء الله والناس ، وإلى كل محمدة فى الحياة .

ويضيق المجال عن تفصيل الحديث عن كل حكمة من هذه الحكم الجليلة ، التى ندعو أبناءنا جميعاً إلى الالتزام بها ، والعمل بمأثورها ، واتباع هدى الله فيها .. وفى الإيجاز البلاغة ..

وفق الله شبابنا لاتباع سنن الله ونهجه ، وهدى كتابه الحكيم .

اللــــوح

اللوح : ما يكتب فيه ، وقد يكون المكتوب فيه خشباً وهو الغالب ، ومن ثم فقد ألفنا أن يكون استخدام اللوح من أجل كتابة كتاب الله عز وجل عليه ، وأن يكون اللوح من خشب ؛ وإن كان هذا لا يجب فقد يكون من غير الخشب أيضاً ؛ ولكن ذلك هو الشائع الذائع .

وكل صفيحة عريضة ، خشباً كانت أو عظماً أو غيرهما ، فهى لوح ، وجمعه ألواح ، وألواح السلاح ما يلوح منها ، أى يومض ، كالسيف والسنان ونحوه .

وقد ورد لفظ (اللوح) فى كتاب الله عز وجل على الإفراد فى موضع واحد هو الآية الثانية والعشرون من سورة البروج : « بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » .

وورد (اللوح) جمعاً فى أربعة مواضع من كتاب الله عز وجل :

— « وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء » (الآية ١٤٥ الأعراف) .

— « وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه » (من الآية ١٥٠ الأعراف)

— « ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح » (الآية ١٥٤ الأعراف)

— « وحملناه على ذات ألواح ودسر » (الآية ١٣ القمر) ، أى وحملنا نوحاً على سفينة ذات ألواح خشبية ومسامير من حديد ، وموضع العجب أن ألواح الخشب التى تتماسك بالمسامير تطفو على سطح الماء ، وتحمل الناس فى البحر من ثغر إلى ثغر .

وكتاب الله عز وجل محفوظ فى السماء عند ذى العزة فى لوح كريم طاهر .. وقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم منجماً على مدى ثلاث وعشرين سنة بحسب الظروف والأحوال ، وكان ملك الوحى جبريل عليه السلام يتزل به على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

ومن ثم اعتاد الناس أن يستعملوا اللوح فى كتابة آيات الكتاب العزيز للحفظ والتذكرة ، تيمناً باللوح المحفوظ الذى كتب فيه القرآن الكريم ؛ وما أجل وأعظم كتاب السماء المنزل على خاتم رسل الله محمد عليه الصلاة والسلام لهداية البشرية إلى دين الله وإلى التوحيد وإلى شريعة السماء .

اللــؤلؤ

ذكر لفظ (اللؤلؤ) فى كتاب الله عز وجل فى عدة مواضع :

الأول : فى قوله تعالى من سورة الطور (آية ٢٤) :

« ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون » أى أطفال أو أولاد يخدمونهم :

واللؤلؤ : من الجواهر الكريمة ، ويستخرج من البحر الملح ، والمكنون : المصون ، وذلك لحسنه ونفاسته وفرط جمال شكله ولونه ، والمصون منه هو الذى لم يخرج من الصدف .

والثانى : قوله تعالى : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » (٢٢ الرحمن) .

اللؤلؤ : كبار الجواهر ، والمرجان : صغاره .

فإن قيل : إنهما لا يخرجان إلا من البحر الملح دون العذب ، فكيف قال عز وجل منهما ؟ فالجواب هو :

١ — أن ذلك من المجاز ، كما قال تعالى : « يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم » ، والرسل إنما هى من الإنس ، فذلك جىء به على التغليب ؛ ومنهم أى من أحدهما ، فلما كان الكل ماء ، أطلق الكل أى البحران ، وأريد البعض ، أى واحد منهما .

٢ — أو أنهما يستخرجان من البحر الملح حيث تنصب مياه النهر العذب فيه ، أو حيث ينزل المطر عليه . فلما كانت مياه الأمطار ومياه الأنهار تنصب فى البحر الملح كان الإخراج منهما جميعاً .

٣ — أو أن بعض الأنهار العذبة أيضاً يخرج منها اللؤلؤ والمرجان حيث تتوغل مياه البحر الملح فيها عند المصب .

والثالث : قوله تعالى : « يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً » (٢٣ الحج وتكررت الآية نفسها فى (سورة فاطر ، الآية ٢٣) .

الأساور : جمع أسورة وهى ما يوضع فى اليد من الحلى .

أى : ويحلون لؤلؤاً ، لأن اللؤلؤ يوضع فى الجيد والأذن ، وقلما يوضع فى اليد ، أى : ويحلون حلية نبيلة هى اللؤلؤ توضع فصوصه فى مواضع الزينة .

والرابع : قوله تعالى :

« وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » (٢٣ الواقعة) .

أى نساء فى غاية الجمال يشبهن اللؤلؤ المصون فى البياض والصفاء والنقاء ، والوصف بالمكنون، أى المصون ، لأنه أبعد عن تغيير حسنه، وسألت أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها رسول الله عن هذا التشبيه ، فقال : صفاؤهن كصفاء الدر فى الأصداف الذى لا تمسه الأيدى .

والخامس : قوله تعالى :

« إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً » (١٩ الإنسان) .

شبه الله جل جلاله الولدان المخلدين باللؤلؤ المنثور فى الحسن والبياض ، وبالكثرة والانتشار فى القصور .

واللؤلؤ لنفاسته جعل فى الجنة من حلى الأطفال الذين يتسابقون فى خدمة المقربين إلى الله عز وجل فى جنة عدن ، فى يوم القيامة .

وما أنفس اللؤلؤ ، وما أنفس من تحلى به ، وما أنفس الذين خدموا بخدم محلين باللؤلؤ ، وما أنفس الجنة دار الجزاء الأوفى ، التى ينال فيها المقربون إلى الله هذا الجزاء الكريم .

ليلة القـدر

ورد هذا اللفظ القرآنى الكريم فى سورة من سور القرآن الحكيم ، هى سورة القدر ، والقدر : الشرف والجلال والعظمة ، وفى هذه السورة يقول الله عز وجل:

« إنا أنزلناه فى ليلة القدر ﴿ وما أدراك ما ليلة القدر ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ﴿ سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وهكذا كانت ليلة نزول القرآن الكريم هى ليلة القدر .

وقد اختلف فى ليلة القدر ، هل هى فى رمضان أو فى غيره من الشهور ، والأرجح أنها فى رمضان ، بدليل قوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيـه القرآن » ، وقوله تعالى : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » .

واختلف فى هذه الليلة الرمضانية المباركة العظيمة : هل هى ليلة إحـدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، أو تسع وعشرين ؛ وقيل : هى ليلة الثامن والعشرين ، أو السادس والعشرين ، أو أربع وعشرين ، أو اثنتين وعشرين ، أو ليلة الثلاثين من رمضان ؛ وقيل : إنها تدور فى العشر الأواخر ، ولا تثبت فى ليلة واحدة منه ، وقيل : إنها مخفية فى رمضان كله ، وهذا ضعيف ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (التمسوها فى العشر الأواخر) ؛ وقيل : هى مخفية فى العام كله ، وقيل : هى ليلة النصف من شعبان ؛ وقيل : إنها رفعت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا ضعيف أيضاً ، وقيل : هى ليلة السابع عشر من رمضان ، وهى ليلة نصر بدر ، والأرجح أنها ليلة سبع وعشرين من رمضان .

ومعنى « أنزلناه فى ليلة القدر » : أنه ابتدأ نزول القرآن الكريم فى هذه الليلة المباركة ؛ أى أنه أنزل فى ليلة جملة واحدة إلى السماء ، ثم نزل به جبريل إلى الأرض على امتداد عشرين عاماً .

وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) .

وسبب نزول هذه السورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا ممن تقدم عبد الله ألف شهر ، فعجب المسلمون من ذلك ، ورأوا أن أعمارهم تنقص عن ذلك ، فأعطاهم الله ليلة القدر ، وجعلها الله خيراً من ذلك ، أى من العبادة فى تلك المدة الطويلة .

وفى حديث عائشة رضى الله عنها : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجاور فى العشر الأواخر من رمضان ، ويقول : تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان) .

وعنها قالت : (قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن علمت ، أى ليلة القدر ، ما أقول فيها ، قال : قولى : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى) .

وفى إشارة إلى ليلة القدر جاءت الآية الكريمة :

« إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين » (٣ من سورة الدخان) .

وهكذا تمضى ليلة القدر بشرف الدنيا والآخرة ، أكرم الله بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فهى وسام تكريم وتشريف لرسول الله وللمؤمنين بشريعته والمتمسكين بسنته ، والسائرين على طريقته .

صلى الله وسلم عليه فى الأولين ، وصلى وسلم عليه فى الآخرين ، وصلى وسلم عليه إلى يوم الدين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

الماء

الماء : هذا العنصر الكبير الذى تتوقف عليه حياة البشر والنبات والحيوان ، هو نعمة كبرى من نعم الله عز وجل على الإنسان والحياة .

وتقوم الحياة على كوكبنا الأرضى بوجود الماء عليه ، الماء المالح ، الذى تمخر فيه السفن فى البحار والمحيطات ، وتقوم الحياة على شواطئه ومدن الشواطئ بالتجارة وتبادل السلع والمنافع بين الأمم؛ ويستخرج من باطنه اللؤلؤ والمرجان والأسماك وغيرها .

والماء العذب الذى تتوقف عليه حياة الإنسان والنبات والحيوان ، ولولا الماء لعدمت الحياة على ظهر الأرض ، ويجتهد العلماء فى البحث عن الماء فى الكواكب الأخرى من مجرتنا التى تدور فيها أرضنا ، لأن الماء دليل حياة ، والحياة دليل حضارة ، والحضارة دليل تقدم المخلوقات .

والماء عنصر مركب من الأوكسجين والأيدروجين كما يقول العلماء ، وهو أهم عنصر لازم للحياة ، والله عز وجل يقول فى كتابه الحكيم :

« وجعلنا من الماء كل شىء حى » (٣ من سورة الأنبياء) .

وورد ذكر الماء فى أكثر من ستين آية ما بين مدنية ومكية ، دليلا على قدرة الله العزيز الحكيم ، إلى ما ورد فى كتاب الله من ذكر السحاب والمطر ، وذلك كله اعتداد بنعمة الله، وأنها دليل القدرة الباهرة ، والحكمة الساطعة ، وموجب لشكر الله عز وجل ولطاعته وعبادته وحده لاشريك له، ولتوحيده، والإيمان بكتبه ورسله .

ولقد عانى العالم فى السنوات الأخيرة من الجفاف ما عانى ، وبخاصة شعوب أفريقية وبعض شعوب آسيا ، فما بالنا إذا انقطع الماء جملة : « قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً ، فمن يأتيكم بماء معين ؟ » (٣ من سورة الملك) .

والغور : الغائر فى الأرض الذى يصعب استخراجه ، والمعين : العذب الزلال ، أو هو الماء الجارى الظاهر على سطح الأرض السهل التناول (٣٧٤ كلمات القرآن ، للشيخ حسنين مخلوف) .

تبارك الله رب العالمين ، وتعالى الله أحكم الحاكمين ، وهب الإنسان الحياة ، وأمدّه بنعمه الجليلة وبكل أسباب الحياة .. فلنشكر الله على ما وهب وأعطى ، والله يحب عباده الشاكرين .

محمـــد

ورد هذا اللفظ الكريم فى كتاب الله الحكيم فى عدة مواضع ، تنويهاً بمحمد ابن عبد الله القرشى الهـاشمى ، خاتم المرسلين ، وسيد النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

١ — الموضع الأول (فى الآية ١٤٤ من سورة آل عمران) ، وهو قـوله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين » .

٢ — والموضع الثانى (فى الآية الأربعين من سورة الأحزاب) ، وهو قوله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » .

٣ — الموضع الثالث (فى الآية الثانية من سورة محمد) ، وهو قوله تعـالى : « وآمنوا بمـا نزل على محمد وهو الحق من ربهم » .

٤ — والموضع الرابع (فى الآية التاسعة والعشرين من سورة الفتح) ، وهو قوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

وورد لفظ « أحمد » فى القرآن الكريم اسماً لرسول الله فى موضع واحد هـو الآية السابعة من سورة الصف : « ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » ، وهو كلام الله عز وجل على لسان عيسى عليه السلام من كلامه لقومه بنى إسرائيل :

ومن عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سميت سورة كريمة من سـور القرآن الكريم باسمه ، كما سميت سورة باسم إبراهيم وسور أخرى باسم : يونس وهود ويوسف ، وطه وهو نبى الله محمد عليه الصلاة والسلام ، ونوح ، عليهم الصلاة وأزكى السلام .

وقد ذكر ابن دريد فى كتابه الاشتقاق أن العرب كانت تعرف اسم محمد ، وأنها سمت بهذا الاسم بعض نفر منها .

ولكن الاسم لم يحظ بهالة من التكريم والتعظيم إلا حين سمى به رسول الله محمد ابن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى أصحابه أجمعين .. وما أعظم محمداً خاتم رسـل الله ، وآخر الأنبياء أجمعين ، والنبى الذى آثره الله عز وجـل بنزول القرآن الكريم عليه ، وبأنه النبى الذى تمم شريعة التوحيد ، ودعا إليها ، وأعلنهـا على الملإ أجمعين .

المـــداد

المداد : الحبر يكتب به القلم فى صحف منشورة يقرؤها الناس ، ويفيدون منها علماً وأدباً وفكراً وحكمة وإيماناً وتقوى وصلاحاً ، ويعرفون حقوقهم وواجباتهم ، وحدود ما شرعه الله لهم من حلال أو حرام .

والمداد : وسيلة لإيصال العلم للناس عن طريق القلم ، فهو خير معين للقلم ليؤدى رسالته ، وليقوم بدوره فى خدمة الحياة والناس ، وفى تأصيل الفكر والثقافة والمعرفة ، وفى إرساء دعائم الحضارات والنهضات ، وفى العمل من أجل التقدم الإنسانى ومن أجل قيام الإنسان بخلافة الله فى الأرض .

وعن طريق المداد والقلم سجلت الكتب السماوية ، وتدوولت بين البشر ، وقرأها القاصى والدانى . كما سجلت كتب المفكرين والفلاسفة والحكماء وقادة العقل الإنسانى فى جميع فروع المعرفة ، وسجلت روائع الآثار ، وبدائع الفنون والآداب.

وقد ورد لفظ (المداد) فى كتاب الله عز وجل فى موضع واحد ، هو الآية التاسعة بعد المائة من سورة الكهف ، يقول الله عز وجل فى هذه الآية الكريمة : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى . ولو جئنا بمثله مدداً » .

والمعنى : قل يا محمد لقومك وللناس إن عظمة الله فوق كل عظمة ، وقدرته أعلى من كل قدرة ، إن ماء البحر لو كان مداداً تكتب به الأقلام كلمات الله ربى الدالة على حكمه وعجائب مخلوقاته وغرائب صنعه وإبداعه فى هذا الكون العظيم ، لنفد ماء البحر فى كتابة الكلمات الإلهية ، ولم تنفد هذه الكلمات ، ولو جىء ببحر آخر مثله مدداً لنفد كذلك ولم تنفد أو تفرغ الكلمات .

وذلك كله إخبار عن اتساع علم الله تعالى ، فمعنى الآية : لو كتب علم الله بمداد البحر لنفد البحر ولم ينفد علم الله ، وكذلك لو جىء ببحر آخر مثله ، لنفد أيضاً ، لأن البحر محدود متناه ، وعلم الله غير محدود ولا متناه .

وسبحان الله مالك الملك ، ورب الناس ، وإله الكون ، وخالق البشر ، والذى سخر الشمس والقمر والنجوم والبحار والجبال والشجر والدواب وكل شىء لخير الناس ، ولهذا الإنسان العجيب الذى جعله الله له خليفة فى الأرض ؛ سبحانه ذو الجلال والإكرام .

مـــدين

ذكر هذا اللفظ القرآني في كتاب الله عز وجل في عشرة مواضع :

الأول والثاني والثالث: في (الآية ٣٦) من سورة العنكبوت ، و(الآية ٨٥) من سورة الأعراف ، و(الآية ٨٤) من سورة هود .

والنص في الآيات الثلاث : « ... وإلى مدين أخاهم شعيباً ، قال : يا قوم اعبدوا الله » إلا أن في (العنكبوت) : « فقال » بدلا من « قال » .

الرابع : في (الآية ٩٥) من سورة هود: « ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود » :

الخامس : في الآية السبعين من سورة التوبة : « ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم : قوم نوح وعاد وثمود ، وقوم إبراهيم وأصحاب مدين ... » .

السادس : في الآية الأربعين من سورة طـه :

« ... فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى » .

السابع : في (الآية ٤٤) من سورة الحج : « وأصحاب مدين » .

الثامن : في الآية الثانيـة والعشرين من سـورة القصص : « ... ولما توجه تلقاء مدين قال : عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ... » .

والحديث عن موسى عليه السلام .

التاسع : في (الآية ٢٣) من سورة القصص أيضاً :

« ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون » .

العاشر : في (الآية ٤٥) من سورة القصص أيضاً :

« وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا » .

وأهل مدين هم أصحـاب الأيكة .. يقول عز وجـل من سـورة الشعراء :

« كذب أصحاب الأيكة المرسـلين * إذ قال لهم شعيب : ألا تتقون * إني لكم رسول أمين ... » (١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ سورة الشعراء) .

وقال عز وجل فى سورة الحجر بعد قصة قوم لوط : « وإن كان أصحاب الأيكة الظالمين » (٧٨ و ٧٩ سورة الحجر) .

وكان أهل مدين عرباً يسكنون مدينتهم مدين ، وهى بالقرب من أرض معان من أطراف الشام ، مما يلى ناحية الحجاز ، قريباً من ديار قوم لوط ؛ ومدين أطلق على القبيلة التى تسكن هذه البلدة أيضاً ، وهذه القبيلة من سلالة إبراهيم الخليل عليه السلام .

ولما ضل قوم مدين السبيل ، وانحرفوا عن الجادة ، وحادوا عن شريعة السماء ، بعث الله إليهم نبيهم شعيباً عليه السلام .

وقد اشتهر شعيب عليه السلام بالفصاحة والبلاغة وسمى : (خطيب الأنبياء) لعلو عبارته ، ولجمال دعايته وجلال تبليغه لرسالة الله ودعوة قومه إلى الإيمان ..

وعن ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر شعيباً قال : ذاك خطيب الأنبياء .. وشعيب هو صهر موسى عليه السلام .

وكان قومه أهل مدين يعبدون الأيكة ، وهى شجرة من الأيك حولها أشجار محيطة بها ، وكانوا أسوأ الناس معاملة ، يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيهما ويقطعون السبيل ، ويخيفون الناس .

دعا شعيب قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهاهم عن هذه الضلالات والمعاصى ، فآمن به بعض وكفر به بعض ، حتى جاءهم أمر الله .

« فأخذتهم الرجفة ، فأصبحوا فى دارهم جاثمين » (٩٠ الأعراف) .

« وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين » (٩٤ هود) وهكذا عاقبة الظالمين ..

المدينـــة

المدينة : المصر الجامع ، ومجتمع بيوت يزيد عددها على بيوت القرية : وهى مجتمع متحضر يعيش حياة الحضارة ، ويغلب على أهلها حرفة التجارة أو الصناعة ، وينتشر فيها التعليم والقراءة والكتابة ، وتنظم فيها الأمور ومرافق الحياة تنظيماً متحضراً .

والمدينة :علم بالغلبة على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسمى : طيبة ، ويثرب ، والنسبة إليها مدنى .

ويقال : تمدن : أى تخلق بأخلاق أهل المدن وطباعهم وألوان حياتهم .
والنسبة إلى بغداد مدينة المنصور العباسى : مدينى . ومدين : قرية قوم شعيب
وقد وردت لفظة المدينة فى كتاب الله عز وجل فى عشرة مواضع :

— « إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة » (١٢٣ الأعراف) .
— « وقال نسوة فى المدينة » (٣٠ يوسف) .
— « وجاء أهل المدينة يستبشرون » (٦٧ الحجر) .
— « فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة » (١٩ الكهف) .
— « وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة » (٨٢ الكهف) :
— « وكان فى المدينة تسعة رهط » (٤٨ النمل) :
— « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها » (١٥ القصص) .
— « فأصبح فى المدينة خائفاً يترقب » (١٨ القصص) .
— « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى » (٢٠ القصص).
— « وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى » (٢٠ يس) .

وجاءت كلمة المدينة مقصوداً بها مدينة رسول الله فى عدة مواضع :

— « ومن أهل المدينة » (١٠١ التوبة) .
— « ما كان لأهل المدينة » (١٢٠ التوبة) .

— « والمرجفون فى المدينة » (٦٠ الأحزاب) .
— « يقولون لئن رجعنا إلى المدينة » (٨ المنافقون) .

وورد لفظ المدائن جمعاً للمدينة فى ثلاث مواضع :
— « وأرسل فى المدائن حاشرين » (١١١ الأعراف) .
— « وابعث فى المدائن حاشرين » (٣٦ الشعراء) .
— « فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين » (٥٣ الشعراء) .

وورد ذكر مدين قرية قوم شعيب عليه السلام فى عشرة مواضع من كتاب الله ، حيث قص القرآن الكريم قصة شعيب وقومه ودعوته لهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له .

وهكذا عبر القرآن الكريم بمفهوم حضارى عن المدينة كمجتمع متحضر أبلغ تعبير ، ومن سنة الله فى الحياة أن بدأ المجتمع الإنسانى مجتمعاً صغيراً بدوياً ، ثم تدرج فى مدارج الحضارة حيث القرية والمدينة والحاضرة ؛ وجاءت أخيراً كلمة (المدينة) نسبة إلى المدينة تعبيراً عن حياة الحضارة الكاملة الراقية المتمثلة فى الزراعة المتقدمة والتجارة العالمية والصناعة الحديثة ذات الطاقات الكبيرة ، وحيث اتساع العمران .. فالرقى المادى بشتى مظاهره هو مدنية ، أما الرقى العقلى والروحى فيطلق عليه كلمة حضارة .

وقد تطورت المدينة تطوراً كبيراً خلال عصور التاريخ الإنسانى ، وفى مختلف عصور الدول الحاكمة .. وإن كان الطابع الحضارى هو المظهر الأول للمدينة بعامة .

مســـجد

المسجد لفظ إسلامى أطلق على موضع السجود ، سواء كان موضع السجود لفرد واحد أو لجماعة كثيرة ، وأصبح متعارفاً أن يكون علماً على مكان الصلاة فى الإسلام .

وقد ورد لفظ (المسجد) فى كتاب الله عز وجل فى مواضع عدة .

وأكثر ما يرد لفظ (المسجد) مراداً به المسجد الحرام المكى ، وموصوفاً بهذا الوصف (المسجد الحرام) :

— « فول وجهك شطر المسجد الحرام » (١٤٤ و ١٤٩ البقرة) .
— « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام » (١٩١ البقرة) .
— « ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام » (١٩٦ البقرة) .
— « وكفر به والمسجد الحرام » (٢١٧ البقرة) .
— « أن صدوكم عن المسجد الحرام » (٢ المائدة) .
— « وهم يصدون عن المسجد الحرام » (٣٤ الأنفال) .
— « عند المسجد الحرام » (الآية ٧ من سورة التوبة) .
— « وعمارة المسجد الحرام » (١٩ التوبة) .
— « فلا يقربوا المسجد الحرام » (٢٨ التوبة) .
— « أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام » (الآية الأولى — الإسراء) .
— « ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام » (٢٥ الحج) .
— « وصدوكم عن المسجد الحرام » (٢٥ الفتح) .
— « لتدخلن المسجد الحرام » (٢٧ الفتح) .

ويأتى لفظ (المسجد) معرفاً أيضاً مراداً به (المسجد الأقصى) فى بيت المقدس :

— « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » (أول سورة الإسراء) .

— « وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة » (٧ الإسراء) .

ويأتى لفظ (المسجد) مراداً به مكان السجود فى أى ناحية :

— « وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » (٢٩ الأعراف) .

— « خذوا زينتكم عند كل مسجد » (٣١ الأعراف) .

— « لمسجد أسس على التقوى » (١٠٨ التوبة) .

— « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً » (١٠٧ التوبة) .

— « لنتخذن عليهم مسجداً » (٢١ الكهف) .

ويأتى أحياناً بلفظ الجمع مراداً أماكن السجود والصلاة :

— « مساجد الله » (١١٤ البقرة) .

— « مساجد الله » (١٧ و ١٨ التوبة) .

— « ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » (٤٠ الحج) .

— « وأنتم عاكفون فى المساجد » (١٨٧ البقرة) .

— « وأن المساجد لله » (١٨ سورة الجن) .

إن المساجد هى بيوت الله ، لأنها بيوت العبادة والصلاة والجماعة والاعتكاف ودور العلم وأماكن الشورى والقضاء فى الإسلام .

وهى أشرف البيوت وأكرمها وأطهرها وأفضلها عند الله .

والمساجد تقام فيها صلوات الجماعة والعيدين ، ويصلى فيها صلاة الجنازة ، وتشهد كل مشاهد الخير ، وفيها يؤذن بالدعوة إلى الله وإلى الخير والمعروف والبرّ .

وهى حمى الله ، ومن دخلها كان آمناً لأنه فى جوار الله .

وفى المساجد يتلى القرآن ، وتعقد الحلقات العلمية والإسلامية ؛ ويطلق على المسجد الكبير فى كل ناحية اسم (المسجد الجامع) . وما أكثر ما يكرم فى المساجد الضيف وعابر السبيل والفقراء واليتامى والمساكين .

ويجب على من يدخله أن يخلع نعليه ، وأن يكون على طهارة ، وأن يتقدم بقدمه الأيمن ، وأن يسير فيه بخشوع وخضوع .

والنفقة على بناء المساجد من أعظم القربات عند الله وملائكته والناس أجمعين .

المسجد الأقصى

المسجد الأقصى ببيت المقدس بأرض فلسطين ، وهو ثالث المساجد العظمى فى الإسلام بعد المسجد الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإليه كان الإسراء ، ومنه كان المعراج الشريف .

وهو بيت الأنبيـاء .

ويسن فى الإسلام زيارته والتعبد لله عز وجل فيه .

وقد ورد فى كتاب الله عز وجل فى الآية الأولى من سورة الإسراء :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير » .

المسجد الحرام مسـجد مكة المحيط بالكعبة ، والمسـجد الأقصى هو بيت المقدس ، وبه سميت المدينة كلها ، وكان اسمها القديم (إيليا) ، وسمى (الأقصى) لأنه لم يكن وراءه فى ذلك الحين مسجد .

وقد ذكر الإسراء فى كتاب الله عز وجل بالفعل صريحاً ، ولم يذكر المعراج إلا ضمناً ، لأن المعراج هو إسراء أيضاً ، إلا أن هذا الإسراء إسراء إلى السماوات والإسراء الآخر إسراء إلى بيت المقدس ، وهما بالجسد والروح معاً .

وهما معجزة كبرى لرسول الإسلام صلى الله عليه وسلم .

وقد مر بالمسجد الأقصى الكثير من أحداث التاريخ القديم والحديث ، إلا أن الله عز وجل هو دائماً اللطيف بعباده ، وهو المقدر للأمور ، وبيده الخير والشر ، والنفع والضر ، وهو الحكيم العليم ؛ وليس أسوأ للمسلم فى كل مكان وزمان ، من سماعه أحداث المسجد الأقصى فى ظلال الاستعمار الصهيونى ، ولكن العـاقبة للمؤمنين ، والنصر دائماً للمتقين ، ورحمة الله قريب من عباده ، وهو اللطيف الخبير .

المسجد الحرام ـ البيت الحرام

البيت الحرام هو الكعبة ، قال الله عز وجل : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » (٩٧ من سورة المائدة) ، أى تقوم بها أمور دينهم ودنياهم ، فهى مركز أعمال الحج الشعيرة الكبرى فى الإسلام وأحد أركان هذا الدين القويم ؛ بل هى منارة التوحيد ، ورمز عبادة الله العلى الأعلى فى الأرض ؛ بل هى رمز الخير والأمان والسلام لحجاج بيت الله ، وللسكان من حول بيت الله ، وللعرب والمسلمين جميعاً .

والكعبة بنتها الملائكة على رواية فى مصادر كتب التاريخ ، وبناها آدم عليه السلام ، وبناها نوح بعد الطوفان ، وبناها إبراهيم وإسماعيل ، وبناها قصى زعيم العرب ، وبنتها قريش والرسول صلى الله عليه وسلم فى الخامسة والثلاثين من عمره.

والكعبة هى مدار الطائفين ، ومقر العاكفين والركع السجود ، وهى قبلة المسلمين ومتوجهم فى الصلاة ، وإليها حولت القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام فى شعبان من السنة الثانية للهجرة .

ويطلق بيت الله أيضاً على المسجد الحرام لأن الكعبة البيت الحرام جزء من المسجد الحرام ، وإطلاق اسم الجزء على الكل معروف فى اللغة ، مستعمل فى كلام البلغاء .

والمسجد الحرام ورد ذكره فى كتاب الله عز وجل فى العديد من المواضع :

الأول : فى (الآية ١٤٤) من سورة البقرة :

« فول وجهك شطر المسجد الحرام » ، وهذا إعلان إلهى بتحويل قبلة المسلمين من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام فى مكة ، حيث حولت القبلة فى منتصف شعبان فى السنة الثانية من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثانى : (الآية ١٤٩) من سورة البقرة و ١٥٠ أيضاً من السورة نفسها :

« ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام » ، وهو تأكيد لأمر الله عز وجل بتحويل القبلة إلى المسجد الحرام ، وكان ذلك قد كبر عند المشركين وأعداء الإسلام ، ففرضه الله عز وجل ، وجعله فريضة ملتزمة ، وأمراً مقضياً .

الثالث : الآية ١٩١ من سورة البقرة :

« ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين » ؛ وهو تأكيد لحرمة القتال عند المسجد الحرام وفى مكة كلها إلا إذا كان عدوان من المشركين على المسلمين فيها فيدفع عدوانهم وتعود دار سلام وأمان بمجرد دفع العدوان .

الرابع : فى الآية ١٩٦ من سورة البقرة :

« ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام » ، وهذا إيذان على من تمتع بوجوب الهدى أو الصيام عشرة أيام ، ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع الحاج إلى وطنه لمن لم يكن أهله من سكان حرم المسجد الحرام .

الخامس : الآية ٢١٧ من سورة البقرة :

« ... وصد عن سبيل وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ... » ، وهو رد على المشركين الذين استعظموا القتال فى الأشهر الحرم ، فقال الله تعالى لهم : إن جريمتكم الكبرى هى فى الكفر بالله والصد عن دينه وكفركم بأحكام الله فى السلام والأمان بما روعتم المسلمين وأخرجتموهم من دارهم وأموالهم ، فهل يقاس القتال فى الأشهر الحرم بهذه الجريمة الكبرى النكراء ؟

السادس : الآية الثانية من سورة المائدة :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا » .

أى لا يحملنكم بغضكم للمشركين الذين صدوكم عن الحج إلى المسجد الحرام على العدوان عليهم ، بل كونوا فى معاملتكم لهم محافظين على السلام والأمان فى كل ما بينكم وبينهم من علاقات وروابط .

وقد نزلت هذه الآية عام الفتح حين ظفر المسلمون بأهل مكة ، فأراد بعض المسلمين الاقتصاص منهم ، وقتلهم لأنهم صدوهم عن العمرة عام الحديبية ، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك .

السابع : الآية ٣٤ من سورة الأنفال :

« وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام » ، والحديث هنا عن المشركين ، الذين عذبهم الله عز وجل بهزيمتهم النكراء فى بدر الخالدة .

الثامن : الآية ٧ من سورة براءة :

« إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ، فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » .

وهو أمر للمسلمين بالمحافظة على المعاهدة بينهم وبين مشركى مكة فى صلح الحديبية ، وعدم نقضها ما داموا لم ينقضوها .

وقد ظل المسلمون محافظين على هذه المعاهدة حتى نقضتها قريش بإعانتها بنى بكر على خزاعة (حلفاء الرسول) فكان بسبب ذلك فتح مكة .

التاسع : الآية ١٩ من سورة براءة :

« أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ، لا يستوون عند الله » ، وهذا رد على من زعم ذلك ، وهو العباس بن عبد المطلب أو غيره .

العاشر : الآية ٢٨ من سورة التوبة — براءة — :

« إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، أى لا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وهو عام تسع من الهجرة .

الحادى عشر : الآية الأولى من سورة الإسراء :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » .

وهذا معناه تعظيم الله لهذه المعجزة الباهرة التى خص بها نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام ، وهى معجزة الإسراء والمعراج ، وما أجلها من معجزة .

الثانى عشر : الآية ٢٥ من سورة الحج :

« ... إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام » ، وهذا تنديد بمشركى مكة الذين كفروا بالله ، وصدوا الناس عن الإسلام ، وعن المسجد الحرام .

الثالث عشر : الآية ٢٥ من سورة الفتح :

« هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام » وهو فى معنى الآية السالفة .

الرابع عشر : الآية ٢٧ من سورة الفتح :

« لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين » ، وهذا بشارة بفتح مكة وقد تحققت هذه البشارة الإلهية الكريمة التى كانت قبل الفتح فى الحديبية عام ٦ هـ ، وكان الفتح عام ثمانية من الهجرة .

والمسجد الحرام ، هو مقر الكعبة ببيت الله عز وجل ، وعند إطلاق البيت ينصرف إلى الكعبة فهو علم بالغلبة .

وقد جاء ذكر البيت وبيت الله وبيتى فى مواضع عدة من الكتاب الحكيم :

— « وإذ جعلنا البيت مثابة — أى ملاذاً — للناس وأمناً » (١٢٥ البقرة) .
— « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل » (١٢٧ البقرة) .
— « فمن حج البيت أو اعتمر » (١٥٨ البقرة) .
— « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً » (٩٦ آل عمران) .
— « ولله على الناس حج البيت » (٩٧ آل عمران) .
— « ولا آمين البيت الحرام » (٢ المائدة) .
— « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء — أى صفيراً » (٣٥ الأنفال)
— « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت » (٢٦ الحج) .
— « وليطوفوا بالبيت العتيق » (٢٩ الحج) .
— « ثم محلها إلى البيت العتيق » (٣٣ الحج) .
— « والبيت المعمور » (٤ الطور) .
— « فليعبدوا رب هذا البيت » (٣ قريش) .
— « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » (٥ الأنفال) .
— « عند بيتك المحرم » (٣٧ إبراهيم) .
— « أن طهرا بيتى للطائفين » (١٢٥ البقرة) .
— « وطهر بيتى للطائفين » (٢٦ الحج) .

وهذا كله تكريم ما بعده من تكريم للكعبة ، فقد نسبها الله عز وجل إليه ، فقال : فيها بيتى ، وجعلها حرماً آمناً ، وجعلها بيتاً حراماً ، وجعلها داراً ومحلا لقبول التوبة وإجابة الدعاء بالمغفرة .

وليس بعد ذلك كله من تكريم ، وليس وراء ذلك كله تعظيم .

المصبـــاح

وردت هذه اللفظة الكريمة فى أربعة مواضع من كتاب الله العظيم :
الأول : فى سورة النور (الآية ٣٥) : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » .
الثـانى : فى السورة نفسها والآية نفسها : « المصباح فى زجاجة » .

ومعنى الآية : « الله نور السماوات والأرض ... » الآية ، أنه ضـياؤهما . والنور يطلق حقيقة على الضياء ، أى الضوء الذى يدرك بالأبصار ، ومجازاً على المعانى التى تدرك بالقلوب ، والله ليس كمثله شىء ، فيصح تأويل الآية على أنه ذو نور السماوات والأرض ، أى مانحهما النور الذى يضىء أرجاءهما ، ووصف نفسه بأنه نور على سبيل المبالغة ، كما تقول : محمد عدل ، وخالد كرم ، وعلى بطـولة ، إذا أردت المبـالغة فى ذلك كله ؛ فإن أريد بالنور الضوء الذى تدركه الأبصار ، فمعنى أنه نور السماوات والأرض أنه خلق النور الذى فيهما من الشمس والقمر والنجوم ، أو أنه خلق السموات والأرض من العدم وأظهرهما فى الوجود فإنمـا ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء .

ومن هذا المعنى قراءة على بن أبى طالب : الله نور السموات والأرض ، أى جعل فيهما النور ؛ وإن أريد بالنور المدرك بالقلوب ، فمعنى أنه نور السموات والأرض أنه جاعل النور فى قلوب أهل السموات من الملائكة وأهل الأرض من البشر وغيرهم . ولهذا قال ابن عباس : معناه هادى أهل السموات والأرض .

وقوله تعالى : « مثـل نوره كمشكاة فيها مصـباح » معناه أن صفة نور الله عز وجل فى وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة والإنارة . والمشكاة : هى الكوة غير النافذة ، تكون فى الحائط ، فإذا وضع فيها مصبـاح كان شديد الإضـاءة ، وإنما شبه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم ، لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من النور ؛ فضرب الله عز وجل لهم المثل بمـا يصلون إلى إدراكه ، والمصباح فى زجاجة : أى الفتيل بنـاره فى قنديل من

زجاج ، لأن الضوء فيه أزهر ، وشبه الزجاجة في إنارتها بكوكب درى .

والمعنى الإجمالى للآية الكريمة : أن الله عز وجل ضياء السموات والأرض ، وأن مثل نوره فى صفائه وقوته مثل النور الذى يبدو فى المشكاة التى وضع فيها مصباح ووضع المصباح فى زجاجة والزجاجة صافية تبدو وكأنها كوكب درى صاف شديد الصفاء ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور .

الثالث : وردت كلمة مصباح جمعاً فى الآية الكريمة (١٢ من سورة فصلت) : « وزينا السماء الدنيا بمصابيح » ، أى بنجوم وكواكب مضيئات كما تضىء المصابيح.

والرابع : فى الآية الكريمة الخامسة من سورة الملك : « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح » ، أى بالشمس والقمر والنجوم .

والمصباح ذو دلالة واضحة على النور والضياء ، وهو أمر محسوس يراه الناس ويبصرونه ، وهو مع الناس فى كل لحظة وكل وقت .. ومن أجل ذلك شبه نور الله عز وجل بنور المصباح ، مع اتساع الفرق بين النورين ، وأين يقع نور المصباح من نور الله عز وجل فى السموات وفى الأرض ؟

إن النور الإلهى فى كل شىء ، وفى كل جرم وهو المثل الأعظم لكل ضياء ، والذروة العليا لكل نور ، وما أجل أن نقول : الله نور السموات والأرض .

وصدق الله العظيم .

مصـــــر

فى خمس مواضع من كتاب الله عز وجل ورد لفظ (مصر) :

١ — « وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً » (٨٧ سورة يونس) ، أى اسكنوها وأقيموا فيها .

٢ — « وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه » (٢١ سورة يوسف)

والحديث هنا عن يوسف عليه السلام بعد أن خرج من الجب ، وباعه بعض رجال القافلة الذين أخرجوه بثمن بخس ، واشتراه رجل كبير الجاه من مصر .

٣ — « وقال : ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين » (٩٩ سورة يوسف) .

والحديث عن يوسف حين استقبل أبويه وقال لهما : ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله ، وآوى إليه أبويه ، أى ضمهما إليه ، وأراد بالأبوين أباه وأمه ، وقيل : أباه وخالته ، لأن أمه كانت قد ماتت ، والخالة أم على المجاز .

٤ — « ونادى فرعون فى قومه ، قال : يا قوم ، أليس لى ملك مصر ؟ » (٥١ سورة الزخرف)

وذلك من كبرياء فرعون وخيلائه وإنكاره لقدرة الله عز وجل .

٥ — « اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم » (٦١ سورة البقرة) .

ومصر فى هذا الموضع وفى المواضع السابقة هى البلد المعروف ، مصر النيل وقيل : هى هنا غير معنية ، فهى نكرة ، لما روى من أنهم نزلوا بالشام والأرجح أنها مصر النيل لقوله تعالى : « وأورثناها بنى إسرائيل » يعنى مصر .

وهكذا نجد أن الله عز وجل شرف هذه الأرض بذكرها فى كتابه الحكيم فى خمسة مواضع كريمة .

وذلك شرف لا يدانيه شرف أن يجىء ذكر بلد فى القرآن الكريم فى خمس آيات

والمنة من الله عز وجل أن يشرف مكاناً بذكره فى كتابه ، وللدكتور أحمد يوسف عبد الحميد كتاب بعنوان (مصر فى القرآن والسنة) وهو بحث جيد مفيد .

إن كتاب الله ، وإن كان ليس معلمة للبلدان والأمصار ، هو الذروة العليا للشرف ، وتكريمه لإنسان أو لمكان بالذكر تكريم فوق الغاية .

والمصر فى اللغة : المدينة ، وهو واحد الأمصار ، والمصران : البصرة ، والكوفة ، وفلان مصر الأمصار تمصيراً ، كما يقال : مدن المدن : ومصر هى أرض النيل ، وتطلق على عاصمتها كذلك ، أى على (القاهرة) فى العرف العام ، والله ولى التوفيق .

المعـــراج

معجزة المعراج معجزة كبرى من المعجزات التى أيد الله عز وجل بها رسوله الكريم ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

ويروى عن أبى سعيد الخدرى ، رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :

(لما فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج ، ولم أر شيئاً قط أحسن منه ، فأصعدنى صاحبى جبريل ، حتى انتهى بى إلى باب من أبواب السماء ، فلما دخل بى ، قيل : من هذا يا جبريل ؟ قال : محمد ، قيل : أوقد بعث ؟ قال : نعم ، فدعا لى بخير) .

وروى ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(تلقتنى الملائكة حين دخلت السماء الدنيا ، فلم يلقنى ملك إلا ضاحكاً مستبشراً يقول خيراً ، ويدعو به ، ورأيت بها رجلا ، قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم .

ثم أصعدنى جبريل إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ويحيى ابن زكريا .

ثم أصعدنى إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر بليلة البدر ، فقلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن يعقوب .

ثم أصعدنى إلى السماء الرابعة ، فإذا فيها إدريس .

ثم إلى الخامسة ، فإذا فيها هارون .

ثم إلى السادسة ، فإذا فيها موسى .

ثم إلى السابعة ، فإذا فيها إبراهيم عليه السلام .

ثم انتهى جبريل برسول الله إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة كل يوم ، ثم خفف الله على أمته فصارت خمساً فى كل يوم وليلة) .

وقد ورد لفظ (معارج) فى كتاب الله عز وجل – جمع معراج – فى قوله – تعالى – :

– « ومعارج عليها يظهرون » (٣٣ الزخرف) .

– « من الله ذى المعارج » (٣ سورة المعارج) .

وإلى معجزة المعراج تشير الآيات الكريمة من سورة النجم :

« وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

(٧ – ١٨ من سورة النجم)

ومعجزة المعراج تجل عن الوصف والحديث وعن الشرح والتفسير :

وهى دليل عظمة رسول الإسلام ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام :

المعـــروف

ورد لفظ (المعروف) فى كتاب الله عز وجل فى مواضع كثيرة .

والمعروف : ما عرف من أفعال الخير بالشرع أو بالعقل.

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة على كل مسلم بقدر استطاعته : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) .

وفى كتاب الله الكريم : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف » (١١٤ من سورة آل عمران) .

ويقول الله عز وجل : « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (١١٠ من سورة آل عمران) .

وفيه كذلك : « يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف » .
(١١٤ سورة آل عمران)

وكذلك : « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » (١٥٧ سورة الأعراف)

وكذلك : « يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة » .
(٧١ سورة التوبة)

وأيضاً : « الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » (١١٢ سورة التوبة)

وأيضاً : « وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » (٤١ سورة الحج)

وأيضاً : « وأمر بالمعروف وانه عن المنكر » (١٧ سورة لقمان)

ويطلق المعروف على الإحسان وفعل الخير والصدقة كذلك :

ويجيء المعروف فى كتاب الله العزيز على عدة معان :

الأول : الإحسان : « إلا من أمر بصدقة أو معروف » (١١٤ النساء)

الثانى : الزينة ، أى أن تزين المرأة نفسها بعد العدة : « فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف » (٢٣٤ البقرة)

« فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن من معروف » (٢٤٨ البقرة) .

الثالث : الوعد الحسن : « إلا أن تقولوا قولا معروفاً » (٢٣٥ البقرة) .

« وقولوا لهم قولا معروفاً » (٥ و ٨ النساء) ، أى وعداً حسناً .

الرابع : المعروف بمعنى الدعاء بالخير ، يقول الله تعالى فى سورة البقرة : « قول معروف » (٢٦٣ البقرة) ، أى قول حسن ، من مثل دعاء الرجل لأخيه .

الخامس : المعروف بمعنى ما تيسر على الإنسان :

— « متاع بالمعروف » (٢٤١ البقرة) ، أى على قدر ميسرة الرجل .

— « متاعاً بالمعروف » (٢٣٦ البقرة) ، أى أن يمتع الرجل المرأة إذا طلقها على قدر ميسرته .

— « وكسوتهن بالمعروف » (٢٣٣ البقرة) ، أى على مقدار ميسرته .

وعلى الجملة ، فإن المعنى العام للمعروف هو كل فعل خير عرف عن طريق النقل أو العقل السوى :

وهو مما تأمر به الديانات ، وبخاصة الإسلام ديننا العظيم ، وكتاب الإسلام القرآن الكريم . والله الموفق للخير .

المقــاليد

المقاليد : المفاتيح ، مفرده مقلد بوزن مجهر ومنجل ، أى مفتاح ، وورد هذا اللفظ القرآنى فى كتاب الله عز وجل فى موضعين :

الأول : فى الآية الثالثة والستين من سورة الزمر : « له مقاليد السموات والأرض » ، أى مفاتيحهما .

والثانى : فى الآية الثانية عشرة من سورة الشورى : « ... له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » .

ومالك مفتاح المنزل أو البيت : هو فى العرف صاحبه ومالكه والمتصرف فيه دون سواه .

ومالك مفاتيح السموات والأرض : هو الله عز وجل ، فهو المسيطر والمالك للسموات وللأرضين ، وهو المصرف لأمور هذا الكون العظيم بسمواته وأراضيه.. السموات بكواكبها ونجومها ومجراتها ، والأرض بطبقاتها ومعادنها ومياهها وبحارها وجبالها وما عليها من إنسان وحيوان ونبات ، وما فى جوفها من كنوز لا يعلمها إلا هو وحده ، سبحانه وتعالى مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام .

أية عظمة هى هذه العظمة ! !

وأى جلال ومجد هذا الجلال والمجد ! !

وأى سلطان هذا االسلطان ! !

وأى قدرة هذه القدرة الإلهية ! !

الله عز وجل هو مالك هذا الكون العظيم ، الذى لا يدرك حدوده عقل ، ولا يحيط به تصور إنسان .

وليس ملكاً فحسب ، أو قدرة فقط ، أو سلطاناً دون غيره من المعانى والهيمنة والنفوذ .

إنما هو مع هذا كله تدبير وإحكام وتسخير ، وهو مع ذلك كله قدرة نافذة ، محيطة شاملة ؛ كل شىء فى الكون قدره الله عز وجل تقديراً ، ودبر

أمـوره تدبيراً .. النظام والترتيب والهندسة الفائقـة ، كل ذلك هو فى يد الله عز وجل وحده ، لا يطغى شىء على شىء ، لا يصطدم كوكب بكوكب لا تشرق الشمس ولا تغرب إلا فى مواعيد ثابتة منتظمة ، لا تتقدم ولا تتأخر ، تنزيل من حكيم عليم .

قل اللهم مالك الملك ..

علام يدل ذلك كله .؟

إن مالك المقاليد هو المـالك لكل شىء فى هذا الكون العظيم ، وهو المدبر لكل شىء فى السموات والأرض وما ومن فيهما ، وهو الذى يحفظ لهذا الـكون العجيب نظامه الدقيق ، وهو الذى يرزق النملة طعامها ، ويعطى الأسد طعـامه ، ويهب الإنسان رزقه .

إن الله وحده هو مالك الملك ، ورب العرش العظيم ، وسع كرسيه السموات والأرض .

إنه وحده الإله الحق المعبود ، إنه دون سواه الخالق المدبر المصور المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحانه الله عما يشركون .

إنه لا إله إلا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم .

إنه هو الله ، الخالق البارئ المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم .

وتعالى الله عما يصف الظالمون والكافرون والمشركون علواً كبيراً .

قال عثمان بن عفان : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقاليد السموات والأرض ، فقال : هى لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأستغفر الله ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن بيده الخير ، يحيى ويميت ، وهو على كل شىء قدير .

فإن صح هـذا الحديث ، فمعناه أن من قال هـذه الكلمات صادقاً مخلصاً نال الخيرات والبركات من السموات والأرض ، لأن هذه الكلمات توصل إلى ذلك ، فكأنها مفاتيح له ، والله أعلم .

مــــكة

ورد فى كتاب الله عز وجل ذكر مكة فى موضع واحد هو قوله تعالى :
« وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة » .
(من الآية ٢٤ من سورة الفتح)
والمعنى : أن الله عز وجل جعل صلح الحديبية سلاماً وأمناً للمسلمين والمشركين على السواء .

وورد ذكرها بالباء بدلا من الميم .. بكة .. فى قوله تعالى فى سورة آل عمران (من الآية ٩٦) : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين ... » .

والبيت هو الكعبة الشريفة ، وهى جزء من البيت الحرام .

ومكة بلد الله الحرام ، ومهاجر إسماعيل ، وموطن الكعبة الشريفة ، التى بناها ورفع قواعدها إبراهيم وابنه إسماعيل ، عليهما السلام .

وقد اختلف فى اشتقاقها اللغوى على أقوال عدة ، وقد ورد ذكر مكة فى جغرافية بطليموس باسم ماكورابا ، ويظن أن هذا الاسم — ماكورابا — قريب من اسم مكرب الذى عرف عند السبئيين ، ويدل على لقب كان يحمله الكهنة فى سبأ ، ويرجح أن معناه المقرب إلى الله ، فمكة أيضاً تعنى المقربة إلى الله ، لأنها مدينة مقدسة كريمة . ويذكر بروكلمان أن مكة مشتقة من مكرب أو مقرب ، ومعناها الهيكل (تاريخ الشعوب الإسلامية : ١/٣٣) . وقد يذكر بعض الباحثين أنها مشتقة من « ملك » فى البابلية بمعنى البيت (ص ٧٥ ، جورجى زيدان) .

ومن الناس من يجعل (بكة) اسماً لموضع البيت وما حوله ، ومكة هو الحرم كله (معجم البلدان لياقوت : ٥/١٨٢) .

وسميت مكة : أم القرى ، والبلد الأمين ، وسمى الله عز وجل الكعبة البيت الحرام ، والبيت المحرم .. وتقع فى بطن واد يعرف ببطن مكة ، وتشرف عليها الجبال من جميع النواحى ، دائرة حول الكعبة ، والأماكن المنخفضة نسبياً من

ساحة مكة تسمى : البطحاء ، وكل ما نزل عن الحرم يسمى المسفلة ، وما ارتفع عنه يسمى : المعلاة .

ومكة أقام فيها نسل إسماعيل ومن قبلهم كانت العماليق ثم جرهم وخزاعة .. وصارت قبل الإسلام قريش ببطونها جيران بيت الله وسدنته وحماته .

ومن قريش كان رسول الله محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومهر فى مكة الوليد بن المغيرة المخزومى ، وفى الطائف أبو مسعود الثقفى سيد ثقيف ، والوليد هو القائل : أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود الثقفى سيد ثقيف ، ونحن عظيما القريتين (١/٢٨٧ السيرة لابن هشام) فأنزل الله عز وجل فيه : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » (٣١ سورة الزخرف) .

وإلى مكة شرع الله عز وجل الحج إلى بيته الحرام ، وصار الحج أحد أركان الإسلام .

الملـــك

(الملك) بضم الميم : السلطان والعز والنفوذ العظيم والرياسة الكبيرة على قوم أو شعب أو بلد .

والملكوت من الملك صيغة مبالغة ، يقال : له ملكوت العراق ، وهو الملك والعز ، ولما نسب الملكوت إلى الله عز وجل جيء بما يدل على العظمة القاهرة ، فقيل : له ملكوت السماوات والأرض .

وقد ورد لفظ (الملك) بضم الميم وسكون اللام فى أكثر من خمسين موضعاً فى كتاب الله :

— « له ملك السموات والأرض » .
(١٠٧ البقرة ، ١٥٨ الأعراف ، ٤٤ الزمر)
— « مالك الملك » (٢٦ آل عمران) .
— « ولله ملك السموات والأرض » (١٧ و ١٨ و ٤٠ آل عمران) .
— « لله ملك السموات والأرض » (١٢٠ المائدة) .
— « إن الله له ملك السموات والأرض » (١١٦ التوبة) .
— « ولم يكن له شريك فى الملك » (١١١ الإسراء ، ٢ الفرقان) .
— « ملك مصر » (٥١ الزخرف) .
— « ملك سليمان » (١٠٢ البقرة) .
— « رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى » (٣٥ ص) .
— « نعيماً وملكاً كبيراً » (٢٠ الإنسان) .

ومن اشتقاقات الملك جاء لفظ الملك :

— « وكان وراءهم ملك » (٧٩ الكهف) .
— « فتعالى الله الملك الحق » (١١٦ المؤمنون) .
— « الملك القدوس » (٢٣ الحشر) .

— « ابعث لنا ملكاً » (٢٤٦ البقرة) .

— « إن الملوك ... » (٣٤ النمل) .

كما جاء لفظ المالك :

— « مالك الملك » (٢٦ آل عمران) :

— « مالك يوم الدين » (٤ الفاتحة) .

ولفظ مليك مبالغة فى الملك :

— « عند مليك مقتدر » (٥٥ القمر) .

وللقدرة الكبرى لعالم الروح ، كان لفظ ملك بفتح اللام وهو واحد الملائكة ومن اشتقاقات الملك كان لفظ الملك وجمعه الملائكة :

ومادة الملك وكل ما يتصرف منها تجىء فى القرآن الكريم فى أكثر من ثلاثمائة موضع ، ويبقى مالك الملك ويفنى كل شىء ما عداه : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » (٢٦ و ٢٧ الرحمن) :

فالملك الحق لله وحده ، وما عداه بجوار ملك الله لا شىء على الإطلاق ، ولذلك حين يسند الملك إلى الله يجىء معه ما يدل على عظمة ملكه :: ملك السموات والأرض — مالك يوم الدين — ملكوت السموات والأرض :

فسبحان الله .. أصبح الملك لله ، وله الملك على أبد الآباد ، وله الملك من يوم خلق السموات والأرض ومن قبل ومن بعد ، وله الملك يوم الدين .

الملكـــوت

الملكوت : الملك العظيم ، الذى ليس كمثله شىء ، مبالغة فى الملك لعظمته ، كالرهبوت مبالغة فى الرهبة ، وكالجبروت ؛ الملكوت إذن هو سعة الملك وعظمته وعزه وجلاله .

وورد هذا اللفظ فى كتاب الله فى أربعة مواضع ، اثنان منها مضـافان إلى السماوات والأرض ، واثنان منها مضافان إلى « كل شىء » :

— « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض » (٧٥ الأنعام) ؛
— « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض » (١٨٥ الأعراف) .
— « قل من بيده ملكوت كل شىء » (٨٨ المؤمنون) .
— « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء » (٨٣ يس) .

ملكوت كل شىء : أى ملك كل شىء يخطر على البال من سموات وأرضين وبحار وجبال ، وأودية وصحارى وكواكب ونجوم وغير ذلك من الإنس والجن والحيوان والنبات والجماد ، وسبحان الله أعظم المـالكين .

وملكوت السماوات والأرض : حـدث عنه ولا حرج ، حـدث عن هذا الكون العظيم ، بمجراته وكواكبه ونجومه ، بكل ما يحويه ، وكل ما يشتمل عليه .

فى هذا الكون العظيم ملايين المجرات ، وكل مجرة تحتوى على ملايين الكواكب والنجوم ، وقد أعلن علماء الفلك فى أمريكا أنهم اكتشفوا مجرة جديدة فى الفضاء ، على بعد عشرين ألف مليون سنة ضوئية من الأرض ، وأنها تحتل مساحة ضخمة فى الفضاء .

وهكذا نعيش فى كون سحيق ما زلنا بعيدين كل البعد عن كشف أسراره ، والوصول إلى عمق أغواره ، حيث المعرفة الإنسانية محدودة ، والقدرة البشرية قاصرة ، والكون كبير وعظيم وجليل .

إننا على سطح أرضنا نعيش فى مكان لا يعدو أن يكون ذرة رمل فى هـــذا

الكون العجيب السحيق ، الأرض التى نعيش عليها — كما يقول علماء الفلك — أحد تسعة كواكب تدور حول الشمس فى مجموعتنا الشمسية ، والشمس نجم ينتمى إلى مجرة طريق التبانة ، وهذه المجرة تضم إحصائياً مائة ألف مليون نجم .. لقد كشف العلماء عن أجسام بعيدة جداً ، تبعد عن الأرض بنحو ستة عشر ألف مليون سنة ضوئية ، مع ملاحظة أن السنة الضوئية ، كما هو معروف ، هى المسافة الناتجة عن عملية حسابية :

٣٠٠٠٠٠ ك م × ٦٠ × ٢٤ × ٣٦٩،٢٥ حيث تبلغ سرعة الضوء ٣٠٠ ألف كيلومتر فى الثانية .

والأرض التى نعيش عليها لا تمثل بالنسبة للشمس أكثر من رأس دبوس صغير بالمقارنة إلى برتقالة كبيرة ، والشمس بالنسبة للمجرة عضو من ألف مليون عضو ، والمجرة كلها بالنسبة للمجرات العديدة لا تساوى شيئاً على الإطلاق .

هذه السعة العظيمة للكون العظيم تجعلنا نردد قول خالق السموات والأرض : « ... أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض » .

وقوله عز وجل : « ... سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ... » .

نعم ، إنه الحق ، وهو على كل شىء قدير .

منـــاة

ورد هذا اللفظ فى كتاب الله العزيز فى سورة النجم (فى الآية العشرين) : « ومناة الثالثة الأخرى » .

ومناة من أقدم أصنام العرب ، ويروى أنها أقدمها كلها على الإطلاق ، وكانت منصوبة على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد ، بين مكة والمدينة ، وكانت العرب كافة تعظمها وتذبح حولها ، وكذلك كانت الأوس والخزرج ومن ينزل مكة والمدينة وما حولها من المواضع ، كانوا يعظمونها ويذبحون لها ويهدون لها ، ولم يكن أحد أشد إعظاماً لها من الأوس والخزرج ، فكانوا يحجون إليها ، ولا يحلقون رؤوسهم إلا عندها ، ويقول عبد العزى بن وديعة المزنى الجاهلى :

إنى حلفت يمين صدق برة   بمناة عند محل آل الخزرج

وكذلك عظمت قريش مناة ، ومثلها هذيل وخزاعة ، وجميع العرب من الأزد والغساسنة ؛ وقالوا : زيد مناة ، وعبد مناة .

ومناة : صخرة عبدها الجاهليون ، وكانت وظلت موضع تعظيمهم ، حتى جاء الإسلام ، وفتح رسول الله مكة عام ٨ هـ ، فعهد إلى على بن أبى طالب أن يهدم هذا الصنم ، فهدمه ؛ وكان فيما أخذه من حرمه سيفان مكان الحارث الغسانى ملك غسان أهداهما له ، وهما سيفا الحارث .

وقد وهب رسول الله هذين السيفين لعلى كرم الله وجهه ، وسمى على رضى الله عنه أحدهما ذا الفقار .

ومناة : من المنية وهى الموت ، وسميت « منى » بذلك لأنها موضع يراق فيه الدم ، وكانت مناة من آلهة الموت والقدر عند البابليين ، واسمها عندهم « مامناتو » ، وكذلك هى من الأصنام المعروفة عند النبط .

وتمثل مناة عند البابليين وعند العرب الموت .. أضلهم الله ضلالا بعيداً ، وجاء الإسلام فهداهم إلى شريعة التوحيد ، وفرضها عليهم ، وجعل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أساس عقيدة الإسلام ، وبذلك عاد العقل الإنسانى إلى رشده ، وإلى الصواب .

المنهـــاج

جاء ذكر المنهاج - بكسر الميم - فى كتاب الله عز وجل فى موضع واحد من سورة المائدة ، هو فى الآية الثامنة والأربعين :

« لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » :

والشرعة : هى الشريعة ، والمنهاج : هو الطريق الواضح فى الدين ، يمشون عليه ، ويرجعون إليه ، ويتحاكمون لديه .

إن منهج الله ، أو منهاج الله فى الدين ، طريق واضح لا خفاء فيه ، إنه أحكام الشريعة وأوامرها ونواهيها .

إنه أسلوب العبادة والحياة والمعاملة ، الذى شرعه الله لعباده ، ليسلكوا مسلكه ، ويسيروا فى دربه ، ويطمئنوا إليه ، ويبنوا أمورهم عليه .

والله عز وجل لم يترك الناس هملا ، ولم يخرج الإنسان والبشر إلى الحياة دون هدى من الله ، بل خلقهم ، وهداهم إلى الطريق المستقيم ، وأوضح لهم كل شيء ، ورسم لهم السبيل الذى يسيرون عليه فيأمنون ، والذى يسلكونه فلا يضلون أبداً ، إنه طريق الله وهداه ونوره الذى لا يضل من مشى فيه أبداً .

ومن هنا نعرف أن الله قد خلق الإنسان ، وأنه هداه طريقه فى الحياة ، فأنزل الشريعة ، ورسم المنهاج ، وحدد الطريق ، وبين الهدف وميز الصالح من الطالح ، الصالح يأتمر بأمر الله ، ويمشى على المحجة الواضحة ، يفعل الخير ولا يجنح إلى الشر أبداً ، والطالح ينأى عن طريق الخير ، ويمشى فى سبيل الشر والفساد ، يعصى الله ولا يمتثل أوامره ، يترك هداه ، ورائده هو الشيطان الرجيم .

وليس هنا أوضح من معالم الطريق التى بينها الله لعباده ، وأمرهم بلزومها والسير فى محجتها .

ومن ثم فلا نجاة لنا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، إلا إذا سرنا فى هدى الله ، وعلى منهاجه ، وفى نور محجته وطريقه المستقيم ، وشريعته السماوية المنزلة من السماء .

المهيمـــن

هذه اللفظة القرآنية لم تستعمل فى اللغة العربية قبل القرآن الكريم ، فلا تراها فى شعر الجاهلية ولا فى خطبهم وبلاغاتهم وأدبهم ، وهى اسم فاعل من الهيمنة ، وهى السلطان والقدرة والقوة والجبروت وسعة النفوذ ، وقوة البأس ، وشمول الملك ، والفعل « هيمن » ، أى ملك وتسلط ، وجاءت لفظة المهيمن دالة على كل ذلك ، وصفة من صفات الله عز وجل ، واسماً كريماً من أسمائه الحسنى جل جلاله وعظم شأنه ، وعلت قدرته .

ولم ترد هذه اللفظة القرآنية إلا فى موضع واحد فى كتاب الله الحكيم ، وذلك فى الآية الثانية والعشرين من سورة الحشر ، وهى قوله عز وجل : « هو الله الذى لا إله إلا هو ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، الميمهن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، سبحان الله عما يشركون » .

وقبل هذه الآية : « هو الله الذى لا إله إلا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم » .

وبعدها الآية الكريمة الأخيرة من سورة الحشر : « هو الله ، الخالق ، البارىء المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » .

ومعنى القدوس : الطاهر المنزه عما لا يليق به .

ومعنى السلام : رب السلام فى الدنيا والآخرة ، والداعى إليه والحامى له ، والمثيب عليه ، والذى خلق السلام وعممه فى الكون فى كل شىء ، وفى كل ذرة من ذراته ، وفى كل صغير وكبير من خلقه .

والمهيمن من هيمن يهيمن ، فهو المهيمن ، أى المالك لكل شىء ، والخالق الأعظم المدبر لكل أمر ، والإله المعبود المسيطر على كل صغيرة وكبيرة فى هـذا الكون العظيم .

ومعنى « العزيز » : القوى الموصوف بالعزة والجلال والسلطان .

ومعنى « الجبار » : النافذ حكمه على كل شيء . والسارى أمره على الكون وما احتواه .

ومعنى « المتكبر » : المتعالى على كل صفات الخلق والنقص ، الذى لا يرد أمره أحد ، ولا يعترض على حكمه إنسان ، والذى يقول للشيء : كن فيكون ، لا معقب لحكمه ، ولا مرد لأمره ، وهو الواحد القهار ، « عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » .

وردت لفظة (مهيمن) صفة اسم فاعل ، لا اسماً ، فى آية كريمة من سورة المائدة هى الآية الثامنة والأربعون ، فى وصف القرآن الكريم وأنه نزل مهيمناً على ما سبقه من الكتب السماوية ، فقال عز وجل : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه » ..

والمعنى : أنزلنا يا محمد إليك الكتاب — القرآن — بالرسالة الصادقة ، والدين الحق ، مصدقاً للكتب السماوية المنزلة ، ومهيمناً عليها ، أى شاهداً ومصدقاً وغالباً عليها .

وفى لفظة المهيمن ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه بمعنى الرقيب .

والثانى : أنه بمعنى الشاهد .

والثالث : أنه بمعنى الأمين .

ويرد الزمخشرى الكلمة إلى أصل آخر فيقول : إن أصلها مؤيمن بالهمزة ، ثم أبدلت الهمزة هاء .

وهو ولا ريب أصل متروك .

وقد صارت الكلمة تدل بلفظها على النفوذ المطلق والسلطان الكبير ، وصارت تستعمل فى لغة المعاصرين والمحدثين بمعنى اتساع النفوذ ، نقول : هيمن هذا الموظف الكبير على كل شئون إدارته ، وهيمن الوزير على كل شيء فى وزارته وهيمن الحاكم على كل صغيرة وكبيرة فى حكمه وملكه .

واللفظة تدل بصيغتها على القوة والقدرة والقهر والسلطان ، والنفوذ ، وعلو الشأن ، وعلى أن كلمة الرجل نافذة ، وأمره مطاع ، وحكمه شامل .

وهذه اللفظة هى من أخص صفات الله عز وجل .

من ذا الذى يستطيع أن يزعم أنه الحكم فى شئون الكون والوجود والألوهية والحيـاة ؟

إن للعقل الإنسانى حدوداً ، وله طاقته المحدودة وعالمه الذى يستطيع أن يقول فيه شيئاً ، ولكن يجب ألا يخرج العقل البشرى عن مجاله ، وألا يدعى أنه يستطيع تصور كل شىء ، ويستطيع الحكم على كل شىء ، ولو كان خارج حدوده ، ولو كان مما لا يستطيع أن يصل إلى نطاق جوهره المحدود الصغير .

الله عـز وجـل هو المهيمن على كل شىء شمله ملكه ، ووقع تحت سلطان قدرته ، فى هذا الكون الكبير ، الذى لا يحيط به عقل ، والذى يمتلىء بالمجرات ، الذى تحتوى كل مجرة من مجراته على ملايين الكواكب والنجوم ، مما لا يستطيع الإحاطة به تصور .

الميـــزان

الميزان المادى معروف : توزن به الأشياء ، ليأخذ كل حقه ، وليستوفى كل من البائع والمشترى نصيبه ، لا يصح البخس ، أو التطفيف فيه ؛ بل يجب التزامه وأخذ كل حقه حسب ما يشير إليه الميزان ، الذى صنعه الإنسان ، بإلهام من الله عز وجل ، لاستيفاء الحقوق ، وأخذ كل نصيبه المشروع ، لا حيف ولا جور ولا ظلم ولا عدوان :

- « وأوفوا الكيل والميزان بالقسط » (١٥٢ الأنعام) .
- « فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم » (٨٥ الأعراف) :
- « ولا تنقصوا المكيال والميزان » (٨٤ هود) .
- « أوفوا المكيال والميزان بالقسط » (٨٥ هود) .

والميزان كذلك اعتبر رمزاً للعدالة والإنصاف ، ولذلك كان شعار القضاء والقضاة ، وفى كتاب الله الحكيم :

- « الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان » (١٧ الشورى) :
- « وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » (٢٥ الحديد) :

وفى كتاب الله عز وجل كذلك :

« والسماء رفعها ووضع الميزان » (٧ الرحمن) .

أى أثبت العدل بين الناس .. وليس كالعدل شيء تصلح به أمور الدين والدنيا والآخرة ، وأمور العباد والمجتمعات والشعوب ، ولا تستقيم الحياة بغير العدل ، ولا تنتظم أمور الناس إلا فى ظله ..

وفى الآخرة وحسابها تقام الموازين القسط :

- « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » (٤٧ الأنبياء) .
- « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون » (٨ الأعراف ، ١٠٢ المؤمنون)
- « وأما من خفت موازينه فأمه هاوية » (٨ القارعة) .

وحساب الآخرة لا تذكر فيه كلمة الميزان مفردة ، بل جمعاً (موازين) دلالة على دقة الحساب وعدالته ، ودقة الجزاء وإحكامه ، وأنه لا يظلم هناك أحد مثقال ذرة أبداً ، فتعالى الله أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين ، وولى الصالحين :

النذيــــر

النذير : هو من يخبر الإنسان بالأخبار المحزنة ، وفى المعاجم اللغوية : **الإنذار** الإبلاغ ولا يكون إلا فى التخويف .

وقد وردت هذه الكلمة هى ومادتها اللغوية فى كتاب الله عز وجل فى **ثلاثة** ومائة موضع .

وللكلمة ومشتقاتها ثلاثة معان :

المعنى الأول : التحـذير :

— « أن أنذر الناس » (٢ يونس) .

أى حذر كفار مكة من العذاب .

— « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » (٦ البقرة) :

أى أحذرتهم أم لم تحذرهم .

— « لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون » (٦ يس) .

أى لتحـذر قوماً وهم مشركو مكة ما فى القرآن من الوعيـد كما أنذر **آباؤهم** قبلهم ، أى كما حذر آباؤهم .

المعنى الثـانى : الخـبر :

— « هذا نذير من النذر الأولى » (٥٦ النجم) .

أى هذا خبر من أخبار الأمم الخالية .

— « ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » (١٢٢ سورة براءة) .

أى ليخبروهم عند عودتهم إليهم .

المعنى الثالث : الرسـل ، فتطلق لفظة النذير على الرسـول ، والنذر **على** الرسل ، لأنهم أتوا قومهم وبعثوا إليهم مبشرين ومنذرين :

— « كذبت ثمود بالنذر » ، أى بالرسل (٢٣ من سورة القمر) .

— « كذبت قوم لوط بالنذر » (٣٣ القمر) أى بالرسل .

- « ولقد جاء آل فرعون النذر » (٤١ القمر) .

- « ألم يأتكم نذير ؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير » أى رسول (٩ تبارك) .

- « إنما أنت نذير » (١٢ هـود) أى رسول .

ولأن الرسل علامات مضيئة لأممهم ، فقد يكون من معنى النذير العلامة ، ومعنى النذر : العلامات ، ويصح أن تفسر الآية الكريمة : « ولقد جاء آل فرعون النذر » بمعنى العلامات الدالة على وحدانية الله وقدرته وإهلاكه للكافرين .

إن الله عـز وجـل كما يبشر المؤمنين بالجنة والنعيم ، ينذر الكافرين بالعذاب الأليم والجحيم الشديد ، ليحيا من حى عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ، ولكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسـل ، وما أشـد جحود الناس وكفرهم بالله عز وجل ، وجحودهم لقدرته وسلطانه العظيم .

هدانا الله للإيمـان والعمل الصالح وما توفيقى إلا بالله .

النصـــح

ورد لفظ (النصح) فى موضع واحد من كتاب الله الحكيم ، هو قوله تعالى:
« ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم » .

(الآية الرابعة والثلاثون من سورة هود)

وورد لفظ (ناصح) ، وناصحون فى عدة مواضع :

— « وإنا له لناصحون » (١١ سورة يوسف) .

أى قائمون بجميع مطالبه ، وفى اللفظ معنى الحفظ ، ولذلك ورد بعد هذه الآية : « وإنا له لحافظون » (١٢ يوسف) .

— « إنى لكما لمن الناصحين » (٢١ الأعراف) .

— « ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين » (٧٩ الأعراف) .

— « إنى لك من الناصحين » (٢٠ القصص) .

— « أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم » (٦٢ الأعراف) .

وفى كتاب الله كذلك :

— « ونصحت لكم » (٧٩ الأعراف) .

— « ونصحت لكم » (٩٣ الأعراف) .

— « إذا نصحوا لله ورسوله » (٩١ التوبة) .

— « أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم » (٦٢ الأعراف) .

وجاء فى كتاب الله عز وجل كذلك : « توبة نصوحاً » (٨ التحريم) .
أى توبة صادقة .

والنصح والنصيحة هى إبداء الرأى والمشورة الحسنة لغيرك من الناس ، وهى الدلالة على طريق الخير ، والإرشاد إليه ، والحض عليه ، وهى بذل الرأى لكل من يطلب منك الرأى المستقيم ممن يكون فى مشكلة أو تلقى عليه مسئولية .. وفى الحديث الشريف : (الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله والرسول وأولى الأمر وللمؤمنين كافة) .

وليس كالنصيحة عمل من أعمال الخير ، ومساعدة بارة كريمة لمن وقع فى ورطة ، أو خر تحت وطأة الأحداث .

فالنصيحة هى الإرشاد بالرأى إلى طريق الخير والسداد والصواب ، فمن نصحك بالخير ووفق ما أمر الله ورسوله ، فهو ناصح أمين يستمع له ، ومن نصحك بالشر والسوء فهو ناصح غشاش أثيم ، فاجتنبه واجتنب نصيحته ؛ واختلاف الناصحين كاختلاف الأصدقاء ، فمنهم أصدقاء الخير ومنهم أصدقاء السوء ، ومنهم جلساء الخير ، ومنهم جلساء الشر .

والذى ينصح الإنسان بالرأى المخالف للدين هو كاذب مخادع شرير ؛ والذى ينصح الإنسان بما يوافق الدين والعقل والرأى الصادق السديد فهو الأخ المخلص المؤتمن الذى يسعى إليه لأخذ رأيه واستشارته ، وفى كتاب الله عز وجل :

— « فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً » (٩ النساء) .

— « اتقوا الله وقولوا قولا سديداً » (٧٠ الأحزاب) .

رزقنا الله السداد ، ومنحنا الصواب والتوفيق ، وأرشدنا إلى الخير ، وجعلنا ممن رضى عنهم ورضوا عنه .

النعيـــم

النعيم أقصى درجات النعمة وأجلها وأفضلها ، والنعيم قد يكون فى الدنيا ، وقد يكون فى الآخرة ، والله عز وجل لم يذكر النعيم إلا لنعيم الآخرة ، لأن نعيم الدنيا قليل ومحدود وموقوت بجانب نعيم الآخرة والدائم والباقى والعظيم . ويقال فلان واسع النعمة أى المـال ، ولكن المال عرض زائل ، ونعمة قد تسترد فى يوم من الأيام ، فكم من غنى افتقر ، ومن مال ذهب بدداً ، ومن صاحب ضياع وقصور أخذ منه الله عز وجل ما وهبه ، وتركه يلتحف السماء ، ويفترش الغبراء .

أما نعيم الآخرة فما أعظمه وما أبقاه وأدومه ، وما أجله وأحسنه .

يقول الله عز وجل :

— « ولأدخلناهم جنات النعيم » (٦٥ المائدة) .
— لهم فيها نعيم مقيم » (٢١ التوبة) .
— « فى جنات النعيم » (٥٦ الحج ، ٩ يونس ، ٤٣ الصافات ، ١٣ الواقعة) .
— « واجعلنى من ورثة جنة النعيم » (٨٥ الشعراء) .
— « لهم جنات النعيم » (٨ لقمان) .
— « فى جنات ونعيم » (١٧ الطور) .
— « وجنة نعيم » (٨٩ الواقعة) .
— « جنات النعيم » (٣٤ القـلم) .
— « جنة نعيم » (٣٨ المعارج) .
— « إن الأبرار لفى نعيم » (١٤ الانفطار) .
— « تعرف فى وجوههم نضرة النعيم »(٢٤ المطففين) .
— « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » (٨ التكاثر) .
— « نعيماً وملكاً كبيراً » (٢٠ الإنسان) .

وهكذا نجد الجنة مضافة إلى النعيم ، ومقرونة به ؛ ونجد النعيم لم يذكر إلا فى مقام نعيم الآخرة ، فهو النعيم الحق ، والمكافأة الكبرى ، والجزاء الأوفى .

أما نعيم الدنيا من مال أو ولد أو زوج أو صاحبة ، فما أقله وما أدناه عن نعيم الآخرة ، وما أهونه بجانب نعيم الدار الباقية .

والله عز وجل يرغبنا بذلك فى عمل الصالحات لنفوز بنعيم الآخرة ، ولننال شرف رضاء الله ومثوبته ، ولندرك رضوانه وجنته ، ولننزل فى حماه وأمنه فى الآخرة.

إن نعيم الآخرة لا يوزن به نعيم آخر ، ولا ينال شرفه إلا المقربون ولا يطمح إليه إلا الأبرار المتقون .

ولمثل هذا فليعمل العاملون ، وللوصول إليه فليجد المجدون ، وليثابر المجاهدون.

لا شيء إلا جزاء الآخرة ونعيمها ، ولا حسنة إلا حسنتها ولا ثواب إلا الثواب فيها على الأعمال الصالحة .

إن الآخرة هى الدار الباقية ، ونعيمها هو النعيم المقيم على مدى الأيام والأزمان والعصور .

النفـــاق

النفاق صفة خلقية ذميمة ، وهى مظهر لضعف الشخصية وعدم الالتزام بالمسئولية ، وللسلبية فى المجتمع والحياة ولعدم قدرة صاحب هذه الصفة على المشاركة فى بناء المجتمع ومن ثم ذم القرآن الكريم النفاق وأهله ذماً شديداً وسميت إحدى سوره الكريمة باسم « المنافقو ن » ؛ وقد كان فى عصر الرسالة وحياة الرسول منافقون كثير من حوله لايعلمهم رسول الله ولا يعرفهم ، والله عز وجل أعلم بهم : « لا تعلمهم نحن نعلمهم » (الآية ١٠٢ التوبة) ؛ وقد كشف عنهم القرآن الكريم ، وفضح نواياهم وأعمالهم وحذر رسوله الكريم وأصحابه منهم ، وتوعدهم وعيداً شديداً فى الدنيا والآخرة ، وألصق بهم ما كانوا يحاولون إخفاءه من مهانة وذلة وضعة وضعف نفس .

وقد ورد لفظ النفاق فى كتاب الله فى عدة مواضع :

الأول : فى سورة التوبة (الآية ١٠١) : « وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ، لاتعلمهم نحن نعلمهم ، سنعذبهم مرتين ، ثم يردون إلى عذاب عظيم » .

مردوا على النفاق : أى تعودوه وأقاموا عايه ، والتزموا به ، فهم لا يتركونه ولا يتركهم ، لأنه صار صفة خلقية من صفاتهم الذميمة ، وسيعذ بهم الله بنفاقهم مرتين : بإقامة الحدود عليهم وبفضح أعمالهم أمام الناس ، أو أن عذاب المرة الثانية هو عذاب القبر .

الثانى : فى الآية الثانية والسبعين من سورة التوبة أيضاً : « فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه » ، أى فكتب عليهم النفاق وغرسه فى قلوبهم ، لأنهم ارتضوه لأنفسهم ، وجعلوه صفة من صفاتهم الملازمة لهم فى الحياة الدنيا لايتخلون عنه ، ولا يتركونه .

والثالث : فى الآية الثامنة والتسعين من سورة التوبة أيضاً : « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً » ، والأعراب هم الدخلاء على العرب ، من الذين لايمتون إلى أصل

كريم ، ولا إلى نسب عظيم ، ولا يتصفون بخلق حميد ، ومن الذين لم يخالط الإيمان قلوبهم ، ولم يذوقوا حلاوة الإسلام والتوحيد .

كما ورد لفظ المنافقين والمنافقات فى كتاب الله الكريم فى مواضع كثيرة تبلغ الاثنين والثلاثين موضعاً .. وورد كذلك لفظ « نافقوا » فى كتاب الله عز وجل فى موضعين من سورة آل عمران :

— فى الآية (١٦٨ من السورة نفسها) : « وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون .. » .. وفى هذه الآية الكريمة شرح لمعنى النفاق ، وهو أن يقول الإنسان بفمه مالا يؤمن به فى قلبه ، أى أن يظهر للناس خلاف ما يبطن ، ويتظاهر أمامهم بما ليس معتقداً له ، ولا معتنقاً إياه وهو نفاق إيمان .. يظهر أنه مع المؤمنين ومع رسول الله ومع الإسلام والقرآن وليس معهم فى شىء .. أما نفاق العمل فهو أن يتظاهر الإنسان بالصلاح والتقوى والخلق الكريم وليس فى نفسه شىء من ذلك فهو يخدع الناس أو يخادعهم ، ونفسه فارغة من كل معنى كريم ، وخلق شريف ، وقلبه خاو من كل فضل وفضيلة .. وهؤلاء المنافقون أخطر الناس على مجتمعاتهم ، وأضر شىء على من حولهم وعلى من يعاشرونهم .

والنفاق أعاذنا الله منه أقبح شىء ، وأسوأ خلق ، يتصف به إنسان . ولذلك بالغ القرآن الكريم فى التحذير منه ، والنهى عنه ، وفى الكشف عن مساوئه ورذائله وعن دناءة نفوس المنافقين وصغارها .

وما أجدر المؤمن الذى رفع رأسه بالإسلام إلى السماء أن يتجرد من النفاق ، وأن يحذره ويبتعد عنه ، ليفوز برضاء الله والناس .

نفـــر

النفر ، بفتح النون والفاء : عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة ، ويطلق عليهم أيضاً لفظ النفير ، ولا يطلق على النساء ، بل على الرجال وحدهم .

وهذا اللفظ كأنه مأخوذ من نفر الرجل إذا أسرع بالخروج إلى عمل كبير ، وجاء فى كتاب الله عز وجل : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » (١٢٢ التوبة) ، ومنه قوله تعالى : « انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » (٤١ التوبة) .

والنفر ورد فى كتاب الله عز وجل فى ثلاثة مواضع :

الأول : فى سورة الجن (الآية الأولى) : « قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن ، فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً ، يهدى إلى الرشد ، فآمنا به » .

والثانى : فى سورة الكهف (الآية الرابعة والثلاثين) : « فقال لصاحبه وهو يحاوره : أنا أكثر منك مالا ، وأعز نفراً ... » .

والثالث : فى سورة الأحقاف (الآية ٢٩ — ٣١) : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروا قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم * ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم » .

روى أن وفد الجن هذا كان عددهم سبعة رجال ، لم يرهم رسول الله ، ولم يعلم باستماعهم للقرآن ، حتى أعلم الله عز وجل رسوله بذلك ، قيل : إنهم لما حرموا من استراق السمع من السماء برجم النجوم قالوا : ماهذا إلا لأمر حدث ، فطافوا بالأرض ينظرون ما أوجب ذلك ، حتى سمعوا قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاة الفجر فى سوق عكاظ ، فاستمعوا إليه ، وآمنوا به ، وعادوا إلى قومهم دعاة إلى الإسلام .

وأما ماجاء فى سورة الكهف : « أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً » ، فهو حوار

بين أخوين من بنى إسرائيل ، أحدهما مؤمن والآخر كافر ، ورثا مالا عن أبيهما ، فاشترى الكافر بماله بستانين ، وتصدق الآخر بماله وأنفق منه فى سبيل الله ما أنفق، وفى طاعته ، حتى افتقر ، فعيره الكافر بفقره ، فأهلك الله مال الكافر ، وأذهب جنتيه ؛ وقوله : « وأعز نفراً » يعنى الأنصار والخدم ..

وهذا الحوار الرائع بين الأخوين ضربه الله عز وجل مثلا لكفار قريش الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اطرد عنك الفقراء من أتباعك نؤمن بك ونتبعك ، فبين الله عز وجل لهم بهذا المثل أن الفقر والغنى عرضان ، قد لايلبثان أن يزولا ، فيصبح الفقير غنياً والغنى فقيراً ، ويصبح الغنى الذى كان يعتز بأتباعه محروماً من الأتباع والأنصار ، مخذولا ممن كان قد أحسن إليهم واتخذهم أولياءه وأحبابه :

والإيمان وحده هو القيمة الكبرى فى حياة الإنسان ، فهو الذى يكسبه العزة والمجد والسعادة فى الدنيا والآخرة ؛ فى الدنيا يهب الإيمان الإنسان الطمأنينة والراحة ورضاء الضمير والرجوع إلى الله وحده ، والتوكل عليه جل شأنه دون سواه ، والاعتقاد بأن كل شىء من الله ، هو وحده المنعم والمحسن ، وهو وحده واهب الخير والعزة والمال ، وهو وحده النور الذى لاظلام معه ، والأمل الذى لايأس فيه ، والعزة التى لاذلة لمن وثق بها .

وأما فى الآخرة فمن الذى يثيب الإنسان ويقوده إلى رضاء الله ، ويأخذ بيديه إلى الجنة ، إلا الإيمان والعمل الصالح .

الإيمان وحده هو سر كل خير ، يصيب الإنسان ، فى دنياه وآخراه .

النهـــر

ذكر النهر — بفتح الهاء — فى كتاب الله عز وجل فى ثلاثة مواضع :

١ — « وفجرنا خلالهما نهراً » (٣٣ سورة الكهف) : أى وشققنا خلال الجنتين نهراً يجرى بينهما ليرويهما .

٢ — « إن المتقين فى جنات ونهر » (٥٤ القمر) .

٣ — « إن الله مبتليكم بنهر » (٢٤٩ البقرة) .

وذكرت الأنهار فى كتاب الله فى واحد وخمسين آية .

والنهر : مجرى الماء العذب الغزير ، وفيه إسكان الهاء وفتحها أيضاً .

والأنهار تتكون من المطر النازل من السحاب على رءوس الجبال ، حيث تحفر المياه لها مجرى تسير فيه من المنبع إلى المصب .

والبحر هو الماء الملح العظيم تسير فيه السفن .

وإذا اجتمع البحر والنهر قيل لهما بحران على سبيل التوسع ، قال تعالى :

— « وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج » : (١٢ فاطر)

— « وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج » (٥٣ الفرقان) .

مرج البحرين : أى أجراهما وأرسلهما متجاورين ، وملح أجاج : أى شديد الملوحة ، وجعل بينهما برزخاً : أى حاجزاً غير منظور لايختلط ماء أحدهما بماء الآخر .

— « وجعل بين البحرين حاجزاً » (٦١ سورة النمل) أى جعل بين البحر العذب والبحر الملح حاجزاً غير مرئى ، فلا يختلط ماء أحدهما بالآخر :

وهذا دليل قدرة الله عز وجل وهيمنته وعظيم سلطانه ، حيث نرى عند مصب الأنهار فى البحر أن الماء العذب يجاور الماء الملح ، ومع ذلك فلا يختلط ماء أحدهما بالآخر .

واليمّ : هو فى الغالب البحر الملح الواسع ، ويجوز إطلاقه على الماء العذب فى قلة :

إن الماء العذب والماء الملح يختلف مقدار كثافتهما ، وهذا مانع من اختلاط بعضهما ببعض ، ومن حكمة الله عز وجل أنهما لايختلطان إذا تجاورا ، وإلا لفسد العذب بالملوحة ، ولم يصلح لشرب الإنسان والحيوان ، ولا لسقى الزرع والثمر ،

وفى أوصاف الجنة يجىء ذكر الأنهار غالباً ، لأن الماء العذب نعمة كبيرة من نعم الله عز وجل ، التى لا يستغنى عنها إنسان ولا حيوان ، ولولا الماء العذب لعدمت الحياة ، وفنيت الناس والحيوانات :

إن نعم الله كثيرة ، أنعم بها على عباده ، ومع ذلك فلم يشكروا هذه النعم الجليلة حق شكرها ، ولم يعبدوا الله حق عبادته ، ولم يحمدوا فضل وجلال نعمته عليهم :

وما أحق العبد بالشكر ، وما أجدره بحمد مولاه والثناء على خالقه العظيم ، وتبارك الله رب العالمين .

نوح عليه السلام

ورد ذكر نوح عليه السلام فى كتاب الله ثلاثاً وأربعين مرة ، وهو أبو الأنبياء والرسل بعد آدم عليهما السلام ، وكفاح نوح فى الدعوة إلى الله ، وإنذار قومه من عذاب الله ، كفاح طويل مرير .

يقول الله عز وجل فى سورة نوح (الآية الأولى) : « إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك ، من قبل أن يأتيهم عذاب أليم » ؛ وترشد هذه الآية إلى أنه عليه السلام كان من المرسلين ، وقد روى أبو هريرة عليه رضوان الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نوحاً كان أول الرسل .

وفى التوراة ما يرشد إلى أنه كان بين خلق آدم وميلاد نوح (١٠٥١ عاماً) وأن بين وفاة آدم وولادة نوح (١٢٦ عاماً) ، ويروى بعض المؤرخين أن نوحاً أرسل وهو ابن (٤٨٠ سنة) ، وأنه ظل يدعو قومه إلى الإيمان بالله (١٢٠ سنة) ، وقيل: بل (٩٥٠ عاماً) ، بدلالة الآية الكريمة : « فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً » .. ولما يئس من إيمانهم دعا عليهم ، فأمره الله عز وجل أن يصنع السفينة وألهمه طريق صناعتها .

وقوم نوح كانوا يسكنون منطقة الكوفة ، وقيل : إنهم أول من عبدوا الأصنام وكفروا بالله : « وقالوا لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً » (٢٣ نوح) .

وحمل نوح عليه السلام أمانة الدعوة إلى الإيمان والتوحيد ، ونبذ عبادة الأصنام ، وأنذرهم عذاب الله . فاستكبروا وهزئوا به ، وأخذتهم العزة بالإثم ، وقالوا : « أبشراً منا نتبعه » ، وقالوا له : « ما نراك إلا بشراً مثلنا » (٢٧ هود) ،

وتمادوا فى كفرهم وأنفوا أن يكونوا فى عداد الضعفاء الذين آمنوا به : « وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى ، وما نرى لكم علينا من فضل، بل نظنكم كاذبين » .

ولما يئس من إيمانهم دعا الله عليهم : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين

دياراً » ، فأمره الله عز وجل أن يصنع الفلك ، وشاهده قومه فهزئوا به وسخروا منه ، ولم يفهموا ماذا يصنع نوح ، لأنه كان أول من صنع سفينة على وجه الأرض ، وقالوا لنوح : يا نوح لقد صرت نجاراً بعد أن كنت نبياً .. وقيل : إن صنع السفينة استغرق أربعين عاماً .

ولما جاء أمر الله أمر الله عز وجل نوحاً عليه السلام أن يركب السفينة هو ومن آمن به ، وأهله إلا من سبق عليه القول منهم ، قيل : إن جميع من ركبوا فى الفلك مع نوح ثمانون : زوجته وأولاده الثلاثة وزوجاتهم ، ونحو سبعين رجلا آمن به .

وجاء الطوفان ، وسارت السفينة ، وهلك ابنه غرقاً فى الطوفان بأمر الله ، وظل الطوفان يغرق الأرض والناس . فلما أذن الله بانتهاء الطوفان رست السفينة على الجودى ، قيل : إنه جبل أرارات فى تركيا (آسيا الصغرى) ، وقيل : إنه جبل بالجزيرة ، وقيل : بالبصرة ، وقيل : هو جبل الطور .

قيل : إن نوحاً عاش بعد الطوفان (٣٥٠ عاماً) وتوفى وعمره (٩٥٠ عاماً)، وكان سام أكبر أبنائه وهو الجد الثامن لإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام :

وقيل : إن نوحاً لما دنا أجله سئل : كيف رأيت الدنيا ؟

فأجاب : كبيت له بابان : دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر :

صلى الله على نوح فى الأولين ، وصلى عليه فى الآخرين .

هامان

ذكر هذا الاسم فى كتاب الله عز وجل فى ستة مواضع :

١ — فى (الآية ٦) من سورة القصص حديثاً عن قوم موسى : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ... » :

٢ — فى (الآية ٨) من السورة نفسها حديثاً عن موسى عليه السلام : «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً، إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين» :

٣ — فى (الآية ٣٨) من سورة القصص أيضاً حديثاً عن فرعون : «فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحاً » .

٤ — (الآية ٣٩) من سورة العنكبوت : « وقارون وفرعون وهامان ، ولقد جاءهم موسى بالبينات » .

٥ — (الآية ٢٤) من سورة غافر : « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ، إلى فرعون وهامان وقارون ، فقالوا : ساحر كذاب » .

٦ — (الآية ٣٦) من سورة غافر : « وقال فرعون: يا هامان ابن لى صرحاً ، لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات ، فأطلع إلى إله موسى ، وإنى لأظنه كاذباً ... » .

وهامان فيما يؤثر كان وزيراً لفرعون موسى ، يأتمر بأمره ، ويسير على نهجه ، ويلج فى الكفر والعناد ، ويسرف فى الشرك والطغيان والفساد ، فأهلكه الله فيمن أهلكهم ، وأغرقهم جميعاً فى البحر ، وصاروا عبرة لمن اعتبر ، ومثلا فى عاقبة من كفر بالله ، وعاند رسالة السماء ، وملكه الغرور والكبرياء ، فلم يستمع لدعوة الرسول ، ولم يستجب لما أمرت به شريعة الله ؛ ولم يخضع لسلطان الله العلى الأعلى ، وصار كل همه محاربة نداء الوحى ، والكفر بالكتاب المنزل ، والخروج على منطق الرسالة ، والشرك بالله عز وجل .

إن انتهاء الحضارات وموتها ، وفناء المجتمعات وزوالها ، لا سبب له إلا الخروج على رسالات السماء ، وإلا محاربة الرسل والأنبياء ووحى الله عز وجل. إن دعوة السماء لا يحاربها إلا جاهل، حكم على نفسه بالموت والفناء والهلاك :

هامـــدة

وردت هذه اللفظة فى موضع واحد فى كتاب الله العزيز ، وهو الآية الخامسة من سورة الحج :

« ... وترى الأرض هامدة ، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج » .

هامدة : ساكنة لا نبات فيها ، اهتزت : تحركت ، ربت : ارتفعت وزادت ، زوج : صنف ، بهيج : ناضر حسن مونق معجب .

استدل الله عز وجل فى هذه الآية الكريمة على قدرته العالية فى بعث الخلق بعد موتهم ، للحساب والجزاء بأمرين :

الأول : قدرته المشاهدة على خلق الإنسان ، وأطوار تكوينه فى الرحم ، ثم أطوار حياته من طفل فى المهد ، إلى طفولة ناشئة ، إلى شباب وقوة ورجولة ، إلى هرم وشيخوخة ، وقد يجيئه الموت والإنسان فى أوج قوته .

والثانى : قدرته المشاهدة على إنبات النبات من الأرض الساكنة الساكتة التى لا تبوح بشىء ، فإذا أنزل الله عز وجل عليها الماء اهتزت وتحركت وانتفخت وارتفعت وزادت ، وأنبتت من كل صنف من النبات عجيب مونق حسن .

ولذلك عقب الله عز وجل على ذلك بالآية السادسة من سورة الحج : « ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيى الموتى ، وأنه على كل شىء قدير » ، ثم جاءت الآية السابعة عقب ذلك تصرح بكل المضمون : « وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور » .

ولفظة (هامدة) أدق كلمة فى التعبير عن الأرض التى لا تتحرك ولا تأتى بشىء من النبات .. ونحن فى العامية نستعمل الكلمة بهذا المعنى ، فنقول للطفل الكثير الحركة : « اهمد » ، أى اسكن لا تتحرك أبداً ، ونقول للإنسان النائم بعد حركة كثيرة : قد همد عبد الله ، أى سكن بالنوم :

فالأرض قبل ظهور نبات فيها هامدة لا حركة فيها ، ولا سر وراءها ، ولا تنطق بما فى صدرها .. فإذا أنزل الله عليها الماء بالمطر أو بالسقى من النهر مثلا .. أخذت تهتز وتنتفخ وترتفع وتتشقق ، ويظهر فيها النبات .

والله عز وجل هو الذى ينزل عليها الماء ، فالمطر يسوقه الله عز وجل من السحاب ، الذى يمطر حيث يريد الله جل وعلا ، والماء الذى تسقى به الأرض الله عز وجل هو الذى أنزله من المزن لا أحد سواه : « أفرأيتم الماء الذى تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ؟ » (الواقعة ، الآيتان ٦٨ و ٦٩) .

ولو استعملنا أية كلمة سوى « هامدة » لم تقع موقعها من البلاغة ، وحسن الدلالة ، وجمال العبارة ؛ لأن الأرض هامدة فعلا قبل نبات النبات فيها .. فهى ساكنة ساكتة خرساء لا تنطق ، ولا تبوح بشىء ولا حركة فى باطنها ، ولا سر وراءها ، ولا جديد فيها .. إنها نائمة ، أو قل : ميتة .. إنها تنتظر قدرة الله عز وجل ، وتنتظر كلمته .. الله عز وجل هو الذى أخرسها ، هو الذى تركها شبه نائمة .. هو الذى جعلها تقف منتظرة لأمره وإرادته .. فإذا ما أنزل عليها الماء أعطت سرها ، وكشفت عما وراءها ، وأخرجت ما فى بطنها ..

وهنا نجد أن الله عز وجل ذكر الماء ، ولم يذكر الحب الذى يوضع فيها لينبت نباتاً حسناً ، لأن الماء هو الروح ، والحب هو الجسم ، وعمل الروح أظهر فى الدلالة على قدرة الله عز وجل .. أما وضع الحب فى الأرض فشىء هين سهل لا عناء فيه .. إنما المعجزة هى الماء ، ينزله الله عز وجل من السحاب ، أو يسوقه إلى الأرض من نهر ، أو يخرج من باطن الأرض .. الماء هو الروح ، والحب هو الجسم ، ودلالة الروح أقوى من دلالة الجسم على قدرة الله عز وجل وإرادته .

ولو وضع الحب فى الأرض بدون ماء لم يصنع شيئاً، هو جسم يموت حين يدفن فى التراب .. فإذا نزل الماء على الأرض كان للحب فى جوفها سر عجيب ، وحركة غريبة ، وخرج النبات ، واهتزت الأرض ، وربت وانتفخت ، وأنبتت من كل زوج بهيج .

بالله ، يا لهذه القدرة الباهرة ، يا لهذه القوة الظاهرة ، يا لهذه المعجزة الساحرة .

ما الذى حرك الأرض ؟ ما الذى نفخ فيها الروح ؟ ما الذى جعلها تهتز وتربو وتنتفخ ؟ إنه حركة النبات فى جوفها ، إنه نمو الحب الملقى فى باطنها ، إنه سحر الخلق ، وجلال الخالق العظيم .

وهكذا نرى كلمة « هامدة » تصنع فى السياق صنيع السحر ، وتنطق بمضمون الدلالة ، وتوحى لنا بالسر فى هذه الآية الكريمة ، وتقول لنا بلغة البلاغة والبلاغيين ما لا يصل إليه أحد من أرباب البيان ، وأصحاب السحر .

إنها بلاغة القرآن الكريم ، إنها إعجاز كتاب الله الحكيم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

هبـــاء

وردت هذه اللفظة القرآنية فى كتاب الله الحكيم فى موضعين :

الأول : فى الآية الثالثة والعشرين من سورة الفرقان : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً » .

والثانى : فى الآية السادسة من سورة الواقعة : « وبست الجبال بساً * فكانت هباء منبثاً » .

الحديث عن يوم القيامة ، وأن الجبال فيه تفتت تفتيتاً شديداً ، حتى تصـــير هباء متطايراً فى الهواء ، أى غباراً منبثاً منتشراً فى الجو ؛ والهباء : ما يتطاير فى الهواء من الأجزاء الدقيقة ، ولا تكاد يخلو منه الجو ، ولا يكاد يرى إلا فى ضوء الشمس إذا دخل شعاعها من كوة، قال ابن عباس، وقال الإمام على بن أبى طالب هو ما يتطاير من حوافر الدواب من التراب .

والهباء إذن هو أصغر الأشياء وأحقرها وأتفهها ، مما لا وزن له ولا قيمة ، ولذلك وصفت به أعمال الكافرين التى لا تنفعهم بشىء فى الآخرة مهما كانت أعمالا صالحة ، لأنها عند الله لا تزن مثقال ذرة لأنها لم تصدر عن قلب مؤمن ، ولا عن عقيدة صالحة ، ولا عن إيمان بالله عز وجل وبخاتم رسله محمد صـلى الله عليه وسلم .

والأعمـال إذا لم تصاحبها عقيدة كانت هباء ، وإذا صـــدرت عن كافر لا يستحق يوم القيامة عليها جزاء ، ولا يقبل الله عز وجل منه أمثالها .

إن العقيدة لابد أن يصاحبها العمل ، والعمل لابد أن تصاحبه العقيدة ، فإيمان بلا عمل ، وعمل بلا إيمان ، ما جزاءهما عند الله عز وجل فى يوم البعث والحساب والنشور ؟

والإنسان الملتزم بالشريعة والرسالة والدين والكتاب وسنة رسول الله، إنسان يحترم نفسه ويحترم ضميره وإنسانيته ، وعمله مثمر حقاً ، لأنه سينال عليه الجزاء الأوفى يوم النشور .

الهباء إذن هو أتفه الأشياء، ولا وزن له ولا قيمة ؛ وكل الأعمال أو الأمور التافهة توصف بلفظة هباء ، دليلا على حقارتها وانعدام قيمتها ، ومن هنا كان وصف القرآن الكريم لأعمال الكافرين يوم القيامة بأنها هباء ، أى لا توضع فى ميزان حسناتهم ، لأنها لم تصدر عن قلب مؤمن ، ولا عن هدف نبيل ، ولا لغاية سامية .

هذه الأعمال الصالحة فى تقدير أصحابها الكافرين ، أو فى تقدير الناس .: مهما نفعت أصحابها فى الدنيا ، فلن تزن عند الله يوم القيامة فتيلا ، ولن تنفع فاعليها نفعاً كثيراً أو قليلا .

العقيدة والعمل صنوان متلازمان ، لابد من اقترانهما ، لينال العامل ثمرة عمله ، وأجر بذله ، وإلا — أى إذا لم يتلازما — حرم العامل من كل ما عمل ، ولم يجن من عمله شيئاً فى وقت هو أحوج ما يكون فيه إلى الثواب والأجر والجزاء .

إن الله عز وجل لا يقبل عمل عامل إلا إذا كان مؤمناً ، وإلا إذا صدر العمل عن نفس مؤمنة .. عندئذ يكافأ المحسن بإحسانه ، ويثاب العامل بعمله ؛ وعندئذ يلقى المؤمنون الخير ، والثواب الجزيل ، والإحسان التام ، ويلقى الكافرون والعاصون الشر والوبال والنكال .. « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ٭ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .. صدق الله العظيم ٥

هــــود

نبى الله هود عليه السلام الذى بعثه الله إلى قومه عاد ، ورد ذكره فى القرآن الكريم فى عدة مواضع :

الأول : فى (الآية ١٢٤) من سورة الشعراء :

« إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون » .

الثانى : فى (الآية ٦٥) من سورة الأعراف ، و(الآية ٥٠) من سورة هود :
« وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله » .

أى أرسلنا إليهم أخاهم هوداً رسولا .

الثالث : فى (الآية ٥٣) من سورة هود : « قالوا يا هود ما جئتنا ببينة » .

الرابع : فى (الآية ٦٠) من سورة هود : « ألا بعداً لعاد قوم هود » .

الخامس : فى (الآية ٨٩) من سورة هود : « ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح ، أو قوم هود ، أو قوم صالح » .

السادس : فى (الآية ٥٨) من سورة هود : « ولما جاء أمرنا نجينا هـوداً والذين آمنوا معه » .

وقد كانت عاد قوم هود من العرب العاربة ، وهم أول من عبدوا الأصنام بعـد الطوفان ، فبعث الله لهم نبيهم هوداً عليه السلام ، فدعاهم إلى توحيـد الله ، فكفروا ولجوا فى الكفر والبهتان ، ولم يجد معهم حوار أو دعوة للإيمـان فأهلكهم الله عز وجل ، وعفى على آثارهم ، وصاروا أحاديث تروى ، وعظات فيها عبرة للمعتبرين .

وهكذا عاقبة الكفر والضلال والشرك والكبرياء والغرور والبهتان العظيم :

وليس كالإيمـان بالله ورسله منجاة من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

إن الإيمان هو السعادة والخير والفوز الكبير فى الحياة الدنيا وفى الآخرة يوم البعث والحساب والنشور .

الإيمـان بالله وملائكته وكتبه ورسله هو سلاح المؤمن وعدته للفوز والخير ، ولكسب رضاء الله والملائكة والناس أجمعين .

ومن لم يؤمن بالله فقـد استحق غضب الله وعذابه وعقابه يوم يبعث النـاس لأمر عظيم :

ولا منجاة للإنسان إلا بالإيمـان :

ولا أمل يرجى إلا بإيمان الإنسان برسالات السماء ، وبما أمر الله عـز وجـل بالإيمان به من كتب ورسالات وبرسالة محمد خاتم الأنبياء :

صلى الله عليه وسلم فى الأولين ، وصلى الله عليه وسلم فى الآخرين .

ود

ورد هذا اللفظ فى كتاب الله العزيز فى موضع واحد ، هو الآية الثالثة والعشرون من سورة نوح :

« وقالوا : لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ، وقد أضلوا كثيراً ، ولا تزد الظالمين إلا ضلالا » .

هذه الخمسة قيل كانت أسماء لخمسة رجال صالحين ، فماتوا فى شهر واحد ، فجزع عليهم أقرباؤهم ، فقال رجل منهم : يا قوم ، هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم ، غير أنى لا أقدر أن أجعل فيها روحاً ؟ قالوا : نعم ، فنحت لهم خمسة أصنام على صورتهم ونصبها ، فكان الرجل يأتى أخاه وعمه وابن عمه ، فيعظمه ، ويسعى حوله .

وفى عهد رسول الله نوح عليه الصلاة والسلام كان قومه يعبدونها من دون الله .

وقيل : إن عمرو بن لحى الخزاعى دفع بصنم صنع على صورة « ود » إلى عوف بن عذرة ، فحمله إلى وادى القرى ، فأقامه بدومة الجندل ، وسمى ابنه « عبد ودّ » ، وجعل عوف ابنه عامراً سادناً له .

وبعد غزوة تبوك عهد رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، إلى خالد ابن الوليد يهدم « ود » ، فهدمه .

وكان « ود » تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال ، كسى بحلتين ، وفى يده سيف يتقلده ، وقد تنكب قوساً ، وبين يديه حربة فيها لواء ، وقيل : إنه شبيه بتمثال إيروس اليونانى ، ومن البدهى أن ذلك لا يعنى أن العرب أخذوا هذا التمثال الصنم عن اليونان ، لأن هذا التمثال قديم ، من عهد نوح .

وقيل : إن « وداً » من أسماء القمر ورد لفظه فى النصوص العربية الجنوبية ، وكذلك فى النصوص الثمورية والحيا :

وروى أن قريشاً كانت تعبد صنماً اسمه « ود » .

وهكذا كانت الإنسانية تضل طريقها إلى شريعة السماء ، وشريعة التوحيد وتجيء الرسل والأنبياء هادية داعية للتوحيد ، فتؤمن أمة وتكفر أمة ، ولا يلبث المؤمنون أن يعودوا بعد أنبيائهم ورسلهم إلى الشرك والوثنية وعبادة الأصنام .

وجاء الإسلام العظيم ، فمحا بشر بعثة المنزلة معالم الشرك والوثنية ، ودعا إلى عبادة الإله الواحد الأحد ، ورسم للبشرية طريق النجاة ، وكان للإسلام والمسلمين الفضل فى إنقاذ العالم من عبادة الأصنام والأوثان ، وفى إعادتهم إلى الطريق السوى طريق التوحيد الخالص لله رب العالمين .

يحيى

يحيى النبي ، ابن نبي الله زكريا ، عليهما السلام ، ورد ذكره فى كتاب الله عز وجل فى خمسة مواضع :

١ — الآية ٣٩ من سورة آل عمران : « أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله ، وسيداً ، وحصوراً ، ونبياً من الصالحين » .

٢ — الآية ٨٥ من سورة الأنعام : « وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس ، كل من الصالحين » .

٣ — الآية السابعة من سورة مريم : « يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً » .

٤ — الآية الثانية عشرة من سورة مريم : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، وآتيناه الحكم صبياً » .

٥ — الآية التسعون من سورة الأنبياء : « فاستجبنا له ، ووهبنا له يحيى ، وأصلحنا له زوجه » .

إن يحيى بشارة الله لزكريا : « إذ نادى ربه نداء خفياً ، قال : رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ، ولم أكن بدعائك رب شقياً ، وإنى خفت الموالى من ورائى ، وكانت امرأتى عاقراً ، فهب لى من لدنك ولياً ، يرثنى ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضياً ؛ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى » (٣ — ٧ مريم) .

ونشأ يحيى فى بيت أبيه زكريا النبي ، على دين وخلق وعلم وحكمة وصلاح .

ويحيى وعيسى ابنا خالة ، عليهما السلام .

وكان يحيى كثير البكاء ، كبير الخشية من مقام الله عز وجل ، بعث إلى قومه بنى إسرائيل نبياً ، وكان خير أهل زمانه وأجملهم ، قتله قومه ، ودفن بدمشق ، وترك وراءه ذكراً حسناً ، وذكرى عاطرة ، وأثنى عليه الله عز وجل

فى كتابه الحكيم ، فقال عز من قائل : « وكان تقياً ، وبراً بوالديه ، ولم يكن جباراً عصياً ، وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً » .
(١٣ — ١٥ مريم)

ويروى أن يحيى وعيسى التقيا ، فقال له عيسى : استغفر لى ، أنت خير منى ، فقال له يحيى : بل استغفر أنت لى ، فأنت خير منى ، فقال له عيسى : سلمت على نفسى ، وسلم الله عليك فأنت خير منى .

يعقوب عليه السلام

يعقوب عليه السلام ، والد يوسف صلوات الله عليه ، وقد أفرد القرآن الكريم سورة بأكملها لقصة يعقوب ويوسف عليهما السلام ، وهى قصة تحدثك عن عظمة الأنبياء ، وارتفاعهم على الدنيا وشهواتها وملاذها ، وعصمتهم عن ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ..

وكان ليعقوب أربع زوجات ، وولد له يوسف من زوجته (راحيل) ، وكان ليوسف ستة ذكور إخوة له من زوجة أبيه (لينة) ، وبنت واحدة شقيقة لهؤلاء الستة ؛ ولم يكن له من أمه (راحيل) إخوة إلا أخ واحد هو (بنيامين) ؛ كما كان له أخوان آخران من زوجة أبيه زلفة ، فجملة أبناء يعقوب عشرة ذكور وبنت واحدة .

وكان يعقوب مقيماً فى أرض كنعان ، وفيها بعثه الله ، فدعا ملك كنعان وقومه إلى الإيمان بالله تعالى ، فلم يستجيبوا له .

وكان يوسف أصغر أبناء يعقوب ، قيل : إنه ولد وعمر أبيه إحدى وتسعون سنة .

وتبدأ الأحداث بالحلم الذى رآه يوسف : « إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » .

وتنبأ يعقوب بعين الإلهام بمسيرة الأحداث ، فقال ليوسف :

« لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً » .

وتبدأ الأحداث باجتماع كلمة الإخوة على قتل يوسف ، أو رميه فى الصحراء ليموت فيها ، ثم عادوا وهم رأى واحد : « لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة » .

ورسموا الخطة لتنفيذ ما عزموا عليه ، وعادوا إلى أبيهم يقولون له : « إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب » .

والتقطه بعض السيارة ، وباعوه فى مصر بثمن زهيد لرئيس الشرطة ، ونشأ فى بيته ، ولما شب أغرى جماله امرأة العزيز به ، فراودته عن نفسه ، فأبى ، وزج به فى السجن ، فمكث فيه سنين .

وشهر بين زملاء السجن بتعبير الرؤيا ، وتنبأ لساقى الملك ولرئيس طعامه : بالإعدام لأحدهما ، والبراءة والإفراج للآخر ، وكانا متهمين بتدبير مؤامرة لقتال الملك .

وقال للذى تنبأ له بالبراءة : اذكر قصتى للملك وأنى محبوس ظلماً ، وخرج ونسى أمر يوسف .

ورأى الملك رؤيا مفزعة لم يفسرها له إلا يوسف عليه السلام ، حينئذ تذكر ساقى الملك يوسف السجين المظلوم وتعبيره للرؤيا ، فقص قصته للملك ، فاستدعاه وأعجب به وبعفته وطهارته وأمانته ، وجعله وزيراً للتموين .

وتأتى بعد ذلك قصة تردد إخوة يوسف على مصر طلباً للميرة ، وتعرف يوسف عليهم ، واحتياله ليحضروا له أخاه (بنيامين) .

ثم بعث أخيراً معهم يوسف قميصه بشيراً لأبيه ، فعاد إليه بصره ، ورحل إلى ابنه يوسف مع أبنائه ، ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً ، وقال : يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل ، قد جعلها ربى حقاً .

هذه قصة يوسف وأبيه يعقوب ، قصة ملؤها العفة والطهر والإيمان والطاعة والامتثال لأمر الله عز وجل ، قصة تفيض بالمثل العليا :

— حنان الأبوة . — وفاء البنوة .

— ضبط النفس وبخاصة فى دور الشباب والمراهقة .

— العفة والطهارة والوفاء والأمانة .

— الصبر والتفويض لله رب العالمين .

— العفو ونسيان جرائم الإخوة .

— صلة الرحم .

— البعد عن وساوس الشيطان ونزعات النفس الأمارة بالسوء ، من الحقد والحسد وسوء الظن والأثرة والبغضاء .

إنها قصة نبى عصمه الله من الفحشاء .

وقصة أب صبر على ابتلاء الله وامتحانه .

وما أجل الأب ، وما أعظم الابن ، وما أروع ما تحملا من ابتلاء الله .

ينبـــوع

الينبوع من نبع الماء : إذا خرج من باطن الأرض .

والينبوع : عين الماء ، ومنه قوله تعالى : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً » (٩٠ الإسراء) .

وجمعه ينابيع ، وهى عيون الماء النابع من باطن الأرض .. ومنه قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فسلكه ينابيع فى الأرض » (٢١ الزمر) .

والصحراء لا تطيب الحياة فيها إلا فى الواحات ؛ التى تخرج من باطن الأرض فيها عيون الماء المتدفقة ، تحمل الخير للإنسان ، ولذلك أراد المشركون تعجيز الرسول فاقترحوا عليه متكبرين مزهوين أن يفجر لهم من الأرض ينبوعاً من ينابيع الماء ، وبئر زمزم فى مكة المكرمة هو عين من الماء الأرضى تتدفق بالماء على طول الأيام والأعصار منذ إبراهيم وإسماعيل ، عليهما السلام ، حتى اليوم ، ولم تكفهم زمزم المباركة ، فاقترحوا أن يفجر لهم ينبوعاً آخر من ينابيع المياه .

وينابيع المياه فى الأرض هى مخزون من مياه الأمطار ، تأخذ طريقها إلى باطن الأرض ، وتستقر فيه ، أو تسير من مكان إلى مكان ، وخروج هذا الماء الأرضى إلى سطح الأرض ، لينتفع به الناس ، كان فى القديم معجزة من معجزات قدرة الله ، ثم أراد الله عز وجل للإنسان خيراً ، فسهل عليه اختراع الآلات الرافعة الضخمة ، فصار فى مكنة الإنسان أن يستخرج الماء من أعماق بعيدة ، حسبما تستطيع الآلات أن تصل إلى أغوار أعماق الأرض التى تحتفظ بالماء .

وهناك مخزونات هائلة من المياه فى باطن الأرض فى بعض الأماكن ، تشبه الأنهار ، وهى مفيدة ونافعة للإنسان ، وبخاصة إنسان الصحراء .

وهذه الينابيع وإخراجها من باطن الأرض دليل قدرة الله العلى الأعلى ، فهو الذى سخر قوى الطبيعة والإنسان لتعمل على ظهور هذه الينابيع على سطح الأرض .

والعلم اليوم لو سخره الإنسان لاستخراج ما فى باطن الأرض من المياه العذبة كما سخره لاستخراج النفط ، لكان ذلك خيراً كثيراً للإنسان وللإنسانية .

فقطرة الماء فى الصحراء لا توزن بأى شىء آخر ، لأنها أغلى من كل شىء .

ولو استطاع الإنسان أن يوفر الماء فى أرض الصحراء لحياة الناس والحيوان، لكان ذلك من الأعمال الكبيرة التى تفخر بها الإنسانية .

اليقـــين

اليقين : أوثق درجات العلم وأعلاها ، وهو اطمئنان القلب اطمئناناً تاماً مبيناً على الدليل الثابت الصادق ، وهو لا يكون إلا بعد التثبت والبحث والتنقيب وسوق الأدلة وترتيبها ، وإخضاعها للمناقشة والدراسة الصحيحة ، حتى يكون آخر هذه المراحل كلها بلوغ درجة اليقين .

وقد جاء ذكر اليقين فى كتاب الله عز وجل فى سبعة مواضع :

- « وجئتك من سبأ بنبأ يقين » (٢٢ من سورة النمل) .
- « إن هـذا لهو حق اليقين » (٩٥ من سورة الواقعة) .
- « وإنه لحق اليقين » (٥٩ من سورة الحاقة) .
- « ثم لترونها عين اليقين » (٧ من سورة التكاثر) .
- « كلا لو تعلمون علم اليقين » (٥ من السورة نفسها) .
- « حتى أتانا اليقين » (٤٧ من سورة المدثر) . واليقين هنا بمعنى الموت ، لأنه حق لا شك فيه ، وصدق لا افتراء حوله .
- « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » (٩٩ من سورة الحجر) أى الموت .

فقد جعل الموت يقيناً ، لأنه حق وصدق لا شك فيه ، ولابد أن يكون ، مهما طال العمر بالإنسان ، ومهما امتدت به الليالى والأيام . وهـذا قول أكثر المفسرين ، وقال ابن عطية : إنما اليقين الذى أرادوا : ما كانوا يكذبون به فى الدنيا فيتيقنونه بعد الموت ، وهو قريب من المعنى الأول ، لأن الموت هو سبب اليقين ، وقد يطلق المسبب على السبب ، كما يطلق السبب على المسبب .

وفى كتاب الله عز وجل : « وما قتلوه يقيناً » (١٥٧ من سورة النساء) أى ما قتلوه قتلا يقيناً جازماً حقاً صادقاً لا شك فيه .

وورد لفظ « يوقنون » فى أحد عشر موضعاً ، منها قوله تعالى : « وبالآخرة هم يوقنون » ، كما ورد لفظ « توقنون » فى موضع واحد :

— « لعلكم بلقاء ربكم توقنون » (الآية الثانية من سورة الرعد) .

أى تجزمون جزماً تاماً صادقاً حقاً وواقعاً لا لبس فيه .

وقوله تعالى : « إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين » (٣٢ من سورة الجاثية) يفسر معنى اليقين ، وأنه هو ضد الظن الذى هو العلم الذى لا دليل عليه ، أو التردد فى الأمر بين الوقوع وعدم الوقوع .

ويجىء لفظ « موقنون » و « موقنين » فى عدة مواضع فى كتاب الله تعالى :

— « إنا موقنون » (الآية ١٢ من سورة السجدة) .

— « وليكون من الموقنين » (٧٥ من سورة الأنعام) .

— « وفى الأرض آيات للموقنين » (٢٠ من سورة الذاريات) .

— « إن كنتم موقنين » (٢٤ من سورة الشعراء ، ٧ من سورة الدخان) .

وعلى الجملة فكل علم ثابت صادق يسنده الدليل هو يقين ، وهو المأمور به فى الإيمان والتصديق والتوحيد ، جعلنا الله من الموقنين .

يـــوم

ورد لفظ (يوم) فى كتاب الله عز وجل معرفاً بأل ، ونكرة بدون (أل) فى مواضع كثيرة ، كما ورد معرفة بالإضافة إلى الضمير (يومكم ، ويومهم) ، وورد مثنى وجمعاً ، ومضافاً إلى إذ (يومئذ) ، والذى يعنينا الآن هو (يوم) ، و (اليوم) فحسب .

وقد ورد هذان اللفظان فى كتاب الله عز وجل بمعان عدة :

المعنى الأول : أن يكون يوم بمعنى حين ، كما جاء فى كتاب الله عز وجل :

— « سلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً » (١٥ من سورة مريم فى قصة يحيى) ، أى حين ولد ، وحين يموت ، وحين يبعث حياً .

— « والسلام على يوم ولدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعث حياً » (٣٣ من سورة مريم فى قصة عيسى وحديثاً عن نفسه) ، أى حين ولدت ، وحين أموت ، وحين أبعث حياً .

— « تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم » (٨٠ من سورة النحل) ، أى تركبونها حين ظعنكم ، أى سفركم ، وحين إقامتكم .

— « وآتوا حقه يوم حصاده » (١٤١ من سورة الأنعام) ، أى حين حصاده

المعنى الثانى : يوم بمعنى الأيام الستة التى خلق الله فيهن الدنيا وبعث الحياة فيها

— « الذى خلق الأرض فى يومين » (٩ من سورة فصلت) .

— « وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام » (١٠ من سورة فصلت) .

— « فقضاهن سبع سموات فى يومين » (١٢ من سورة فصلت) .

فاليوم فى هذه المواضع يشير إلى الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض .

— « الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام » .
(٣ من سورة يونس)

— « الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام » .

(٤ من سورة السجدة)

المعنى الثالث : يوم بمعنى أيام الدنيا .

قال تعالى : « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » (الآية الخامسة من سورة السجدة) ، أى فى يوم من أيام الدنيا .

وقال تعالى : « وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » .

(٤٧ من سورة الحج)

المعنى الرابع : يوم بمعنى يوم القيامة :

— « فاليوم لا تظلم نفس شيئاً » (٥٤ من سورة يس) ، أى يوم القيامة .

— « إن أصحاب الجنة اليوم » (٥٥ من سورة يس) ، أى يوم القيامة ، أى فى الآخرة .

— « اليوم نختم على أفواههم » (٦٥ من سورة يس) ، أى فى الآخرة ، أى يوم القيامة .

— « اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا » (٣٤ من سورة الجاثية) . المراد يوم القيامة ، أى اليوم الآخر .

— « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت » (١٧ من سورة غافر) ، أى يوم القيامة ، أى فى الآخرة .

— « هذا يوم الدين » (٢٠ من سورة الصافات) ، أى هذا اليوم هو يوم الجزاء والثواب والعقاب العادلين ، الذى لا يظلم المرء فيه أبداً .

وبهذا نستطيع أن نفهم ما يعنيه القرآن الكريم من لفظ « يوم » فى شتى استعمالاته ووجوهه .

يوم الدين

يوم الدين ، أو يوم القيامة أو يوم الآخرة ، أو اليوم الآخر ، أو يوم الفصل أو يوم الخروج ، أو يوم الجمع ، أو يوم التغابن ؛ جاء ذكره فى كتاب الله عز وجل فى العديد من المواضع ، بل المئات منها .

والقرآن الكريم يوجب على المؤمن الإيمان باليوم الآخر ، يوم البعث والحساب والنشور والعقاب والنعيم ، يوم الجنة والنار .

وقد ذكر الله عز وجل أن « مقداره خمسون ألف سنة مما تعدون » (المعارج ، الآية ٤) - « كان مقداره خمسين ألف سنة » .

وفى آية أخرى (٤٧ الحج) : « وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » :

وجاء فى سورة السجدة (آية ٥) : « ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » .

ويرى الشيخ محمد متولى الشعراوى ، ويؤيده الأستاذ أحمد زين فى مقال كتبه فى صحيفة (الأخبار) المصرية (سبتمبر ١٩٨٧) : أن مقياس الزمن هو الأحداث التى تقع فيه ، وأن الإنسان إذا فقد الوعى أو كان فى حياة البرزخ لا يستطيع أن يحدد الزمن ، لأنه لا زمن عندئذ .. وليس اختلاف الزمن هنا تناقضاً ، لأن محتوى الزمن يتحدد باختلاف الأحداث الواقعة فيه ، أو باعتبار أن ذلك اليوم الذى مقداره ألف سنة هو أحد أيام يوم البعث الكبير فى رأيى أنا :

سبحان الله القادر على كل شيء ، وعلى البعث الأكبر للخلق ، وعلى حسابهم بالقسطاس .

إن الإيمان بيوم الدين هو إيمان بالغيب ، والإيمان بالغيب جزء ، أو ركن ، من أركان الإسلام : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » (الآية ٣ من سورة البقرة) .

ويوم الدين معناه : يوم الجزاء والحساب . وفى الحديث : (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت (، أى من حاسب نفسه ، والدين المكافأة ، يقال : دانه يدينه ديناً : أى جازاه وكافأه ، وفى المثل : (كما تدين تدان) ، أى كما تفعل تجازى بفعلك وبحسب ما عملت ، وقوله تعالى : « أئنا لمدينون » (٥٣ من سورة الصافات) ،أى لمجزيون بأعمالنا ومحاسبون عليها ، والديان صفة لله عز وجل والله تعالى رب يوم الدين .

يـــونس

يونس نبى الله ورسوله عليه السلام ، سميت سورة من القرآن الكريم باسمه، وورد فيها ذكره (راجع الآية ٩٨) :

كما ورد ذكره فى سورة الأنبياء ملقباً بذى النون ، والنون : هو الحـوت (راجع الآيتان ٨٧ و ٨٨ من سورة الأنبياء) :

وذكر كذلك فى سورة الصافات (الآيات ١٣٩ — ١٤٨) :

كما ذكر فى سورة (ن) ملقباً بصاحب الحوت (الآيات ٤٨ — ٥٠) :

وفى قصة يونس عليه السلام أمران كبيران :

الأول : قصته حين التقمه الحوت :

الثـانى : قصته مع قومه حين بعثه الله رسولا :

أما رسالته : فقد بعثه الله عز وجل إلى أهل (نينوى) من أرض الموصـل رسولا ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، فكذبوه ، وتمردوا على الله بكفرهم وعنادهم فلما طال ذلك عليه خرج من ديارهم ، ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث ليال، وكان شعب نينوى أكثر من مائة ألف :

وفكر عقلاء قومه فى الأمر ، فندموا وتابوا إلى الله عز وجل توبة نصوحاً ، فكشف الله عز وجل عنهم العذاب برحمته (راجع الآية ٩٨ من سورة يونس) :

والمفسرون يختلفـون فى ذلك : هل كانت الرسـالة قبل الحوت أو بعده ؟ أو أنه أرسل إلى أمة أخرى بعد شعب نينوى :

وأما قصته مع الحوت ، فقيل : إنه خرج مغاضباً بسبب قومه ، فركب سفينة فى البحر ، فكادت تغرق بمن فيها ، فتشاوروا فى الأمر ، فاختاروا أن يعملوا فيما بينهم قرعة ، فمن وقعت عليه القرعة ألقوا به من السفينة فى البحـر ليتخففوا منه :

فخرجت القرعة على يونس ، مرة ثانية وثالثة ، فألقوه فى البحر ، فالتقمه

-- أى ابتلعه -- الحوت ، وسار به فى البحر سرباً ، ومكث فى جوفه زمناً لا يعلمه إلا الله دون أن يأكله الحوت أو يطحنه طحناً ؛ وتلك معجزة الله : « فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت ، سبحانك إنى كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ، ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين » (الأنبياء ، الآيتان ٨٧ و ٨٨) .

طرح الحوت يونس على شاطئ البحر بالعراء ، أى بالمكان القفر ، الذى ليس فيه شىء من الأشجار ، بل هو عار عنها ، وهو سقيم ضعيف البدن ، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين ، وهو القرع .

ومضى يونس لطيته وعبادته ورسالته ، يدعو إلى الله على بصيرة ، صلى الله عليه وعلى محمد ، صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين .

فهرس الكتاب

• المؤلف فى سطور •

- الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى :
- عالم وأديب وكاتب ومؤلف ومحاضر ورجل فكر .
- فى الخامسة والسبعين من عمره :
- طاف بالعالم العربى والإسلامى شرقاً وغرباً ، وتخرج على يديه أجيال من العلماء والباحثين وحملة الماجستير والدكتوراه .
- عمل أستاذاً فى جامعة الأزهر وفى العديد من الجامعات العربية ، والإسلامية ، وكتب عنه عشرات الكتب ، وعدة رسائل جامعية فى الجامعات العربيـة والإسلامية .
- حضر العديد من المؤتمرات والمهرجانات والحلقات العلمية فى مصر وغيرها :
- عضو فى عشرات الأندية والروابط والجماعات الأدبية ، ويرأس رابطة الأدب الحديث منذ نحو العشرة الأعوام .
- درس فى الأزهر ، وتلقى العلم على أيدى كبار الشيوخ .
- عمل فى مختلف الوظائف العلمية فى جامعة الأزهر .
- له صلات وثيقة بالجامعات فى مختلف أنحاء العالم ، وبالمستشرقين والأدباء والشعراء والنقاد والكتاب ورجال الإعلام والصحافة فى مصر والعالم العربى .
- يمثل مدرسة علمية من المدارس الحديثة فى الأزهر الشريف وجامعته الكبرى .
- ينتمى إلى أسرة عربية كبيرة ، كتب عنها وعن أعلامها مؤلفات عديدة :

• مؤلفاته •

- كتب عن الأزهر كتاباً مشهوراً بعنوان : الأزهر فى ألف عام (٣ أجزاء) كانت جائزته الحصول على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى .
- له فى الدراسات الإسلامية ما يزيد على المائة كتاب ، منها :
  - تفسير القرآن الكريم (٣ أجزاء) .
  - شرح على البخارى (عشرة أجزاء) .
- له كتب رائدة فى الفكر الإسلامى ، مثل :
  - خلود الإسلام .
  - الإسلام والحضارة الإنسانية .
  - الإسلام وحقوق الإنسان .
  - الإسلام ونظريته الاقتصادية .
  - فى ظلال الإسلام .
  - الإسلام دين الإنسانية الخالد ... وغير ذلك .
- هذا إلى موسوعته فى الأدب وعصوره المختلفة التى تقارب المائة كتاب ، وإلى كتب أخرى فى اللغة والأدب والنقد والبلاغة والتاريخ ، وغيرها .

رقم الإيداع : ١٩٨٨/٤٧٥٤
الترقيم الدولى : ٦–١٩٢–١٦٣–٩٧٧

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
تليفون ☏ ٨٢٦٢٨٠ القاهرة